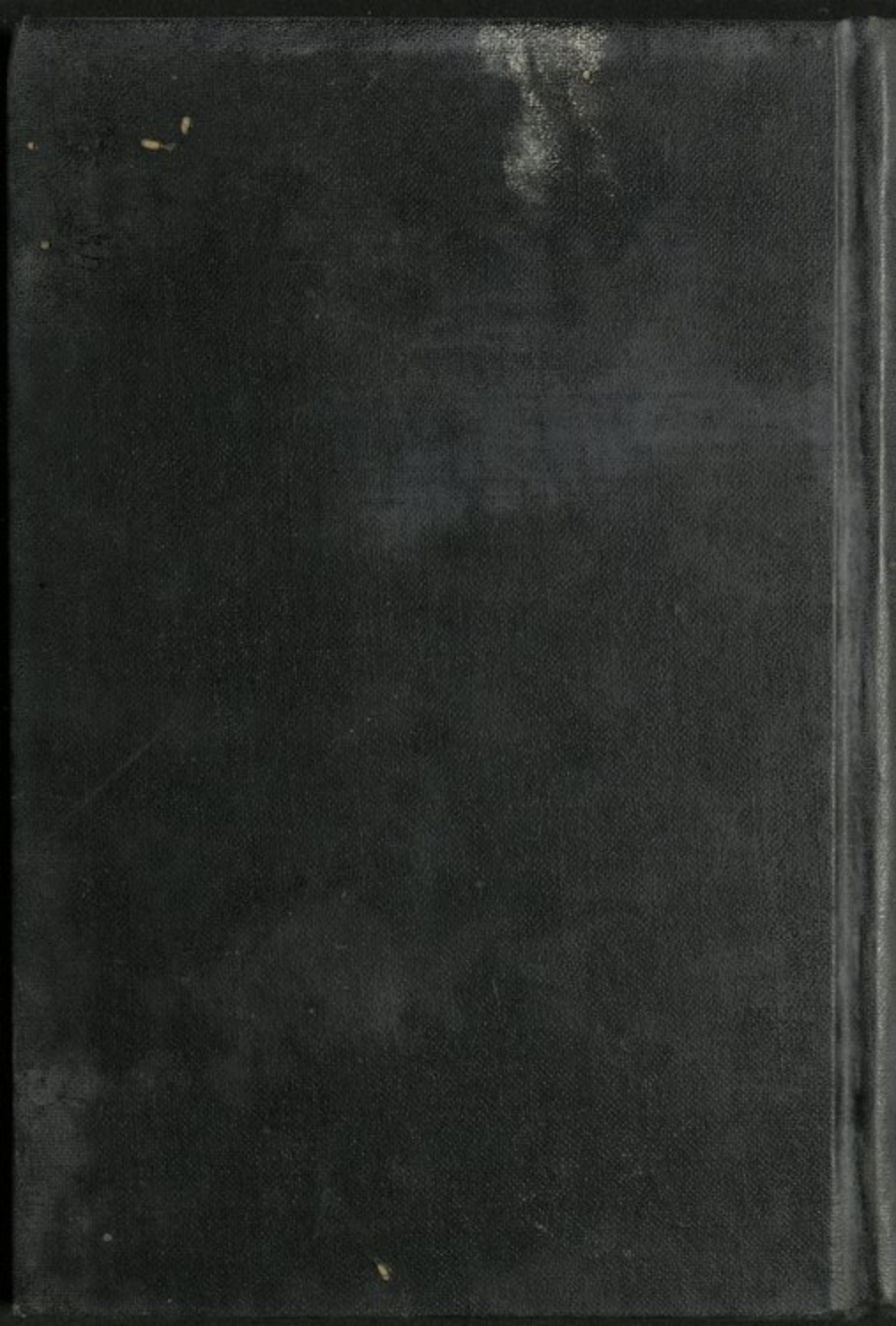
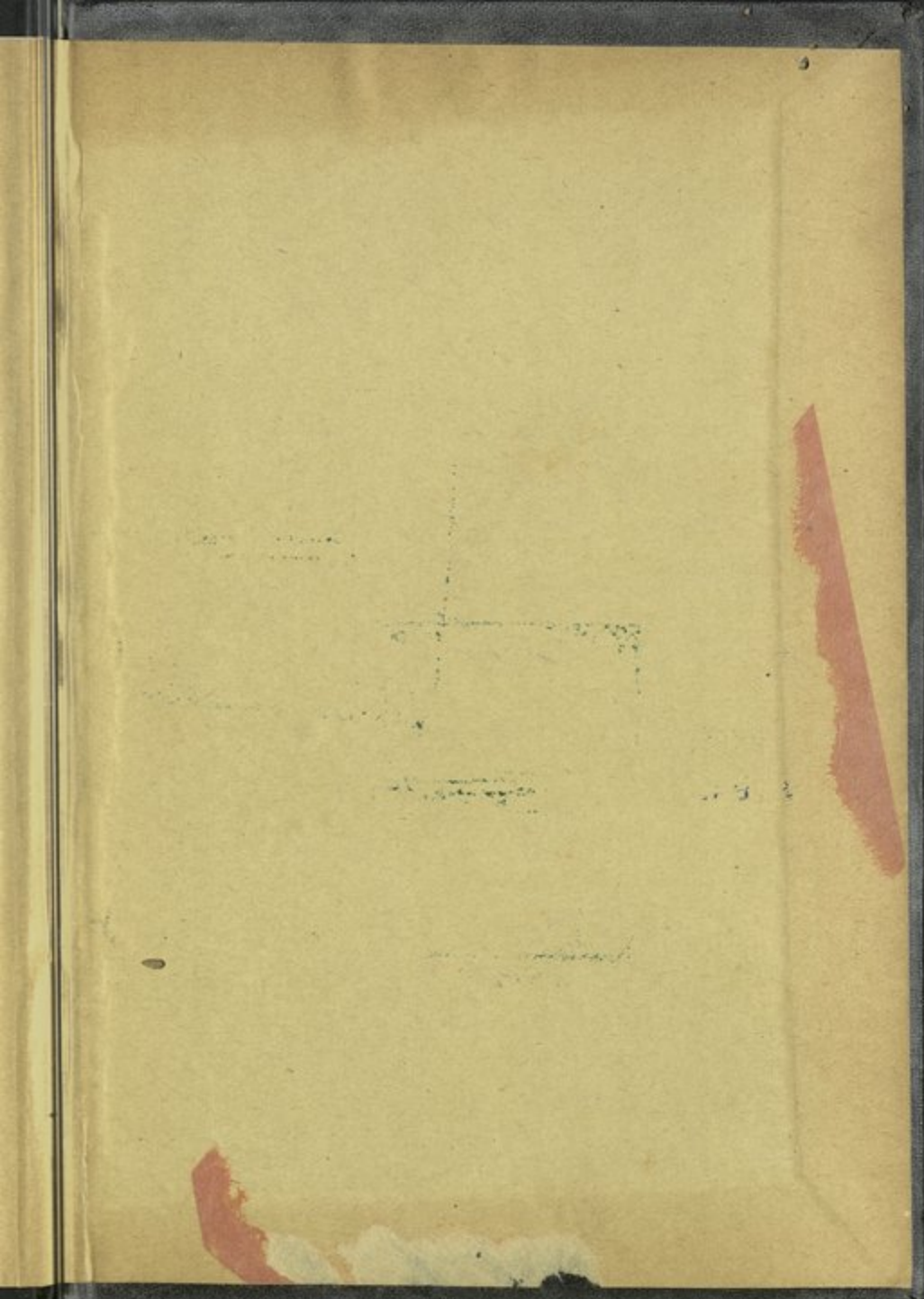






297.342:B35mA

البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين.

مختصر شعب الايمان.

297.342
B35mA

~~2 APR 1986~~

~~21 88~~

~~21 88~~

~~JAFET LIB~~

~~28 DEC 1982~~

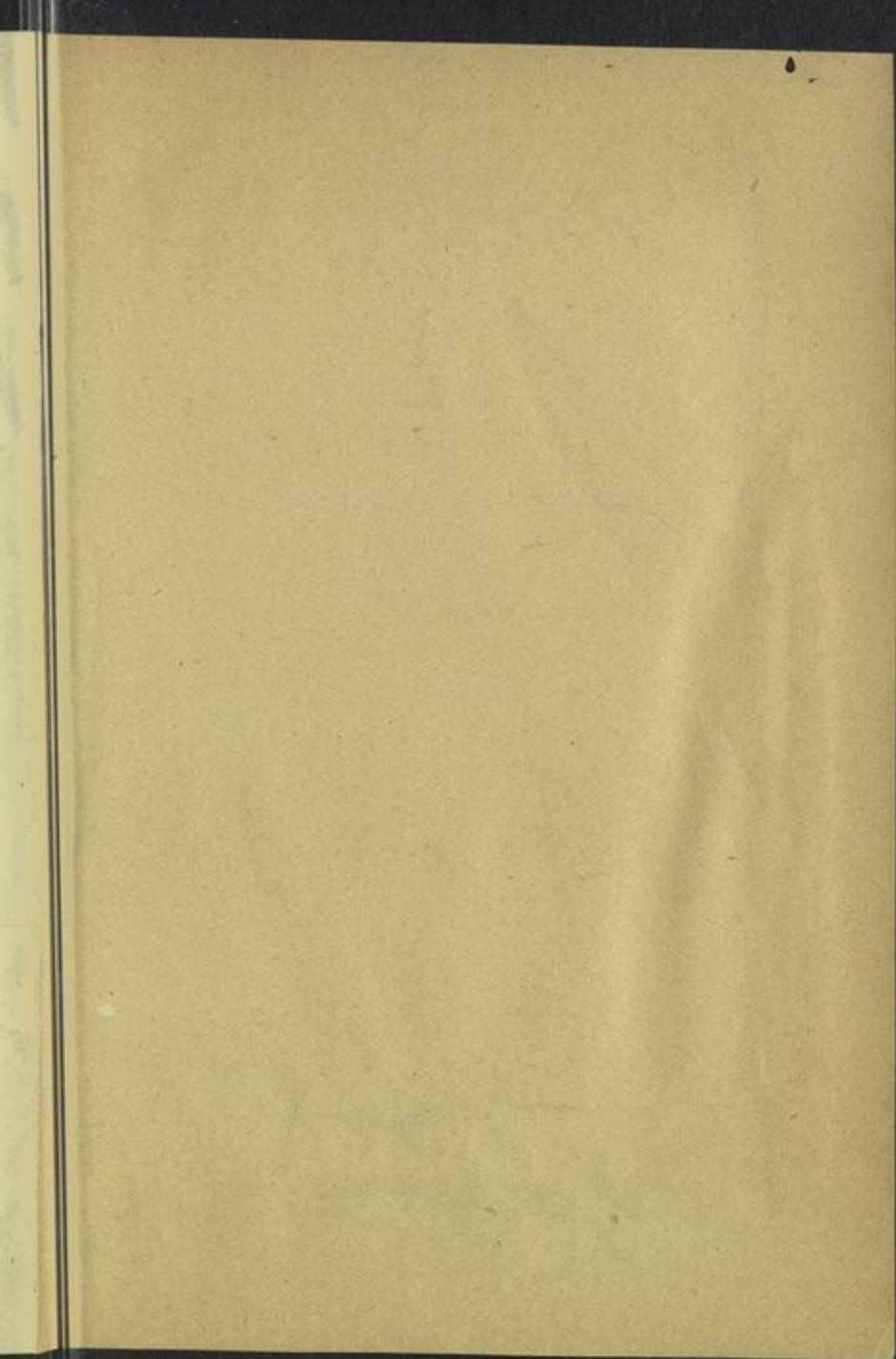
~~21 88~~

~~2 APR 1986~~

~~21 88~~

JAFET LIB

13 DEC 1982



مختصر شعب الاميار

للامام المحدث العلامة الحافظ الفقيه المجتهد أبي بكر أحمد
ابن الحسين البيهقي صاحب السنن الكبرى وغيره
المولود سنة ٣٨٤ ، والمتوفى سنة ٤٥٨

تأليف

الشيخ الامام أبي جعفر عمر القزويني المتوفى سنة ٦٩٩

صححه وعلق عليه (للمرة الثانية سنة ١٣٥٥ هـ) السلفي الشهير
محمد منير الدمشقي من علماء الازهر الشريف ومدير

إدارة الطباعة المنيرية

حقوق الطبع محفوظة

٢٥٥

درب الاتراك رقم ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل مناط قبول أعمال المكلفين الايمان به وبرسوله
وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، والصلاة والسلام على
رسوله المبين لنا خصال الايمان بأنها بضع وستون أو بضع وسبعون
شعبة على حسب ما نطقت به الأحاديث الصحيحة ، وعلى آله وصحبه
ومن عمل بشرعه إلى يوم الدين *

(أما بعد) فيقول الراجي رحمة ربه الغني محمد منير الدمشقي
الازهرى إني كنت شرعت بطبع كتاب مختصر شعب الايمان
للامام العلامة الشيخ أبي جعفر عمر القزويني بعد ما صححت أصوله
وعلقت عليه حسب الحاجة إلى ذلك سنة ١٣٤٣ هجرية وبعد أن
تم طبعه ونشر عنه أخذت تتوافد عليه الطلبات من كل جهة حتى نفدت
نسخه وعزمت على طبعه مرة ثانية إلا أن الظروف لم تمكنني من ذلك
مباشرة لأنني كنت شارعا في طبع كتب كبيرة كعمدة القارى شرح
صحيح البخارى ، وشرح المفصل لابن يعيش وغير ذلك هـ
فقضت الأمر إلى الله تعالى وطلبت منه التيسير فوافق ساعة
اجابة فوفقت لطبعه ثانياً مع زيادات في الأصل وجدتها في نسخة
مخطوطة سنة ٨٣٢ في المكتبة النورية بمصر المحمية ووسعت
التعليق عليه أيضا فجاء يسر القارى والناظر فيه فأشكر الله على ذلك
وها أنا أرفه إلى القراء رجاء الثواب هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (١) عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ
النَّبِيِّينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ إِلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَعَلَى
آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَصَحْبِهِ الطَّاهِرِينَ، وَأُمَّتِهِ الْمُتَّقِينَ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ
أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ۝

(وَبَعْدُ) فَقَدْ تَكَرَّرَ مِنْ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا نَادِرُ بِلَادِهِ، وَنَاصِحِ
عِبَادِهِ، وَعَلَامَةِ زَمَانِهِ، وَأَعْجُوبَةِ أَوَانِهِ، شَمْسُ الْمِلَّةِ وَالْدِّينِ، مُحَمَّدُ بْنُ
الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي الْبَدْرِ بْنِ الْمُلْحَى الْمَزْيِ الْفَقِيهِ. الْمُحَدَّثُ الْوَاعِظُ، أَدَامَ
اللَّهُ تَوْفِيقَهُ. وَجَعَلَ السَّعَادَتَيْنِ صَاحِبَهُ وَرَفِيقَهُ - عِدَّةَ مَكْتُوباتٍ مِنْ
وَاسِطٍ إِلَى بَغْدَادَ فِي السُّؤَالِ عَنْ عِدَدِ شُعَبِ الْإِيمَانِ حَيْثُ وَرَدَ
فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى

(١) سقط لفظ الصلاة في بعض النسخ ولعله من النساخ سهواً

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً
أَعْلَاهَا أَوْ فَارَعُهَا أَوْ فَافْضُلُهَا عَلَى اخْتِلَافِ الرُّوَايَاتِ - قَوْلُ: لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ
الْإِيمَانِ» (١) وَإِنَّهُ بِصَدَدِ إِحَاطَةِ عَلَيْهِ بِتَفْصِيلِهَا عَدَدًا وَتَأْخَرِ الْجَوَابِ

(١) اعلم أن هذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه بلفظ «الايان
بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان» ولم تختلف الطرق عن أى
عامر شيخ شيخ البخارى فى ذلك . وتابعه الحمانى — بكسر المهملة وتشديد
الميم — عن سليمان بن بلال . واخرجه أبو عوانة من طريق بشر بن عمرو
عن سليمان بن بلال فقال : « بضع وستون أو بضع وسبعون » وهكذا
وقع التردد أيضا فى رواية مسلم من طريق سهيل عن عبد الله بن دينار .
ورواه أصحاب السنن الثلاثة من طريقه فقالوا « بضع وسبعون » من غير
شك * ولأبى عوانة فى صحيحه من طريق « ست وسبعون أو سبع وسبعون »
وترجح رواية البخارى بأن العدد فيها متيقن وما عداها فمشكوك فيه .
وعلى الرواية الثانية درج المصنف . وأما رواية الترمذى بلفظ « اربع
وستون » فعلولة وعلى صحتها لا تخالف رواية البخارى *

وقال الامام النووى رحمه الله : والصواب ترجيح « بضع وسبعون »
لأنها زيادة من ثقات وزيادة الثقات مقبولة مقدمة وليس فى رواية
« السبع وستون » ما يمنع * وسيأتى تفسير الايمان والحياء بعد ان شاء الله تعالى *
والبضع بكسر الباء - وحكى فتحها لغة - عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث
الى التسع كما جزم به القزاز ورجحه الحافظ ابن حجر واستدل له ،

وقال ابن سيده : الى العشر ، وقبل من واحد الى تسعة .

والشعبة — بضم الشين — هى القطعة والفرقة وهى واحدة الشعب
 - وشعب الشجرة أغصانها - والمراد منها فى الحديث الخصلة أو الجزء أى ان
 الايمان ذو خصال متعددة ، قال الامام محيى الدين ابو زكريا النووى فى
 شرحه هذا الحديث من صحيح البخارى . وقد صنف العلماء فى تعيين هذه
 الشعب كتباً كثيرة من اغزرها فوائد واعظمها جلالة — كتاب المنهاج —
 لابي عبد الله الحلبي ثم هذا الامام الحافظ ابو بكر البيهقي حذوه وزاد
 عليه واتى فى التحقيق والفرائد بما لا مزيد عليه فى كتابه — شعب الايمان —
 فرحمه الله تعالى ورضى الله ، وقال الامام الحافظ ابو حاتم بن حبان
 — بلسر الحاء — البسى . تتبعت معنى هذا الحديث مدة وعددت
 الطاعات فاذا هى تزيد على هذا العدد شيئاً كثيراً فرجعت الى السنن
 فعددت كل طاعة عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايمان فاذا
 هى تنقص عن البضع والسبعين فرجعت الى كتاب الله سبحانه وتعالى
 وقرأته بالتدبر وعددت كل طاعة عدها الله تعالى من الايمان فاذا هى تنقص
 عن البضع والسبعين فضمامت الى الكتاب السنن واسقطت المعاد - أى المكرر -
 فاذا كل شئ عده الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم من الايمان تسع
 وسبعون شعبة لا تزيد عليها ولا تنقص فعلمت ان مراد النبى صلى الله عليه
 وسلم ان هذا العدد فى الكتاب والسنن ، ذكر ذلك فى كتاب وصف
 الايمان وشعبه اه قال القاضى عياض : تكلف جماعة حصر هذه الشعب
 بطريق الاجتهاد . وفى الحسب بكون ذلك هو المراد صعوبة ولا يقدح عدم
 معرفة حصر ذلك على التفصيل فى الايمان اه . قال الحافظ ابن حجر
 فى الفتح : ولم يتفق من عد الشعب على نمط واحد واقربها الى الصواب طريقة

لأسباب وعوارض (١) *

فحين طال الزمان ، وكثر التكرار ، أحضرت كتاب شعب
 الايمان للامام الحافظ الفقيه ابى بكر أحمد بن الحسين البيهقي
 مجلدات لأنقلها بذاتها فوجدتها متفرقة في جميعها لم يجمعها أولاً في
 الخطبة ولا في المجلد الأول ، ثم اعتنى بتفاصيل شروحها لئلا يفرقها
 في جميع الكتاب . فدعيتي الضرورة إلى أن أجمعها من مجموعها .
 وأجعلها مختصرة كرؤوس المسائل : واقنع باستدلال آية من كتاب
 الله تعالى . أو بحديث من أصح ما روى فيه عن رسول الله ﷺ :
 وربما زدت في بعض الشعب آية أو آيات : أو حديثاً أو كلمات .
 أو حكاية أو حكايات . أو بيتاً أو أبيات . لم يذكرها البيهقي وقد
 بوبها سبعة وسبعين باباً .

ابن حبان لكن لم نقف على بيانها من كلامه اه ، وقد لخصها الحافظ ابن حجر
 واوردها في الفتح لولا التطويل لذارتها .

(١) قوله وأنه بصدد إحاطة علمه الخ أى وتكرر من ذلك البعض انه
 بصدد اردادته احاطة علمه بتفصيل شعب الايمان عددا فالضمير عائد الى
 ذلك البعض *

أَنبَا بَجَمِيعِهَا عَنْهُ وَجَمِيعِ الْكِتَابِ الْمُنْقُولِ هَذَا مِنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ
 الشَّيْخُ الْعَالِمُ مُسْنَدُ الْعِرَاقِ رَشِيدُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنُ عُمَرَ الْمُقَرِّي الْبَغْدَادِيُّ بِهَا . وَالْقَاضِي تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ سَلِيمَانَ
 ابْنَ حَمَزَةَ بْنِ أَحْمَدَ الْمُقَدَّسِيَّ مِنْ دِمَشْقَ قَالُوا جَمِيعًا أَنبَا الشُّيُوخَ الرُّوَاةَ
 أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَنْجَبِيُّ بْنُ أَبِي السَّعَادَاتِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَلَامِيِّ .
 وَأَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَارِسْتَانِيِّ . وَأَبُو الْقَاسِمِ عَلَى
 ابْنُ الْحَافِظِ أَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَوْزِيِّ (١) قَالُوا
 جَمِيعًا أَنبَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الزَّيْنَجَانِيَّ فِي صَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ
 وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، قَالَ أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ
 ابْنُ الْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَيْهَقِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي
 جَدِّي الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ .

ح (١) وَأَخْبَرَنَا هَا عَالِيًا عَدَدًا مُسْنَدُ الْوَقْتِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ
 أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُقَدَّسِيُّ إِجَازَةً عَامَّةً إِنْ لَمْ تَكُنْ خَاصَّةً . قَالَ
 أَخْبَرَنَا حَافِظُ بَغْدَادٍ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَوْزِيُّ
 وَمُفْتِي خُرَاسَانَ أَبُو سَعْدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الصَّفَّارُ النَّيْسَابُورِيُّ

(١) ح هذا الحرف وضعه المحدثون علامة للتحويل إلى الانتقال في السند اهـ

إِجَازَةً خَاصَّةً . قَالَا أَنبَأْنَا كَذَلِكَ أَبُو الْقَاسِمِ زَاهِرُ بْنُ طَاهِرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ
الشَّحَامِيُّ وَجَمَاعَةٌ . قَالُوا أَنبَأْنَا الْإِمَامُ الْخَافِضُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ
الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

قَالَ : (١) الْإِيمَانُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَالْمُؤْمِنُونَ
كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ) وَلِقَوْلِهِ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ) ثُمَّ سَأَلَ فِيهِ
حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ
النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَنَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسُهُ وَمَالُهُ
إِلَّا بِحَقِّهِ وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ » وَحَدِيثُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ
الْجَنَّةَ » (١) .

(١) الْإِيمَانُ لَهُ مَعْنِيَانِ لُغَوِيٌّ - وَهُوَ مُطْلَقُ التَّصَدِيقِ - وَشَرْعِيٌّ وَهُوَ
تَصَدِيقُ النَّبِيِّ ﷺ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِمَّا عَلِمَ مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةً ، وَفَسَّرَهُ الرَّسُولُ
ﷺ بِالْأَصُولِ الْخَمْسَةِ فِي حَدِيثِ سِوَالِ جَبْرِيلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « أَنْ تَوَدَّ أَنْ تَمُنَّ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَتَوَدَّ أَنْ يَنْقُذَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ » وَقَدْ
جَافَى الْقُرَّاءُ الْحَكِيمُ إِطْلَاقَهُ أَيْضًا عَلَى هَذِهِ الْأَصُولِ الْخَمْسَةِ فِي مَوَاضِعَ ، مِنْهَا
قَوْلُهُ تَعَالَى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ) الْآيَةُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى

(ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب) الآية
 وقوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤاتون الزكاة وهم ينفقون)
 والمشهور عن السلف واهل الحديث ان الايمان قول وعمل ونية وان الاعمال
 كلها داخلة في مسمى الايمان ، وحكى الشافعي رحمه الله تعالى على ذلك اجماع
 الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن ادرتهم ، وانكر السلف على من اخرج
 الاعمال عن الايمان انكارا شديدا ، ومن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا
 محدثا سعيد بن جبير . وميمون بن مهران . وقتادة . وابو ايوب السخيتاني .
 والنخعي . والزهري . وابراهيم . وبجي بن ابى كثير وغيرهم حتى قال الامام
 سفيان الثوري : هو رأى محدث ادركننا الناس على غيره ، وقال الاوزاعي :
 وكان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والايمان .

والايمان بالله عز وجل هو الاعتقاد والتصديق بأنه إله خالق قادر عالم لا يعزب
 عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض متصف بكل كمال منزّه عن كل
 نقص لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فكل ما جاء وصفه تعالى به في القرآن
 الحكيم نعتده ونصدق به وكذلك كل ما جاءت به الاخبار الصحيحة على
 لسان الرسول المعصوم موصوفا بها بصفات نصدق بها ونزّهه عن الشبه
 والمثل كما نزّه نفسه جل جلاله بقوله (ليس كمثل شيء) وهو السميع البصير
 ونكف عن الخوض في التشابه ونكل امره إلى خالقنا وموجدنا ولا يحمل
 الناس على خلاف ذلك من تأويلات الفلاسفة والمتكلمين التي ما انزل الله
 بها من سلطان ، اللهم وفق الامة واصالح الراعي والرعية .

والحديث الاول رواه اصحاب الكتب الستة من طرق مختلفة وبألفاظ
 متقاربة حتى قال الحافظ جلال الدين السيوطي انه متواتر ، ورواه البيهقي
 واحمد بن حنبل . وابن حبان . والدارقطني ، وقوله « أمرت » هو بصيغة
 المجھول فالأمر هو الله تعالى وإذا قال الصحابي ذلك فهم أن رسول الله ﷺ

﴿ ٢ ﴾ الْإِيمَانُ بِرُسُلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَسَلَّمَ
 لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ)
 وَلِحَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي سُؤَالِ
 جِبْرِائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ
 وَرُسُلُهُ » الْحَدِيثُ (١) هـ

أمره ، وقوله « عصم » أى حفظ وحقق نفسه من الإيقاع فيها وماله من أخذه
 والاستيلاء عليه هـ

وضمير بحقه راجع الى الاسلام المفهوم من قوله لا اله الا الله . وفر رواية
 لمسلم « لا يحقها » أى الشهادتين وقوله « وحسابه على الله » معناه فيما يسره من
 الكفر والمعاصي . فانا نحكم عليه بالاسلام ونؤاخذه بحقوقه بحسب ما يقتضيه
 ظاهر حاله والله سبحانه وتعالى يتولى حسابه ، والحديث الثانى رواه الامام
 مسلم فى صحيحه ، قال المصنف رحمه الله تعالى ، وظاهره ان من مات وهو يعلم
 ان لا اله الا الله دخل الجنة وإن لم يعلم ان محمدا رسول الله ﷺ وليس كذلك ،
 والجواب ان هذه الجملة هى عنوان عما جاء به الدين من اعتقادات واعمال
 فاذا اطلقت علم منها ذلك هـ

(١) الإيمان بالرسول هو تصديقهم بجميع ما جاءوا به وأنهم بلغوا
 ما أنزل إليهم وقاموا به وادوا الرسالة وأنهم معصومون عن الكبائر والصغائر
 عمدا لاسهوا وخطأ بشرط التذكر فى الحال والتنبه عليه بحسن المقال ارسلهم
 الله الى الخلق لهدايتهم وتسكين معاشهم ومعادهم وايدهم بالمعجزات الدالة

﴿ ٣ ﴾ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ لِلآيَةِ وَالْحَدِيثِ الْمَذْكُورِينَ (١) *

على صدقهم ، وانا يجب علينا احترامهم وتعظيمهم لانفرق بين احدهم
كما أخبر الله تعالى بذلك ، والنبي ﷺ انسان اوحى اليه بشرع يعمل به ولم
يؤمر بتبليغه ، والرسول انسان اوحى اليه بشرع وامر بتبليغه .

(١) الايمان بالملائكة هو التصديق بان الله خلقا تسمى ملائكة لا يعصون

الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون كما اخبر الله جل وعز في كتابه المنزل على
نبيه المكرم ، والملائكة جمع ملائكة على وزن - مفعل - في الاصل ثم حذف
همزته لكثرة الاستعمال فقليل ملك ، وقد تحذف الهاء فيقال : ملائكة ،
وقيل اصله ما لك بتقديم الهمزة من الالوك وهي الرسالة ثم قدمت الهمزة وجمع
وحقيقة الملائكة اجسام نورانية لطيفة مبرأة من البدورات النفسانية

والظلمات الحيوانية مقتدرة على تشكيلات مختلفة معصونون عن المخالفة ، وهم
اقسام : منهم الوسائط بين الله وانبيائه المبعوثين إلى الخليقة ، ومنهم الموكل بالرياح
ومنهم الموكل بحمل العرش . ومنهم الموكل بقبض الأرواح ، وغير ذلك ما جاء
به التصريح في القرآن والسنة اجمالا وتفصيلا واجمع عليه الامة ، وقد ظهرت
طائفة مبتدعة في زماننا وانكروا جميع ما وراء الطبيعة واولوا اكل ما جاء به القرآن
نصا صريحا بلا شك ولا ريب وحملوه على معان باطنية فخرقوا اجماع المسلمين
ونفروا ما جاء في القانون الالهي وتستروا تحت دعوة الاصلاح الا ان الله كشف
سترهم وفضح امرهم وقام جميع اهل العلم الديني من مدرسين ووعاظ ومرشدين
ضدهم وبيّنوا للامة المحمدية ضلالهم وانهم مارقون من الدين فعلم بذلك اولياء
الامور فأخذوا على ايديهم وصادروا مانشروه وابعدهم إلى اقاصي الجهات
ومنعواهم من الكلام المزيف والعقائد الباطلة والضلال الذي يهوى بالامة
ويرجع الفضل في ذلك إلى رؤساء الدين العاملين والصلحاء المصلحين
اللهم اقطع دابر المفسدين وشتت شملهم وردهم على اعقابهم خاسرين *

*) (٤) * الْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ وَجَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ قَبْلَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى
رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ) وَلِلَّائِيَةِ وَالْحَدِيثِ الْمَذْكُورِينَ
أَيْضًا (١) ٥

(٥) (الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقَدَرَ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى : (قُلْ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ) وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ *
أَحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُوْنَا خَيْبَتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنْ

(١) الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ هُوَ التَّصَدِيقُ بِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى كَتَبَا أَنْزَلَهَا عَلَى
أَنْبِيَائِهِ مُشْتَمِلَةً عَلَى قَوَائِنٍ صَالِحَةٍ لِلْإِمَامِ أَنْ تَحْكَمَ بِهَا وَمُرَافِقٍ وَمَوَاقِظَ إِلَى
غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْفَظُ كَيَانَ الْأُمَّةِ وَيَرْفَعُ مَنْزِلَتَهَا وَيَعْلُوَ بِهَا إِلَى أَوْجِ الرُّقَى وَالْقَدَمِ،
وَهِيَ تَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ مِنْهَا مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَلْوَاحِ أَوْ مَسْمُوعٌ مِنْ وَرَاءِ
حِجَابٍ أَوْ مِنْ مَلِكٍ مُشَاهِدٍ أَوْ هَاتِفٍ ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْلَمَ أَنْ كُلَّهَا وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى مُشْتَمِلٌ عَلَى أَحْكَامِهِ وَأَخْبَارِهِ وَأَعْلَامِهِ ، وَيَصْدُقُ بِأَنْ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ
سَبَّحَانَهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَهُوَ الْمَكْتُوبُ فِي مَصَاحِفِنَا الْمَحْفُوظِ فِي قُلُوبِنَا وَصُدُورِنَا
الْمَقْرُوءِ بِأَلْسِنَتِنَا ، قَالَ الْعُلَمَاءُ : الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ مِائَةً كِتَابًا وَارْبَعَةً مِنْهَا خَمْسُونَ
عَلَى شَيْثٍ وَثَلَاثُونَ عَلَى إِدْرِيسَ وَعَشْرَةٌ عَلَى آدَمَ وَعَشْرَةٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَالتَّوْرَةُ
عَلَى مُوسَى وَالْإِنْجِيلُ عَلَى عِيسَى وَالزَّبُورُ عَلَى دَاوُدَ . وَالْفُرْقَانُ عَلَى نَبِينَا
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ *

الجنة فقال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة
بيده اتلومني على امر قدره الله على قبل ان يخلقني باربعين سنة قال
خجج آدم موسى (١) *

(١) الايمان بالقدر هو التصديق بأن كل ما يقع في الارض والسماء
انما هو بقدر الله تعالى وتقديره وان كل ما قدره الله تعالى واقع لا محالة،
وكل ما لم يقدره الله تعالى يستحيل وقوعه ، والقدر - بتحرك الدال وقد تسكن -
مصدر قدرت الشيء بفتح الدال مخففة اذا احطت بمقداره - هو ما قضاه
الله سبحانه وتعالى وحكم به من الامور والحاصل ان على الانسان ان يعتقد
ان الله تعالى قدر الخير والشر قبل خالق الخلق وان جميع الكائنات بقضاء الله
وقدره وهو مريد لها فكل حادث في العالم فعله وخلقه واختراعه لا خالق سواه
فالطاعات يحبها ويرضاها ويثيب عليها بخلاف الكفر والمعاصي قال الله
تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) والارادة لا تستلزم الرضا وقال تعالى
(انا كل شيء خلقتنا بقدر) ولو كان العبد يخلق الشر والمخالفات - وهي
أكثر وقوعا من الطاعات - لكان اكثر ما يجري في الوجود على خلاف
مراد المعبود وذلك لا يرضاه امير بلدة ولا زعيم قرية ه قال الامام الغزالي
رحمه الله : كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت
والنحل ونحوها من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الالباب فكيف
انقردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر
عنهما من الاكساب هيئات دلت المخلوقات على خالق المصنوعات اه ،
واقصر على القدر دون القضاء لانه من باب الاكتفاء على حد قوله تعالى :
(سراييل تقيمكم الحر) أى والبرد لان القضاء والقدر أمران متلازمان

وَبِالْأَسْنَادِ الْمَذْكُورِ أَنْشَدَنَا الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ قَالَ أَنْشَدَنِي
أَبُو الْفَوَارِسِ جُنَيْدُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبْرِيُّ :

الْعَبْدُ ذُو ضَجَرٍ وَالرَّبُّ ذُو قَدَرٍ وَالْدَّهْرُ ذُو دُولٍ وَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ
وَالْخَيْرُ أَجْمَعُ فِيمَا اخْتَارَ خَالِقُنَا وَفِي اخْتِيَارِ سِوَاهُ الْكُلُّ وَالشُّومُ

(٦) الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) قَالَ الْحُلَيْمِيُّ وَمَعْنَاهُ التَّصْدِيقُ بِأَنَّ
لِأَيَّامِ الدُّنْيَا آخِرًا . وَأَنَّهَا مُنْقَضِيَّةٌ . وَهَذَا الْعَالَمُ مُنْقَضٌ يَوْمًا فَيُ

لَا يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخِرِ لِأَنَّ أَحَدَهُمَا بِمِثْلَةِ الْإِسَاسِ وَالْآخِرُ بِمِثْلَةِ
الْبَيْنَانِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقوله في الحديث « خيبتنا » أى أوقعتنا في الخيبة وهى الحرمان، وقوله
« وخط لك التوراة بيده » هذه الكلمة وما شابهها مما يؤهم الجارحة الحسية
يجب أن تبقى على ظاهرها بدون تأويل ولا تصحيف ولا تحريف وتؤمن
بما جاء فى الكتاب والسنة من هذا القليل . وتفوض معناه إلى البارئ تعالى
وأنه ليس مثله شئ . واقتد بسلفك الصالح ولا تكن مجسما فتشبهه ولا معطلا
فتفتى . ولا جهميا فتأول ولا تبحث فى هذا وتجعله شركا تصيده من أغررته
بطلاوة كلامك وشقشقة لسانك لتلبس إبليس عليك وتحسينه لك وتبتغى
بذلك إضلال الناس وتشكيكهم فى دينهم قال الله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله
والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) *

الاعتراف بانتفائه اعترافاً بابتدائه إذ القديم لا يفنى ولا يتغير»
 وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «والذي نفس محمد بيده
 لتقوم الساعة وثوبهما بينهما لا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة
 وقد انصرف الرجل بلبن لقحته من تحتها وقد رفع أكلته إلى فيه
 لا يطعمها» الحديث (١) *

(٧) الإيمان بالبعث بعد الموت لقوله تعالى . (زعم الذين
 كفروا أن لن يبعثوا قل بل يورثني لتبعثن) ولقوله تعالى : (قل الله
 يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) * ولحديث عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه في الصحيح في حديث الإيمان « الإيمان أن
 تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث من بعد الموت

(١) الإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة لانه آخر أيام
 الدنيا ووجود ما اشتمل عليه من سؤال المملكين ونعيم القبر وعذابه والجزاء
 على الأعمال الصالحات والعقاب على الأعمال السيئات والبعث والحساب
 والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك مما ورد في القرآن الكريم
 وصح عن الرسول الأمين عليه الصلاة والتسليم، وقوله في الحديث « بلبن
 لقحته » بكسر اللام والفتح لغة الناقة القريبة العهد بالتاج ، والله أعلم *

وَبِالْقَدَرِ كُلُّهُ (١) *

(٨) الْإِيمَانُ بِحُشْرِ النَّاسِ بَعْدَ مَا يَبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْمَوْقِفِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ° وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ . يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أَذْنِيهِ (٢) °

(١) الإيمان بالبعث هو الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى يبعث الاموات ويحييها بعد أماتهم من قبورهم ويخرجهم ويسيرهم الى يوم القيامة يوم الحسرة والندامة على أقوام ويوم البهجة والسرور لاقوام آخرين وأصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه يقال بعثته فانبعث ، والبعث على ضربين بشري كبعث البعير وبعث الانسان في حاجة ، والهي وذلك ضربان أحدهما إيجاد الاعيان والاجناس والانواع عن ليس وذلك يختص به الباري تعالى ولم يقدر عليه أحدا ، والثاني احياء الموتى وقد خص بذلك بعض أوليائه كعيسى عليه السلام وأمثاله °

(٢) الإيمان بالحشر حيث يجمع الله الناس ليظهر ميزة خيرة مخلوقاته ولا يخفي اهانة الذين عصوا أمر ربهم واتخذوا آيات الله هزوا ولعبا لان الاكرام والاهانة بين الملائكة يكون ارفع الاول واحط للثاني وبقدر درجه الاجتماع يحصل الصعود والهبوط فكيف بهذا المشهد العظيم يجتمع فيه الاولون والآخرين وهناك فضيحة العاصي واشهار فضل الطائع أنا لننصر رسلنا والذين امنوا

(٩) الْإِيمَانُ بِأَنَّ دَارَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا فِيهَا الْجَنَّةُ ، وَدَارَ الْكَافِرِينَ وَمَا فِيهَا النَّارُ لقوله تعالى (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١) وَلِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

في الحياة الدنيا يوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار « ليشهد كل امرئ عمله ولا ينفعه الا اتباع الحق ولا يجديهم تمسكه بغير ما نزل الله شيئا وهناك يحصل الانكار والتبري (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) ويشهد العداء بين المجرمين وتستحكم المودة والسرور بين المؤمنين خاصة قال تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) أى لاعداء دينهم »

(١) قوله : « دار المؤمنين الجنة ودار الكافرين النار » تتم نعمة الله على من اطاعه فضلا بدخول الجنة عرضها السموات والارض ونقمته على من عصاه عدلا منه بالالقاء في نار ترمى بشرر كالقصر كانه جمالة صفر وذلك لانقضاء زمن التكليف والخلاص من محنة البلاء وظهور القابلية لان مقدمة الحياة الدنيا مع البرزخ لا بد ان يظهر منهما نتيجة هي السعادة في الآخرة او العكس والعياذ بالله تعالى فيظهر كل مجبأ ولا يغير الشكل الظاهري الا اذا كان موافقا للباطن ولا تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا ولا يفيدهم جمعهم كذلك قال تعالى (ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى

فِي الصَّحِيحَيْنِ « إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا مَاتَ عَرَضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ
النَّارِ يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

(١٠) (الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ حُجَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (١) لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَمِنْ

عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهْوَاءَ الَّذِينَ اقْسَمْتُمْ لَا يَنْبَاهُكُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ
أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) وَأَنَّهَا الدَّارُ الْآخِرَةُ وَالْخَاتِمَةُ
الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا يَجْدُلُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مَا بَلَغَهُ مِنْ وَعْدٍ وَوَعْدٍ فَذَا انْقَضَى
الْحِسَابُ وَأَدْخَلَ كُلٌّ فِي مَنْزِلِهِ عِنْدَ تَذْقِيلِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا
نَعَمْ فَأَذْنُ مُؤَذِّنٍ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
عُوجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ وَيَنْهَاهُمَا حِجَابٌ) فَيَكُونُ سَهْمُ الْمُسْكِنِينَ جَزَاءً
وَقَالَ (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نَكْفِيهِمْ أَنْفُسَهُمْ أَوْ لَسَعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ
رُسُلٌ بِالنَّبَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتَلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ تُرْسِمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) هـ

(١) الْحُبَّةُ كَمَا قَالَ الْأَمَامُ شَمْسُ الدِّينِ بْنِ قِيمٍ فِي كِتَابِهِ مَدَارِجُ السَّالِكِينَ
أَنَّهَا لَا تَتَّحِدُ بِحَدٍّ وَأُضْحِ مِنْهَا فَالْحُدُودُ لَا تَزِيدُهَا الْإِخْفَاءَ وَجَفَاءً، فَخُدُودُهَا
وَلَا تُوصَفُ بِالْحُبَّةِ بِوَصْفِ أَظْهَرٍ مِنَ الْحُبَّةِ، وَأَمَّا يَتَكَلَّمُ النَّاسُ فِي أَسْبَابِهَا
وَمَرْجَبَاتِهَا وَعِلَامَاتِهَا وَشَوَاهِدِهَا وَثَمَرَاتِهَا وَأَحْكَامِهَا فَخُدُودُهَا وَرُسُومُهَا

النَّاسَ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) * وَلِحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ ثَلَاثٌ مِنْ كُنْ فِيهِ وَجَدْنَهُنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِنَّ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُوقَدَ لَهُ نَارٌ فَيَقْدَفُ فِيهَا *

دارت على هذه الستة ، ولنذكر لك بعض الرسوم والحدود التي قبلت فيها :
 المحبة هي الميل الدائم بالقلب الهائم ، وقيل ايثار المحبوب على جميع المصحوب ،
 وقيل موافقة الحبيب في المشهد والمغيب ، وقيل خوف ترك الحرمة مع إقامة
 الخدمة ، وقيل معانقة الطاعة ومباينة المخالفة ، وقيل ان تمحو من القلب ما سوى
 المحبوب ، وقيل المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب *

وقوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا) الآية يخبر
 المولى جل شأنه أن من احب شيئا من دون الله كما يحب الله تعالى فهو بمن
 اتخذه من دون الله اندادا ، فهذا ند في المحبة لافي الخلق والربوبية فان احدا
 من اهل الارض لم يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فان اكثر اهل الارض
 قد اتخذوا من دون الله اندادا في الحب والتعظيم ، ثم قال الله تعالى : (والذين
 آمنوا اشد حبا لله) وفي تقدير الآية قولان : احدهما (والذين آمنوا اشد حبا لله)
 من اصحاب الانداد لان ادأهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله ،
 والثاني (والذين آمنوا اشد حبا لله) من محبة المشركين بالانداد لله فان محبة

وَبِهٖ اَنْبَاُ الْبِهَقَى قَالَ سَمِعْتُ اَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمَى يَقُولُ سَمِعْتُ
 اَبَانَصْرَ الطُّوسِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ جَعْفَرَ الْخَلْدِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ الْجَنِيْدَ يَقُولُ
 قَالَ رَجُلٌ لِسَرِيِّ السَّقَطِيِّ كَيْفَ اَنْتَ فَاَنْشَأَ يَقُولُ :

مَنْ لَمْ يَبْتَ وَالْحُبُّ حَشْوُ فُؤَادِهِ لَمْ يَدْرْ كَيْفَ تَفَقَّتْ الْاَكْبَادُ
 وَبِهٖ اَنْبَاُ اَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمَى قَالَ سَمِعْتُ اَبَانَصْرَ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ
 ابْنَ اَسْمَاعِيلَ قَالَ سَمِعْتُ اَبَا الْقَاسِمِ الشَّيْرَازِيَّ الْوَاعِظَ قَالَ سَمِعْتُ اَبَادُجَانَةَ
 يَقُولُ كَانَتْ رَابِعَةٌ اِذَا غَلَبَ عَلَيْهَا حَالُ الْحُبِّ تَقُولُ :

تَعَصَى الْاِلَهِ وَاَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْفِعَالِ بَدِيعُ
 لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَاطَعْتُهُ اِنَّ الْحُبَّ لَمِنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهب أندادهم بقسط منها هـ
 والحديث الذي ذكره المصنف هو ما قال في الصحيحين ورواه غير البخاري
 ومسلم كالترمذي والنسائي ، قال النووي رحمه الله تعالى : هذا حديث عظيم
 واصل من اصول الاسلام ، قلت : كيف لا وفيه محبة الله ورسوله التي هي اصل
 الايمان بل عينه ولا تصح محبة الله ورسوله حقيقة ولا حب لغير الله ولا لراية
 الرجوع في الكفر الا لمن قوى الايمان في نفسه وانشرح له صدره وخالطه
 دمه ولحمه وهذا هو الذي وجد حلاوته حقاً هـ

(١١) الْإِيمَانُ بِجُوبِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
 (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشُوا اللَّهَ) (وَلِإِيَّائِي فَارْهُبُوا) (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا
 وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ)
 (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ) (ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي
 وَخَافَ وَعِيدٌ) *

وَلِحَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ «اتَّقُوا
 النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» وَلِحَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا «لَوْ تَعْلَمُونَ
 مَا أَعْلَمَ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» (١) *

(١) الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ، والحزن غم يلحق من فوات
 نافع أو حصول ضار . والرهبة الخوف والخشية خوف مع تعظيم ولذلك
 خصت بالعلماء في قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وهو من
 أجل منازل الطريق وانفعها للقلب وهو فرض على كل مكلف بدليل ما ذكره
 المؤلف من الآيات ، والوجل والخرف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة
 غير مترادفة *

فخوف الله تعالى دليل على معرفته ولها كانت المعرفة أقوى كان
 الخوف اشد ولهذا جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن الأغر

وَعَاتَبَ رَجُلٌ بَعْضَ إِخْوَانِهِ عَلَى طُولِ بُكَائِهِ فَبَكَى ثُمَّ قَالَ :
 بَكَيتُ عَلَى الذُّنُوبِ لِعُظُمِ جُرْمِي وَحَقَّ لِكُلِّ مَنْ يَعْصِي الْبُكَاءُ
 وَلَوْ كَانَ الْبُكَاءُ يَرُدُّ هَمِّي لَأَسْعَدَتِ الدُّمُوعُ مَعَادِمَاءُ
 وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَحْفُفُ فَوْهُ مِنْ
 هَذَا الْبَيْتِ :

وَلَا خَيْرَ فِي عَيْشِ أَمْرِي ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ اللَّهُ فِي دَارِ الْقَرَارِ نَصِيبُ
 وَسَمِعَ أَبُو الْفَتْحِ الْبَغْدَادِيُّ هَاتِفًا يَهْتَفُ بِالشُّوْنِيزِيِّ :

المزني ان رسول الله ﷺ قال : « ايه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله
 في اليوم مائة مرة » والمراد من الغين ما يغشى القلب من الفترات عن الذكر
 فان الرسول ﷺ مع انشغاله بمصالح الامة وامورها بعد الفترة عن ذكر
 الله ذنبا عظيما منافيا لجلال الله وعزته ولذلك يستغفر الله في اليوم مائة مرة
 والحال ان الله قد بشره بقوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)
 اى على فرض وقوع الذنوب وشدة المعرفة تورث الخشية فتجدها محصورة
 فى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) اى الذين يعلمون جلاله
 ويقدرونه حق قدره ومن لم يكن متصفا بذلك فلا يدرى الخشية ولا يعلم الا
 ما يتصوره دماغه بحسب جملة ضعفه وقوة *

واما العارف فانه بعد كل لحظة تمر عليه لا يذكر فيها الله ولا يتذكر هيئته
 وعظمته من اكبر الذنوب فتحتاج الى توبة ، فقد روى مسلم في صحيحه
 عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « يا ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَحَلِّينِ تَنَزَّلُ
فَذَهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ ۝

(١٢) الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ الرَّجَاءِ (١) مَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْلِهِ

إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَعْظِيمِهِ لِرَبِّهِ وَكَثْرَةِ احْتِرَامِهِ لَهُ وَلِهَذَا كَانَ
جُزْءًا مِنَ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ الْجَنَّةُ قَالَ تَعَالَى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ
عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) ۝

وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ هُوَ لَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الصَّدَقَةِ الْإِخْلَاصَ فِيهَا
لَا الْكَثْرَةَ فَشَقُّ التَّمْرِ إِذَا كَانَ عَنْ صَدَقَةٍ وَحَسَنَ طَوِيَّةٍ قَدْ يَكُونُ سَبَبٌ
لِلنَّجَاحِ لِأَنَّ الْحَسَنَاتِ لَا يَدْرِي بِأَيِّهَا يَكُونُ رِضَاءُ الْبَارِي تَعَالَى مُنَوَّطًا فَلَا يَنْبَغِي
لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَحْقِرَ عَمَلًا وَأَنَّ النَّارَ الَّتِي قَالَ تَعَالَى (وَلَنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا
كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا) ذَلِكَ بِخَشْيَةِ اللَّهِ وَتَقْدِيمِ الصَّدَقَاتِ
لِيَكُونَ حَائِلًا دُونَ وَصُولِ حَرَارَتِهَا فَهُوَ لَا يَبْخُلُ فِي بَذْلِ الْعَظِيمِ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْ
التَّصَدَّقِ بِالْحَقِيرِ لِأَنَّ الْأَمْرَ مُخْطَرٌ وَلَا قِيَمَةَ لِلْمَالِ بِنَفْسِهِ وَأَمَّا قِيَمَتُهُ بِمَا يَنْشَأُ
عَنْهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ الْمَطْلُوبَةِ فَقَدْ يَجُوزُ مَنْ كَانَ الْإِخْلَاصُ رَأْيَهُ وَخَشْيَةُ اللَّهِ مَلَأَتْ
قَلْبَهُ وَأَنْ لَمْ يَكُنْ مَقْدَمًا إِلَّا كَسْرَةً تَمْرَةٍ لِأَنَّهَا عِنْدَ اللَّهِ اعْظَمُ مِنْ جِبَالٍ مِنْ خَبَرٍ، وَإِلَى
هَذَا يُشِيرُ حَدِيثٌ ۝ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَصْحَابِي لَا تَتَخَذُوا مِنْ غَرَضًا مَنْ بَعْدِي
فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَتَقُّ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدِ هَبَالِمَا بَلَغَ مَدَاحِدَهُمْ وَلَا نَفِيسَهُ، ۝
وَقَوْلُهُ بِالشَّوْنِ نِزْيَةٌ هِيَ مَقْبَرَةٌ فِي بَغْدَادٍ خَاصَّةً بِالصَّالِحِينَ يُؤْمِنُ النَّاسُ لِلزِّيَارَةِ
(١) الرَّجَاءُ بِالْمَدِّ الْأَوَّلِ وَهُوَ تَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِمَرْغُوبٍ فِي حَصُولِهِ مَعَ الْإِخْذِ
فِي الْأَسْبَابِ . قَالُوا لَمْ يَأْخُذْ فِي الْأَسْبَابِ فَطُمِعَ وَهُوَ مَذْمُومٌ شَرْعًا ، قَالَ الْحَافِظُ
ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّ مِثْلَ الرَّاجِي مَعَ الْأَصْرَارِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ، كَمِثْلِ مَنْ رَجَا حَصَادًا
وَمَا زَرَعَ . وَوَلَدًا وَمَا نَكَحَ ، نَسَأَ اللَّهُ التَّوْفِيقَ ۝

تَعَالَى (يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)
 (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ
 بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) ٥

وَلَحْدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحِينَ «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ
 الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ
 مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ» وَلَحْدِيثُ جَابِرٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا
 وَهُوَ يَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ» وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحِينَ يَقُولُ اللَّهُ
 عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ
 وَأَنْشَدَ أَبُو عَمِيانَ سَعِيدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ :

مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ تُدْنِسَهُ وَإِنَّ ثَوْبَكَ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ
 تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

وَالذِّكْرُ فِي الْحَدِيثِ لَيْسَ قَاصِرًا عَلَى ذِكْرِ اللِّسَانِ فَقَطْ بَلْ يَعْمُ الْجَوَارِحُ كُلُّهَا
 فَذِكْرُ اللِّسَانِ بِالنَّثَاءِ ۝ وَذِكْرُ الْعَيْنَيْنِ بِالْبَكَاءِ ۝ وَذِكْرُ الْيَدَيْنِ بِالْعَطَاءِ . وَذِكْرُ
 الْأَذْنَيْنِ بِالْأَصْغَاءِ . وَذِكْرُ الْبَدَنِ بِالْوَفَاءِ . وَذِكْرُ الْقَلْبِ بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ .
 وَذِكْرُ الرُّوحِ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا ۝

(١٣) الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى: (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (وَعَلَى
اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) إِنَّ
اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ (١) ۝

(١) التوكل عمل القلب فلا ينافى حركة الجوارح خلافا لقوم ما فهموا
معنى التوكل وزعموا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل، وللحافظ
ابن الجوزي كلام نفيس في التوكل ذكره في كتاب تليس ابليس فعليك به
فانه انفس كتاب يقتنى ، وقد طبعناه حديثا، وروى الحكيم الترمذي وابن
ابي الدنيا ان عمر رضى الله عنه لقي ناسا من اهل اليمن فقال ما اتيتم ؟ قالوا
متوكلون فقال كذبتم ما اتيتم متوكلون انما المتوكل رجل ألقى حبه - أي زرعه -
في الارض وتوكل على الله ، ودليل هذا حديث ناقة الاعرابي حيث امره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « اعقلها وتوكل » كما رواه الترمذي
عن ابي هريرة فان التوكل مع العمل صنوان لا ينفكان ولا يفترقان ومن
اراد غير ذلك فقد حرف الحسك وناقض اساس الدين الاسلامي المبني على العمل
بشهادة قوله تعالى (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وقوله تعالى (فاذا
قضيت الصلاة فانثربوا في الارض وابتغوا من فضل الله) الآية وما عليه
المسلمون الآن من الكسل والبطالة وحب الخمول حتى قعدوا وسبقهم غيرهم وبقوا
اذلة ضعفاء لاحول لهم ولا طول ما ذاك الابشر دسائس الذين دخلوا في
الاسلام لاجل الافساد فبشوا افكارا فاسدة وعقائد زائفة وامورا منكرة
وبدعاً مضلة فشوهوا الاحكام الاسلامية وبدلوا في افعالهم كثير من الشريعة

وَلَحْدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي سُؤَالِ
أَصْحَابِهِ لَهُ عَنِ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا بَعِيرٌ
حَسَابٍ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هُمْ
الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ
عُكَّاشَةُ بْنُ مُحَصَّنٍ الْأَسَدِيُّ فَقَالَ أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَنْتَ مِنْهُمْ
ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرٌ فَقَالَ أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ سَبِّكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» (١)

المحمدية ورضوا بالخمر والاسقام وان يدوروا عالة على غيرهم او عبيداهم
ان يملثوا بطونهم ولا يهتمهم بعد ذلك شيء ظنا منهم انهم عملوا كمال التوكل
وهم قد ضلوا واضلوا عن سواء السبيل حيث خالفوا قول الله تعالى (وان ليس
للانسان الا ماسعى) ٥

(١) قال النووي: هذا الحديث من بديع الطب عند أهله لأن الأمراض
الابتدائية دموية أو صفراوية أو سوداوية أو بلغمية فإن كانت دموية فشفأوها
اخراج الدم وان كانت من الثلاثة الباقية فشفأوها بالاسهال المسهل اللاتق بكل
خلط منها فكانت به علاجها بالعمل على المسهلات وبالحجامة على اخراج الدم
وبالفصد ووضع العاق ومافي معناها وذكر السكي لأنه يستعمل عند عدم نفع
الأدوية المشروبة ونحوها فآخر الطب السكي والنهي عنه إلى تأخير العلاج
بالسكي حتى يضطر اليه لما فيه من استعجال الألم الشديد في دفع ألم قد يكون
أضعف من ألم السكي اه ٥ وقوله في الحديث. «لا يكتون» أى لا يكتوى
أحدهم إذا أصابه مرض بالنار للمرض وقد جاء النهي عنه في أحاديث كثيرة

وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى والثقة به مع ما قدر له من
التسبب ففي الصحيحين أيضاً من حديث الزبير رضي الله عنه «لأن
ياخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره
فيبيعها فيستغني بها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»
وفي صحيح البخاري من حديث المقدم بن معدي كرب رضي
الله عنه «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه قال

قال ابن الأثير إنما هي عنه من أجل أنهم كانوا يعظمون أمره ويرون أنه
يحسم الداء وإذا لم يكن العضو عطب وبطل، فنهام إذا كان على هذا الوجه
واباحه إذا جمل سبباً للشفاء لاعتلة له. فإن الله هو الذي يبرئه ويشفيه لا السكي
والدواء وهذا أمر يستكثر فيه شكرك الناس يقولون لو شرب الدواء لم يمت
ولو أقام ببلده لم يقتل، وقيل غير ذلك.

وقوله ولا يسترقون أي لا يستعملون الرقية وهي العوذة التي يرقى بها صاحب
الآفة وقد جاء في بعض الأحاديث جوازها وفي بعضها النهي، وقد جمع بينهما أن
الرقى بكره منها ما كان بغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنزلة. وأن
يعتمد أنها نافعة لا بحالة فيتكل عليها، وعليه يحمل قوله ﷺ ما توكل من
استرقى وما كان بخلاف ذلك لا يكره وقد أمر ﷺ غير واحد من أصحابه
بالرقية وسمع بجماعة يرقون فلم ينكر عليهم.

وقوله الطيرة هي بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هي التشاؤم بالشئ وقد
ورد النهي عنه فأعلمنا الشرع أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضرر *

وَكَانَ دَاوُدَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ (١) وَبِهِ أَنْبَاءُ الْبَيْهَقِيِّ قَالَ أَنْبَاءُ أَبُو عَبْدِ
 اللَّهِ الْخَافِضُ قَالَ أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ نَصِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْجُنَيْدُ قَالَ
 سَمِعْتُ السَّرِيَّ يَذُمُّ الْجُلُوسَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَيَقُولُ جَعَلُوا الْمَسْجِدَ
 الْجَامِعَ حَوَانِيتَ لَيْسَ لَهَا أَبْوَابٌ * وَبِهِ أَنْبَاءُ الْبَيْهَقِيِّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ
 الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دِينُكَ لِمَعَادِكَ وَدِرْهُمُكَ لِمَعَاشِكَ وَلَا خَيْرَ
 فِي أَمْرِي بِلَادِرْهُمْ * وَبِهِ أَنْبَاءُ الْبَيْهَقِيِّ قَالَ أَنْبَاءُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِضُ قَالَ أَخْبَرَنِي
 جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَوَاصُّ قَالَ أَنْبَاءُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَصْرِ الْمَنْصُورِيِّ قَالَ سَمِعْتُ
 إِبْرَاهِيمَ بْنَ بَشَّارٍ خَادِمَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الْفَضِيلَ
 ابْنَ عِيَّاضٍ يَقُولُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ أَنْتَ تَأْمُرُنَا بِالزُّهْدِ وَالتَّقَلُّلِ وَالبُلْغَةِ وَنَرَاكَ
 تَأْتِي بِالْبَضَائِعِ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ إِلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ كَيْفَ ذَا وَأَنْتَ تَأْمُرُ
 بِخِلَافِ ذَا فَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يَا أَبَا عَلِيٍّ أَنَا أَفْعَلُ ذَا لِأَصُونَ بِهَا وَجْهِي
 وَأَكْرَمَ بِهَا عَرَضِي : وَأَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى طَاعَةِ رَبِّي . لَا أَرَى لِلَّهِ حَقًّا
 إِلَّا سَارَعْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أَقُومَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْفَضِيلُ يَا ابْنَ الْمُبَارَكِ مَا أَحْسَنَ
 ذَا إِنْ تَمَّ ذَا *

(١) خص داود بالذكور لان اكله من عمل يده لم يكن لحاجة لانه ملك *

(١٤) الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ حُبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 لِحَدِيثِ أَنَسٍ الْمُتَّفَقِ عَلَى صَحَّتِهِ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ
 إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»
 وَلِحَدِيثِ أَنَسٍ فِي الصَّحَّاحِينَ ثَلَاثٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بَيْنَ حَلَاوَةِ
 الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا «الْحَدِيثُ، وَالْحَدِيثُ
 فِيهِمَا أَيْضًا قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ
 فَقَالَ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَثِيرَ صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ
 إِلَّا أَنِّي أَحَبُّ إِلَيْهِ وَرَسُولُهُ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» (١) .

(١) قال القاضي عياض : اعلم ان من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته .
 وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعيّاً ، فالصادق في حب النبي ﷺ
 من تظهر علامة ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله
 وأفعاله وامتنال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بأدابه في عسره ويسره
 ونشطه ومسكره ، وشاهد هذا قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
 يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وقوله في الحديث الاول «لا يؤمن أحدكم» الخ
 وذلك لان سبب الحب المنفعة وكلما كانت اعظم فالحجة امكن ولذلك ترى
 الانسان يحب اهله وولده لما يأمل من المنافع على يدهم ويحبهم اكثر من
 غيرهم لما شملوه من عطفهم واسبقوه عليه من نعمهم ومهما عظمت نعمهم فانها
 لا تساوى شيئاً من نعم رسول الله ﷺ حيث أرشده إلى طريق الهدى ودله

على سلوك جادة الصواب وعلمه كيف يعيش في الحياة وكيفية الافادة والاستفادة منها إلى ان ترك المسلمين على المحجة البيضاء ليلها كنهارها سواء فانار له الحياة الدنيا ودله على الطريق الموصل إلى رضاء ربه فيفوز في الآخرة في جنات عدن التي وعد الرحمن عباده ويحل عليه رضوان الله تعالى فلا يعقضب عليه ابدا وهذه نعمة لا يمكن ان تعادلها نعمة حاصلة من بشر لان معظم منفعة البشر تنحصر في الجسد والمادة وغاية ما يقدر ان ينفعه به ان يحفظ له حياته او يغذيه بما يقتات به بخلاف الرسول الاعظم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه فان نفعه عام في الدنيا والآخرة اذن يجب ان يكون الرسول احب الناس إلى كل فرد بالنظر لما يحصل له، روى الحافظ ابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها » وكان اعظم الاحسان على الامة ما جاء به رسول الله ﷺ ، فلا يؤمن شخص لا يرى الرسول احب اليه من والده وولده فيوافقه في كل ما فعل ويكره كل ما يكره اذ لا محبة بغير اطاعة فترك هواه لما يريد المحبوب يستحسن كل ما اراده ويستقيم كل ما حذر منه ويتبع النهج الذي كان عليه فيهدى بهديه ويقتدى بسنته وهذا ادنى درجات الحب واعلاها ان يفديه بنفسه وان يرى كل مصيبة دونه امرأ حقيرا كما وقع لهند بنت حزام قتل ابنها خلاد وزوجها عمرو بن الجوح واخوها عبد الله والد جابر ولما لقيتها عائشة حيث كانت خرجت في نسوة يستروحن الخبير وسألته عن خبر الجيش فقالت أما رسول الله ﷺ فصالح وكل مصيبة بعده جليل واتخذ الله من المؤمنين شهداء وسألته من هؤلاء قالت اخي عبد الله وابني خلاد وزوجي عمرو ابن الجوح، فقامل هذه المرأة التي بلغ منها الايمان مبلغه أن جعلت مصيبة قتل اخيها وابنها وزوجها جللا أي امرأ حقيرا بالنسبة لسلامة رسول الله ﷺ ، وكذلك أبي بن كعب لما ارسله رسول الله ﷺ يوم أحد يسأل عن سعد

ابن الربيع فوجده جريحاً وبه رمق فقال له إن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أمرني أنظر أفي الأحياء انتام في الاموات فقال انافى الاموات قد طعنت اثنتى عشرة طعنة واني قد انفذت مقاتلي فأبلغ رسول الله ﷺ عنى السلام وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله خيراً ما جرى نبيا عن امته وابلغ قومك عنى السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله ان يخلص اليكم نبيكم وفيكم عين تطرف اهـ ، وكذلك انس بن النضر عم انس بن مالك لما سمع يوم احد قتل رسول الله ﷺ قال ما تصنعون بالحياة بعده ، وتوا على مامات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل القوم وقال لسعد بن معاذ هذه الجنة ورب السكعبة اجد ريحها دون احد وقاتل حتى قتل ووجدنا فيه بضعا وثمانين جراحة ما بين ضربة بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم ، لاشك أن هذا هو الحب وهذا هو الايمان الخفيف الذي استطاع به الاسلام ان يدوخ العالم ويخرجه من الضلالة إلى الهدى ومن النار إلى النور ومن عبادة الاوثان إلى التوحيد الصرف وينشر السلام في اقطار الارض كافة وذلك لتحقيقهم بدينهم ويفهمون ان حبهم لرسول الله هو حبهم لله عز وجل قال تعالى (ومن يطع الرسول فقد اطاع الله) فلا شك ان حبه حب لله قطعاه

وذكر البغوى في تفسيره ان ثوبان مولى رسول الله كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله ﷺ « ما غير لونك ؟ فقال يا رسول الله ما بى مرض ولا وجع غير انى إذا لم أراك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة فى منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدأ فنزلت هذه الآية وهى (ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) *

(١٥) الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَبْجِيلِهِ وَتَوْقِيرِهِ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى: (وَتَعَزَّزُوا بِوُقُوفِهِ) وَقَوْلِهِ (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ)
وَالْتَعَزَّزُوا بِهِمَا التَّعْظِيمُ بِالْإِخْلَافِ وَقَوْلُهُ: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ
كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) أَيْ لَا تَقُولُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ بَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ
يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَلِقَوْلِهِ (لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) وَقَوْلُهُ (لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) الْآيَاتُ *

وَبِهِ أَنْبَاءُ الْبَيْهَقِيِّ قَالَ وَهَذِهِ مَنْزِلَةٌ فَوْقَ مَنْزِلَةِ الْمَحَبَّةِ إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَحَبٍّ
مُعَظِّمًا: كَمَحَبَّةِ الْآبِ لَوْلَدِهِ وَالسَّيِّدِ لِعَبْدِهِ مِنْ غَيْرِ تَعْظِيمٍ
بِإِخْلَافِ الْعَكْسِ.

(١٦) شَحَّ الْمَرْءُ بَدِينِهِ حَتَّى يَكُونَ الْقَذْفُ فِي النَّارِ أَحَبَّ
إِلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ لِحَدِيثِ أَنَسٍ الْمُتَّفِقِ عَلَيْهِ «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ
الْإِيمَانِ ثُمَّ قَالَ وَأَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الْكُفْرِ
بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ» (١) *

(١) قَوْلُهُ «شَحَّ الْمَرْءُ بَدِينَهُ» أَيْ تَمَسَّكَ بِهِ وَشَدَّ حَرَصَهُ عَلَيْهِ وَقَوْلُهُ وَحَتَّى
يَكُونَ الْقَذْفُ فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ «وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُتَقِنٌ

بأن هذه الحياة الدنيا فانية وان امامه حياة أبدية سرمدية لا تعب فيها ولا شقاء ومهما طال عمره فلا بد له من الموت، فالقذف في النار لا يضره بأكثر من أن أضاع عليه أياماً قليلة ولكن الشح في الدين يكون سبباً لحصول الانعامات الالهية والتعظيم الابدى الذى لا يتغير ولا يتبدل، فشح الرجل عبارة عن أنه مؤمن بحقاوائق بوعد الله ووعيده فلا يعدل بدينه شيئاً ولا تهمه الدنيا ولا تغشه بزخارفها كما انها لا تخيفه بنارها الذى لا يلبث الانسان فيها الا لحظات يسيرة فينتقل من عالم الفناء الى عالم البقاء وهناك يمر من نار وقودها الناس والحجارة لا يخلصه منها ولا يستطيع أن يعبر جسرها إلا بالايمان الحق السائق إلى الأعمال الصالحة ويرجع هذه النار المؤقت عذابها على نار لا ينقضى عذابها هم فيها خالدون كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غير هاليدوقوا العذاب الاليم ولا شك أن ترجيح النار الثانية على الأولى هو الايمان بالله واليوم الآخر والتصديق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهذا الشح المطلوب انما هو في الدين وأما في الدنيا فقد جاء ذمه وسمح من اتصف به لان الانسان كلما كان أكثر افادة للناس كان أعظم أجراً وأرفع ذكراً وأعلى قدراً ، ولا شك أن من اعتقد بالموت الذى لم يقلت منه أحد ولم ينجم منه ملك ولا سوقة لا ربيع ولا وضع لا كبير ولا صغير لا ذكر ولا أنثى يتقن ان ماله من الاموال والاثاث حثالة الدنيا وقاذوراتها فمن كان عاقلاً فلا يخل على بنى نوعه بما يزيد عن حاجته والا فان شحه على قدر نقصان ايمانه طبعاً ولا ينبغي ان يسرف في الاعطاء حتى يكون عالة على الناس يتكففهم بل عليه امتثال قوله تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) والله أعلم .

وَلَحْدَيْهِ أَيْضًا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَاهُ
 غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ أَسَلُّوْا فَوَ اللَّهِ إِنْ مُحَمَّدًا لِيُعْطَى عَطَاءُ
 رَجُلٍ لَا يَخَافُ الْفَاقَةَ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَحْيَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا يُرِيدُ
 إِلَّا الدُّنْيَا فَمَا يُنْسَى حَتَّى يَكُونَ دَيْنُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَأَعَزَّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا
 ﴿ ١٧ ﴾ طَلَبُ الْعِلْمِ وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْبَارِي تَعَالَى وَمَآجَاءُ مَنْ عِنْدَ
 اللَّهِ وَعِلْمُ النَّبُوءَةِ وَمَا يُمَيِّزُ بِهِ النَّبِيَّ عَنْ غَيْرِهِ وَعِلْمُ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَأَقْصِيَّتِهِ وَمَعْرِفَةُ مَا تُطَلَّبُ الْأَحْكَامُ مِنْهُ كَالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْقِيَاسِ
 وَشُرُوطِ الْاجْتِهَادِ (١) ۞

(١) لان دين الاسلام حث عليه ولم يجعل للجاهل قيمة فتراه حرمه
 حتى من لذة العبادة وهي الخشية من الله باداة انما المفيدة للحصر في قوله
 تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ذلك لان الجاهل لا يشترك مع
 الانسان الابالمشي والاكل والشرب وهذه توجد في بقية البهائم اذن يحق لنا
 ان نسمى الجاهل بهيمة لانه لم يستفد المواهب الالهية وانا ندعوه بالमित
 باعتبار الفضيلة والامانة . التي كلف الله بها الانسان واما ان كان من ارباب
 الضرر والاذى فيجوز ان يدخل في عداد الحيوانات ذوات السموم، وقد بين لنا
 المؤلف العلم وهو عبارة عن الاعتقادات والاخلاقيات والعمليات وليس
 معناه ان نترك علوم الآلة وبقية العلوم العقلية كالنحو والصرف واللغة والبلاغة
 والوضع والمنطق فان هذه مرقاة يتوصل بها إلى تلك، وقد اصبحنا في عصر

وَالْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ مَشْهُوَنَانِ بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
 (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ
 وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ) (وَعَلَيْكَ مَآلَمُ تُكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
 عَظِيمًا) (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (١)

لا يمكننا الاستغناء عنها ولا شك ان ما لا يتم الواجب الابه فهو واجب فاذن
 هذه العلوم مطلوبة كذلك وقد ذكرها المصنف في شروط الاجتهاد وإنما لم
 يفصل الامر ويوضحه لانه اراد ان يتحرى الواجب لذاته لمعرفة الله وكيفية
 اداء العبادات واما هذه العلوم فانها واجبة لغيرها ولذلك تجده ذكرها ضمن
 بصورة لا تخفى على من كان عنده ادنى تأمل *

(١) قوله: (انما يخشى الله من عباده العلماء) الخشية قال الراغب الاصفهاني
 في مفرداته: خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى
 منه ولذلك خص العلماء بها في قوله: (انما يخشى الله من عباده العلماء)
 وقوله (واولوا العلم قائما بالقسط) أى وشهد اولوا العلم بان لا اله الا هو
 وشهادتهم بمعنى الايمان منهم وما يقع من البيان للناس على سنتهم ، واختلف
 في اولى العلم هؤلاء من هم؟ فقيل هم الانبياء وقيل المهاجرون والانصار قاله
 ابن كيسان ، وقيل مؤمنو اهل الكتاب قاله مقاتل ، وقيل المؤمنون ظهم
 قاله السدي والسكبي ، والحق ان يفسر هنا باهل العلم العاملين من المؤمنين
 سواء كانوا من امة محمد ﷺ او من الامم السابقة اذ لا وجه للتخصيص
 وفي ذلك فضيلة لاهل العلم جليلة ومنقبة نبيلة لقربهم باسمه واسم ملائكته ،
 والمراد بأولى العلم علماء الكتب المنزلة على غير نبينا محمد ﷺ اذا كانوا

من الأمم المتقدمة ، وعلماؤ القرنان والسنة وما يتوصل به إلى معرفتهما إذا
كانوا من أمة محمد ﷺ .

وقوله تعالى (وعليك مالم تسكن تعلم) الآية حيث منحك العلم النافع
بان اطلعك على اسرار الدين والحكم التي ارادها الله من احكام التكليف
فاوقفك على حقائق ذلك كله ولذلك كان فضله عليك عظيما حيث اجازلك
ان تتصف بصفة الاله وهى العلم ، ولا شك ان هذا اعظم من كل شىء فى
الحياة ، ولا يخفى عليك ان العلوم الصناعية كالزراعة والتجارة هى مطلوبة
وشريفة فلذلك ان الشخص الذى لا يعلم صناعة ولا يتقن فنا قيمته فى نظر
ابناء الدنيا اقل من يعلم الصنائع ويتقنها وهذا شاهد عيان وهى حقيقة بالنسبة
لعلوم الدين لان الاولى تعود الى الجسم والبدن والثانية تعود الى الروح
والعقل وهما اشرف من الجسد فما يتعلق بهما يكون أعظم وأشرف لأن
العلوم المادية مهما صعدت وارتقت درجاتها لا يمكن أن تعود بخير كبير الا
اذا كانت اداة أو آلة للعلوم الدينية ولذلك كان الكثير من أبناء الاسلام
الذين يؤمنون أوروبا لتلقى العلوم المادية العصرية ولم يكن فى قلبه مثقال ذرة
من العلوم الدينية لا يتسع صدره للسائل الشرعية والاحكام الفقهية لأن
سنة الله فى خلقه - المرء عدو ما جهل - فلا يدرى الا الاحتقار ولا يعرف
الا الغطرسة والخيلاء فيجعل نفسه وقفاً على الطعن فى الدين الذى هو حياة
الامة الحقيقية، واذا اراد احدا أن يفهمه معنى الدين ومزاياه ومحاسنه أبى
أن يستفيد ويفهم وهذا هو السر الذى جعل المتعلمين فى أوروبا والمتلقين
علومهم منها لاخير فيهم لا بناء دينهم ولا منفعة منهم لمواطنيهم فانا لله
وانا اليه راجعون .

العلم حسن ولكن متى؟ إذا عاد بالنفع واما اذا طلبة ليبقى عالة على غيره
الذى يحتقره ويزدرجه ليت شعري من المحتقر والمهان؟ اليس اليد العليا خير

من اليد السفلى فكل ماورد في شرف العلم فهو لاشك محمول على علوم الدين
الذى جاءت لاصلاح المجتمع الانسانى، أليس منها الآلاآت؟ وبها يعلم الانسان
أن فوق قوته خالقا لا تخفى عليه أعماله فهو يخشاه، أمره بالعدل فهو يطيعه
ونهاه عن الظلم والتعدى فهو يسمع له ويطيع لأنه الحافظ الذى لا يزول،
الحكومة مهما كانت قوية عادلة لا يمكنها أن تراقب كل الناس سرا وجها فاذا
خلا الرجل ولم يجد مانعا يحول دون تنفيذ ماأمر به من الذى يمنعه إن لم يكن
خوف الله الشاهد الرقيب، أليس من علم الدين الاخلاقيات؟ وهو تطهير
النفوس من الادران والتقاص كالظلم والغدر والغش والكذب والحسد
والشح والقتل والسلب والنهب، وتحلية النفس بالسكالات كالعدل والانصاف
والرحمة والصدق والحب والمودة والكرم والعطف والغيرة ومؤازرة
المظلوم وكف الاذى عن الناس، أليس منها العبادات؟ وهى تكشف كيفية
معاملة الشخص مع ربه ومع غيره من بنى نوعهم وغيرهم، وسيأتى عند كل
مسألة مايتعلق بها من البحث ولكن بصورة اجمالية، نقول: ان العلوم ككفلت
سعادة الدارين الدنيا والآخرة وان الذى حمل الجماعة الملاحدين على انتقاصها
جهلهم بها وعدم اطلاعهم على أسرارها وتمسكهم بأنهم على جانب عظيم
من العلم الممهور غاب عن ذهنهم قوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) هـ
أظنهم يسلبون معنى قلة بضاعتهم وأن الزمان شاهد عدل على ذلك فان
الاكتشافات الحاضرة لو رآها علماء المادة الذين ماتوا قبل خمسين سنة
لعدوا أنفسهم جهلاء والعلوم الطبيعية لاشك أنها لا تنقف عند حد فاذن
يعترف بالضرورة أن علمه قليل وأنه لا يكون الرجل عالما الامن عرف
أنه لا يعلم هـ

نعم لا يعلم لانه لا يزال يجهل تركيب ذاته وانتظام دورته الدموية وكيفية
تصريف الغذاء وجريان الهوى وحقيقة اليقظة والنوم فهو كلما زعم ازدياد

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ

العام فهو في جهالة ومتى أدرك هذه النقطة فقد أدرك العلم وتمتع ببلذته •
لا يخطر على بال أحد أن العلوم الدينية تمنع العلوم المادية كلا وألف كلا
بل هي تقبلها وترحب بها وتعدّها من الوسائل الواجبة ينبغي معرفتها فإن
فيها بيان سر الله في كونه وكشف غامضات الحياة فكلما انتشر العلم المادي
الحقيقي فإن العلم الديني يقرى لانه يجعل الانسان يعظم الخالق ويقسره
على الاذعان لقدرته ويجبره على الاعتراف باللطافة وأنعامة وكلما علم أن
هذا الملك العظيم واسع فانه يعلم ويستنتج منه عظمة مبدعه وهذا هو التوحيد
الذي يدعو اليه الدين ووقف أنفسهم على نشره علماء المسلمين •

وانظر الى قوله تعالى: (والذين آوتوا العلم درجات) اي ان الذين حملوا
العلم وعملوا به يرفعهم الله درجات فوق درجة المؤمنين الذين لم يعملوا
العلم وهذه مزية عظيمة لا ينالها الانسان الا بالعلم لأن العالم يعلم الحلال
وكيفية الاستفادة منه ويعلم الحرام والشبهات وكيفية الاحتراز منهما ويبرى
محاسبة النفس وكيفية اداء العبادة على وجه الخشوع والتذلل ما لا يعرفه غيره
فيقلده غير العالم ويتبعه ، واسكن هذه المنزلة العظيمة والمقام الرفيع يقابلها
اخطار حرجة لان الانسان كلما عظم مقامه كان وقوع المفوات منه
والمعاصي اشد واعظم وهكذا شأن كل ذي منصب سام ان يكون خطره
كبيرا على قدر مقامه رفعة وعلوا ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم درجات
العلماء العاملين في قوله : فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة ،
رواه ابن عبد البر حافظ المغرب في كتابه جامع بيان العلم وفضله وهو
من انفس المؤلفات في بابيه وقد طبعناه والحمد لله •
وقوله: (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الجواب لا لان اولئك

أُولُو الْأَلْبَابِ (١) *

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ
 اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتَزَاعًا يَنْتَزَعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ
 الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ أَخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا
 بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا (٢) *

يسIRON في نور وعلى هدى من ربهم وهؤلاء في عمامة أو في نور يمدحهم به أهل العلم
 فالفرق بينهما كالفرق بين البصير والاعمى أو بين النور والظلمة ذلك لأن
 العلم والفكر حياة الروح فإذا فقدتهما المرء فقد بقى قلبه بلا حياة وجازان
 يحسب في ضمن الاموات وفرق عظيم بين الحي والميت *

(١) قوله: (انما يذكر أولو الالباب) أى ارباب العقول السليمة فان العقل
 الذى هو صفة غريزية يلزمها العلم بالضرورات عند سلامة الآفات، وسمى عقلا
 لانه يعقل صاحبه ويمسكه عن الوقوع في المخالفات كما يعقل البعير بالعقال ويسمى
 لباً ايضا لانه الصفوة واللب والخلاصة في الانسان، ويسمى الحجى لاصابة الحاجة
 به والاستظهار على جميع المعاني، ولا يمكن ان يتذكر الا ما كان حاضرا على ما ذكرناه
 (٢) أى أن حملة العلم تموت ويبقى المجال واسعا للجهلاء ويمكنك أن
 تطبقه على عصرنا هذا لأن العلم الشرعى والمادى قد وضع في طريق طلبهما
 عراقيل كثيرة يشق العبور منها اليه يزعمون أنهم يريدون بذلك تنظيم العلم
 وتحسين طرق تحصيله ثم وضعوا رسومات ومصاريف وتقاليد تصد كثيرا
 من الناس عن التعلم وتكون هذه سببا لحرمان أبناء الفقراء من هذه النعمة
 العامة وحظروا التحصيل الا حسب البرنامج الذى قررته المدرسة فلا يحق

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنِي هُرَيْرَةَ «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ
 كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ
 يَسْرَعُ عَلَى مَعْسَرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ
 اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ

لشخص دراسة العلم المحتاج اليه إلا ان يدرس معه ما تشاء المدرسة إما
 لمنفعة مخصوصة أو توهين عزيمة الطالب وذلك كله تعميم للجهل ونشر للضلالة
 بين الناس ولا سيما النعمة الأخرى وهي أن العلم منحصر في الذين يحملون
 ما يسمونه شهادة أهلية أو عالمية ابتدائية أو نحو ذلك من الألقاب المصطلح
 عليها عندهم فيمنحون فلاناً أستاذاً وفلاناً دكتوراً فيتباهى بالشهادة المذكورة
 وذلك اللقب فيكون سبباً لحرمانه من العلم الحقيقي ووسيلة لاضاعة ما تعلمه
 في أثناء التحصيل لانه رأى نفسه أرفع من غيره لما أوتي من لقب وحاز
 من شهادة وهذا بالنظر لتقديس الناس والحكومات لها حتى صح قول القائل
 - شهادة بلا علم خير من علم بلا شهادة - فانك ترى الشخص من هؤلاء بهيئة
 وغطرسة تحف به الكبرياء ويحتاط به الغرور كأن الله خلق الناس عبيداً له،
 همه تزيين الشكل والاعتناء بالقيافة وهذا الفريق هم الذين جعلوا دينهم
 تبعاً لهمواهم «فستلوا فأقتوا بغير علم» لانهم لا يملكون الا اللقب أو الشهادة
 ولا يعرفون غير ذلك وغرتهم أنفسهم فألقوا من تعلم علوم الدين فكان
 جوابهم وفق خيالهم الفاسد «فضلوا» بزيغهم عن طريق الحق وبعدهم عن
 جادة الصواب «وأضلوا» الناس الذين يقتدون بهم مخدوعين بظواهرهم فكان
 لهم من النكال والعذاب قسط عظيم، اللهم رحماك يا رب فانك قادر على كل شيء»

وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ
وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ
بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَعَشَّيْتَهُمُ الرَّحْمَةُ
وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ (١) ۝

(١) هذا الحديث جامع لانواع القواعد المرعية والاداب الشرعية
ومرشد الى الفضائل فمن نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب
يوم القيامة لانه نفس عن اخيه المؤمن لاجل ايمانه ولاشك ان الجليل ان
ذهب في الدنيا لا يذهب في الآخرة، وهو بشارة جميلة مشوقة الى عمل الخير
وقضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر ويستطيعه الانسان من علم او مال
او اشارة راي او نصيحة او معاونة لينال المكسب العظيم والربح الجسيم
يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم لان قرض الشخص الله
يمنحه الله اضعافا مضاعفة خلاف قرض العبد العبد.

ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا بزيادة المال والعيال المباركين
وفي الآخرة بالنعم الجسام ان شاء الله تعالى لانه تسلط على اخيه وقت الاستحقاق
فدفعته رحمته الى التأجيل لوجه الله جل وعز فلا ريب أن الله لا يضيع عمله
بل بشره من الآن ان جزاءه سيكون جزاءاً موفوراً ويوفق في اموره كلها
وهذا هو الجارى بين ارباب المعاملة السمحة فان ثروتهم في ازدياد وكسبهم
في نمو ببركة تساهلهم مع اخوانهم ۝

ومن ستر مسلماً لا لغاية دنيوية ولا لمقصد سيء وإنما لانه بشر خطاء
والخطأ جائز عليه ليس معصوما فأحب ان يريه كيفية الادب عساه يستحي

(١٨) نَشْرُ الْعِلْمِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَتَيَفِنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) وَقَوْلُهُ: (وَلَتَنْذَرُوا أَقْوَمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) *

وَلَحَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ بَيْنَى الْأَلْيَلِغْنَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبُ فَلَعَلَّ مَنْ يَبْلُغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ مِنْ سَمْعِهِ، وَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ الْجَمْعُ اللَّهُ بِالْجَامِ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) *

منه فيستحي من الله فهذا الرجل جزاؤه ان يستره الله في الدنيا بأن لا يكشف له ستره ولا يظهر له عيبا او بان يوفقه بأن لا يقع منه ذلك ، وفي الآخرة بأن لا يفضحه على رموس الاشهاد *

ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما يغني بذلك وجه الله تعالى ويستعين به على آخرته شأن العالم وهو ان يعرف عجزه وقدرته ربه فيلتجى اليه ويحتجى بكنفه ويلوذ بحماه فيكون عمله هذا الشريف قد سهل له طريقا الى الجنة لان العلم الشرعي يصير المرء يخشى من عذاب الله ويقدر جلاله ويدري قدره ، وجزاء الذي يخشى ربه الجنة ، وهذا المقصد لا يمكن الوصول اليه الا بمن طريق العلم لان الجهل قد يسوق المرء الى أن يخرج عن جادة الصواب التي كان سائرا عليها فيتبع هواه الى ان يكون من الهالكين *

(١) لاشك أن نشر العلم من أعظم شعب الايمان اذ به يرتفع الجهل ويقل الفساد وتقدم البلاد وتكثر المشاريع الحيوية وتنتشر الصناعات ويسود الامن وتسمو الامة ، وقوله تعالى : (لتبينه للناس ولا تكتُمونه)

أى لتبينه أهل العلم بقول الحق وإيضاح الأحكام مع التحرى اللازم فى إيراد الأدلة وإقامة الحجج ، وعطف عليه قوله تعالى : (ولا تكتمونه) عن أهله سواء كان الكتم فى الألفاظ أو المعانى وهذا يشمل ما يتخذ بعض خونة العالم من نقل النص وتحريف المعنى على طريق المغالطة إذا علم أن الخصم لا يفقه الدسيسة التى ارتكبها فى تحوير المعنى ، أى يحرم عليكم أن تؤدوا أمانة الألفاظ وتخونوا المعانى فإن هذه جريمة عظيمة يجب على العاقل أن يتباعد عنها لاسيما إذا كان النص لا يدل لرأيه أو مذهبه فىحاول محاولة الغالب ليقهر خصمه ، وقوله عز وجل : (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) بين أن السفر لاجل العلم واجب إذا كان لا يمكن للإنسان أن يحصله فى وطنه لأن الرجوع لا يكون إلا عن سفر ، وفى هذا حض على العلم وأنه ينبغى لاجله شد الرحال وترك البلاد العارية عنه بدليل أن الله جعل له نفارا كنفار الجهاد لانهما توأمان فنجاح الأمة بالسيف والعلم لأن السيف وسيلة للعلم ، ألا ترى أن الإسلام لما قويت شو كته وانتشرت مبادئه الشريفة وكثرت الفتوحات وصار الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، وبقي حثالة من الكفر نزلت آية (لا كراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي) ٥

وقوله : « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بالجم » الخ لانه خالف أمر الله تعالى حيث أمره بنشر العلم فحرص عليه و كتمه خشية على نفوذه الموهوم أو اسمه الخيالى أو لقبه الكاذب فرجح الباطل على الحق وبخل فى تعليم غيره كى ينتشر الجهل الذى هو الموت الحقيقى لأن الجاهل عبارة عن متحرك أوحى يمشى ولا يعقل ويفكر ، فكاتم العلم أراد هلاك الأمة وشرع فيه حيث بخل فيما لاحق له فى الاستئثار به فاستحق هذا الوعد الشديد والله أعلم ٥

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْإِمَامِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَمَوِيِّ
 رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ مَنْ لَمْ يَعِدْ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ وَمَنْ
 عَمِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ ، وَعَنْ الْحَارِثِ الْمُحَاسِنِيِّ
 الْعِلْمَ يُوْرِثُ الْحَشِيَّةَ وَالزَّهْدَ يُوْرِثُ الرَّاحَةَ وَالْمَعْرِفَةَ تُوْرِثُ الْإِنَابَةَ ،
 وَعَنْ ابْنِ سَعْدَانَ مَنْ عَمِلَ بِعِلْمِ الرِّوَايَةِ وَوَرِثَ عِلْمَ الدِّرَايَةِ وَمَنْ عَمِلَ
 بِعِلْمِ الدِّرَايَةِ وَوَرِثَ عِلْمَ الرَّعَايَةِ وَمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِ الرَّعَايَةِ هَدَى إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ *
 وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ إِذَا طَلَبَ الْعَبْدُ الْعِلْمَ لِيَعْمَلَ بِهِ كَسَرَهُ عَلَيْهِ
 وَإِذَا طَلَبَهُ لِغَيْرِ الْعَمَلِ زَادَهُ كِبَرًا (١) وَعَنْ مَعْرُوفٍ السَّكْرَجِيِّ إِذَا أَرَادَ

قوله : من عمل بعلم الرواية الخ أى الوارد عن الله عز وجل وعلى
 لسان رسوله ﷺ دل على ان لذلك الشخص عقيدة صحيحة ونية حسنة حيث
 اخلص في علمه وعمله وسلم مقاليد امره إلى خالقه فيكرمه الله تعالى بعلم الدراية
 فيستطيع ان يكشف بمواهب الله تعالى اسرار الاحكام ويفصح عن معضلات
 المسائل ويحل عويصات القضايا جزاء خروجه من حوله وقوته وتسليمه
 لما اراده الله ، واذا عمل بالدراية ارتقى الى درجة مرتبة الحكم ومنصب العلم
 وعرف المواقف التي يمر عليها الساترون الى مولا هم وادرك مغزى الشريعة
 فقد هدى الى سبيل الحق ووصل الى ما تصبو اليه نفس كل عاقل دنيا واخرى
 (١) قوله : كسره عليه أى لينه وهذبه وزاده تواضعا لله ورفعته بين الناس
 ولذلك تجدد العالم بعلمه أو طالب العلم كذلك مهذباً متواضعاً حليماً راحب الصدر

اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ فَفَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْعَمَلِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَ الْجَدَلِ وَإِذَا أَرَادَ
اللَّهُ بَعْدَ شَرٍّ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَ الْعَمَلِ وَفَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْجَدَلِ *

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الْوَرَّاقِ مَنْ أَكْتَفَى بِالْكَلَامِ مِنَ الْعِلْمِ دُونَ الزُّهْدِ
وَالْفَقْهِ تَزَنَّقَ وَمَنْ أَكْتَفَى بِالزُّهْدِ دُونَ الْفَقْهِ وَالْكَلَامِ ابْتَدَعَ وَمَنْ
أَكْتَفَى بِالْفَقْهِ دُونَ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ تَفَسَّقَ وَمَنْ تَفَنَّيَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا تَخَلَّصَ *

وَعَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ مَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقِيلَ هَذَا فَقِيهٌ
فَقَالَ أَوْ تَدْرُونَ مَنْ الْفَقِيهُ؟ إِنَّمَا الْفَقِيهُ الْعَالِمُ فِي دِينِهِ الزَّاهِدُ فِي دُنْيَاهُ
الْقَائِمُ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ * وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ إِنَّ
الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بَعْلَهُ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ مِنَ الْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ الْقَطْرُ عَنْ
الصِّفَاءِ، وَأَنْشَدَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي دَاوُدَ لِنَفْسِهِ (١) *

مَنْ غُصَّ دَاوَى بِشَرْبِ الْمَاءِ غُصَّتْ * فَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ قَدُغَصَ بِالْمَاءِ
وَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ الْحِيرِيِّ الزَّاهِدِ :

(١) القطر يفتح القاف وسكون الطاء المطر واحده قطرة، والصفاج جمع
صفاة وهي الصخرة والحجر الأماص، فانظر الى هذا التشبيه ما أبلغه ولا تنكح
من علم ولم يعمل *

وغير تقي يأمر الناس بالتقى * طيب يدأوى والطيب مريض
نسأل الله التوفيق للعلم والعمل ونعوذ بحلال وجهه من الخذلان
والحرص والأمل (١) *

(١٩) تعظيم القرآن المجيد (٢) بتعلمه وتعليمه وحفظ حدوده

(١) وفي رواية وغير تقي يأمر الناس بالتقى طيب يدأوى الناس وهو عليل
(٢) من شعب الإيمان تعظيم القرآن الكريم وذلك بأداء ماله من الحقوق
بان يكسر من تلاوته ويتدبر آياته ويعمل بحلاله ويتجنب حرامه ويتقن
قراءته قال الله تعالى: (ورتل القرآن ترتيلا) ويعلم الغير بان القرآن كلام
الله وكتابه المنزل على رسوله محمد ﷺ وأنه معجزة الاسلام الدائمة والجليل
الذي من تمسك به استوثق ونجا من رعونات اكدار الحياة ووصل إلى
ربه تعالى موقفا مسرورا منعمًا مجورًا وهذا هو التعظيم الحقيقي فان من
احب شيئًا اكثر من ذكره واذاعة نبئه والا فانه يسكون مدعيًا لادليل على
صحة قوله ولذا يقول البوصيري :

والدعاوى مالم يقيموا عليها بينات اصحابها ادعاء
فن بدعي تعظيم القرآن يكون قائمًا بأداء حقوقه على الوجه المطلوب
مع حفظ كيفية الدفاع ليدودوا عنها الذين سولت لهم انفسهم ان يمسوا كرامة تلك
الاحكام فيذبونهم عنها ولا يترك بدا ائمة تتناولها بنقد مزيف او قذف باطل
فيقف نفسه على اداء حقوق القران ويجرد قلبه للدفاع عن المهاجمين ويان
الحكم التي تكون سببا لرسوخ عقيدة المؤمنين * وانظر إلى قوله تعالى:
(لوانزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) هل
يجده ينطبق عليك ؟ *

وَأَحْكَامَهُ وَعِلْمَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ . وَتَبَجِيلِ أَهْلِهِ وَحَقَّاضِهِ وَاسْتِشْعَارُهَا
يَهِيْجُ إِلَى الْبُكَاءِ مِنْ مَوَاعِيدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (لَوْ أَنَّا نُنَزِّلُ هَذَا
الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) وَقَالَ (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ
كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)
وَقَالَ (وَلَوْ أَنَّا قَرَأْنَاهُ سِرًّا لَنَأْسَرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قَطَّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ
الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) *

قوله تعالى : (انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون)
الآية أى أن المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم وشريف
لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في كتاب مكنون أى محفوظ
من أن تصل اليه يد المبطلين والمخرفين (لا يمسه) أى لا يلمسه الا الذين هم على
طهارة لأنهم هم أهل التعظيم والتبجيل ، ولذا قال الامام الشافعى رضى الله
عنه : إن مس القرآن على المحدث حدثا اصغر حرام مستتجا ذلك من الآية
الكريمة ومؤيدا نظريته بالسنة المطهرة فان النبي ﷺ كتب الى عمرو
ابن حزم « لا يمس القرآن من هو على غير طهر » رواه الدارقطنى والحاكم
والبيهقى فى الخلافات ، وقوله : (تنزيل من رب العالمين) تعظيم للقرآن
الكريم لان عظمة الكلام على قدر نفوذ عظمة متكلمه فبذاكر قوله :
(رب العالمين) اظهار العظمة التى لا يوجد لها مثيل ولا شبيهه .

وقوله تعالى : (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال) الآية بيان لعظم شأن
القرآن وفساد رأى الكفرة الذين لم يقدروه حق قدره حيث قالوا آتنا

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلُكُمْ أَوْ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ وَقَالَ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِمَا عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ (١) فَوَالَّذِي

من الآيات التي تشبه آيات من قبلك من الانبياء كقلب العصا حية وإحياء الموتى ونحو ذلك ، وذلك بسبب عنادهم مكابرة وتماديا في الزيف والضلال فقال: (لو أن قرآننا سيرت به الجبال) حين انزاله كما فعل بالطور (أو قطعت به الأرض) كالجر الذي انبجست منه اثنتا عشرة عينا (أو ظم به الموتى) كالإحياء لعيسى عليه السلام. كان هذا القرآن مصدرا لكل خارق لما ينطوي عليه من العجائب من آثار قدرة الله تعالى، وفي الإعجاز بعد التحدي فيه طه والنازل الى عشر سور فالى سورة واحدة والتذكير والانذار والتبشير والتخويف مما يختص بالعقلاء مع بقية الأحكام التسع التي جمعها بعضهم بقوله :

ألا إنما القرآن تسعة أحرف سأنيكها في بيت شعر بلا خلل
 حلال حرام محكم متشابه بشير نذير قصة عظة مثل
 (١) قوله: تعاهدوا القرآن بالمواطبة على تلاوته لأن الإنسان مهما أوتي من قوة الإدراك وقوة الذهن وجودة التصور لا يمكن أن يحيط بكلام الله تعالى وإنما يقف على بعض مما يصل إليه فكره وهذا السر الذي جعل القرآن جديدا لما أن معناه لا ينقضي ولا يمكن لعقل أن يحيط به، فقسم رسول الله ﷺ بأن القرآن أشد ثقلنا من الأبل إذا اطلقت من عقلها هو الواقع والمشاهد بل والمعلوم لأن الأبل تجد في نفسها قوة فتى ضعفت أو زالت عنها تلك القوة فأنها تستعمل ما عندها من العزم فتذهب شاردة، والقرآن كلام الله على

نفس محمد بيده هو أشد ثقلًا من الابل في عقلها، وقال فيها روياه عن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لأحسد إلّا في اثنتين رجل آتاه الله
هذا الكتاب فقام به آتاه الليل والنهار ورجل آتاه الله ما لا فهو يتصدق
به آتاه الليل والنهار *

أقل الاحتمالات وحسب عقول المخاطبين فيه تشابه من حيث انه كلام واجب
الوجود والانسان ممكن وقد جعل الله كتابه في أقصى درجات البلاغة ومنتهى
الاعجاز بحيث لا يمكن البشر من مجاراته للآتيان بمثله لهذا لا يحل الا في قلب
مؤمن وانك لتجد المنافق يكلف نفسه اتعابا شاقا وعناء كثيرا ليحفظه فلا
يتسنى له ذلك وان تمكن فلا يلبث أن ينساه في القريب العاجل وهذا من معجزات
القرآن ، وقد شاهدنا أن من كان من المداومين على تلاوة القرآن ويتقن
حفظه شغلته الدنيا او غرته فتجد كل من كان في اعتقاده خلل لا يستطيع
ان يقرأ القرآن على وجه صحيح وانما يغلط فيه بعد ان كان مثالا للحفظ
والضبط . (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) *

قوله : « ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين » أى يضع
الذين لم يستفيدوا من تلاوته شيئا فلا يعملون بما فيه من الاوامر ولا
ينتهون عما فيه من الزواجر فكان القرآن سبب انحطاطهم اذ لولا القرآن
لسكانوا من اهل الفترة ولا يكفون بالاعمال ، واما الذين يرفعهم القرآن فهم
الذين دأبهم دراسته والحرص على معانيه للوقوف على معرفة ما يرد منهم من
الواجبات والمستحبات ليقوموا بها وينشروا الفضيلة بين الناس ليستفاد منها
وليعمموا دين الله والشرع الشريف، والعقل الحبل الذى يربط به البعير *

وَقَالَ فِيْمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا
الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ :

(٢٠) الطَّهَارَاتُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) (الآية * (١)

(١) الطهارة هي التنزه من الاذناس وهي قسمان معنوية وهي تنزيه القلب
وتنقيته عن نجاسة الكفر والنفاق وسائر الاخلاق الذميمة الباطنة، وحسية
وهي النظافة المخصوصة بغسل أعضاء مخصوصة المنوعة الى وضوء وغسل
وتيمم وغسل بدن وثوب ونحوه، ولما كانت الشريعة الاسلامية كفلت للزاهج
سبيلها الحق سعادة الدنيا والآخرة وكانت سعادة الدنيا بعضها يتعلق بشخصه
منفردا وبعضها يتعلق به مع غيره مرتبطا به حسب الاجتماع الذي لا يستغنى
عنه البشر لانه القوة التي يسيطر بها على الحيوانات كافة وكانت الطهارة من
القسم الثاني جعلها من الايمان وقسمها الى فروع، فمنها ما يتعلق بازالة النجاسات
وهذه أمر بالطهارة منها في كل وقت بحيث لا يجوز ابقاء التضمخ بالنجاسة
لغير حاجة، ومنها ما يتعلق بالنجاسة المعنوية وهو الحدث الاكبر ذلك لان
الماء الذي يخرج من المرء يجتمع من أعضاء الوضوء كافة لهذا يحس المرء عقبه بقتور
ومن المحسوس الذي لا يحتاج الى إثبات ان الانسان ينشط في أعضائه متى
اغتسل فترى الشريعة الاسلامية تلاحظ حالة المرء في نشاطه وكسله لان
شأن الحياة ان يتعاقب فيها النقيضان، ولما كان الخمول يغيب اللذة وفي غالب
الاحوال لا ينشأ خروج المنى الا عن لذة قدينى الانسان حاله عقبها فامر
بالغسل لتعود اليه قوته . ولما كان من الواجب المحتم على كل مسلم مقيم صلاة

وَلَحْدِيث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ الطَّهَوْرُ
 شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ تَمْلَأُ
 أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بَرَهَانٌ
 وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حِجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبِأَيِّ نَفْسِهِ
 فَعَتَقَهَا أَوْ مَوَّبَقَهَا ٥ (١)

الجمعة أمره بالغسل في كل جمعة اذ يجوز أن لا يحصل له ما يوجب الغسل
 وشأن الانسان أن يلوث جسمه بالرشح والاوساخ اذا أهمل نفسه ولم
 يتعمدها فأمره بغسل الجمعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الغسل
 يوم الجمعة واجب على كل محتلم» ولهذا قال الامام أحمد «بوجوبه لان المرء قد
 يغفل عن نفسه فلا يظن وجود نثر في جسده والاجتماع عاداته أن يترك
 الموجودين في حرارة تظهر ما هم عليه من رائحة جيدة أو عاطلة وكانت الجمعة
 فرضا أمر الشارع بالغسل لها والتطيب فيها كما أمر بالاغتسال عند كل
 اجتماع يحصل بين الناس ، وجمع المصنف الطهارات، نظرا لانواعها ٥

(١) قوله: «الطهور شرط الايمان» أي نصفه لأن الايمان يطهر نجاسة الباطن
 والطهور يطهر نجاسة الظاهر وكذلك قوله: «والحمد لله الخ لأن الحمد والتسبيح
 ثناء الله وتنزيهه فهو يزيل الادران الباطنة لما فيه من التفويض والافتقار
 إلى الله تعالى وهذه هي العبودية المحضة فتوابها لو كان جسما ملأ ما بين السماء
 والأرض لأن اتساع النور بما لا يمكن انكاره أصلا، وقوله الصلاة نور
 لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتمنع من وقوع المعاصي وتهدى إلى الصواب
 وتصلح النفس الامارة بالسوء أو تغلب عليها فتقصرها على الرضوخ إلى

طرق الخير المشروعة فتكون سبباً لسطوع نور المعرفة الالهية كما أن النور يحول دون وقوع من يهتدى به في حفرة أو هوة، وقوله : والصدقة برهان لان المال جبلت النفس على حبه فاذا تجرد المرء عن الغايات الدنيوية وانفق في سبيل الله كان برهاناً على صحة ايمانه حيث وثق باليوم الآخر فأعد له عذته او بأن الله هو الرزاق فصرف ماله لا يبغي وراء ذلك نفعاً الا من خالقه ، ويحتمل ان تكون الصدقة برهاناً له يوم القيامة كالتمهدة التي تكون سبباً لصحة الدعوى واثباتها في الدنيا فيفزع اليها العبد كما يفزع الى بيئته وحجته ، وقوله «والصبر ضياء» لان صاحبه سائر في طريق معتدلة آمن على نفسه من الزيف بالخروج عن جادة الصواب كن يسير في ضياء يعرف مقصده، وقوله : «والقرآن حجة لك» ان انتفعت به فتلوته وعملت بما فيه من اتباع المأمورات واجتناب المنهيات يصير شفيعاً لك يوم القيامة والافئدة حجة عليك يكون خصماً لك يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، وقوله «كل الناس يغدو» الخ أى إن كل إنسان بالضرورة يسعى فان كان باع نفسه لله وفي سبيل طاعته فقد اعتقها من العذاب وان كان باعها للهوى والشیطان باتباعهما فيوبقها أى يهلكها والله أعلم .

والحكمة في الوضوء ظاهرة هي ان الاطراف متعرضة لسموم الرياح ومكشوفة يقع عليها الغبار وتأتى اليها الحشرات المضررة كالذباب والبعوض وغيرهما فالماء يزيل تلك الاوساخ ويبرد الحرارة الحاصلة من السموم وغيرها ويكون سبباً في المحافظة على جمال الخلقة الأصلية (ولقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) ولا يخفى أن للبشرة رونقا وحسنا اذا لم تتغير بما يتلبد عليها من غبار ونحوه فنقلب بهجتها الى شكل مخالف منفر فرحم الله عباده وألزمهم بهذا العمل ليحتفظوا بجواهرهم وصحتهم من طريق العبادة التي يؤجرون عليها، وهذه حكمة يبدئها الفسكرولفسكراً آخر أن يبدى حكمة أخرى وهذا لان نظريات الباحثين عن التشريع وحكمه كثيرة لان المولى يمنح خلقه ما يشاء من المواهب .

وَلَحْدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَيْضًا لَا يَقْبَلُ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَلَاةَ بَغِيرِ طَهْوَرٍ وَلَا صَدَقَةٍ مِنْ غُلُولٍ (١) *

وَلَحْدِيثِ حَسَنٍ عَنْ أَبِي كَبْشَةَ السَّلُولِيِّ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تَحْصُوا وَأَعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ وَلَا يَحْفَظُ
عَلَى الْوُضوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ، رَوَى الْحَلِيمِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ آدَمَ فِي قَوْلِهِ: الطَّهْوَرُ
شَطْرُ الْإِيمَانِ * لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الصَّلَاةَ إِمَانًا فَقَالَ (وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُضِيعَ إِيْمَانَكُمْ) أَيْ صَلَاتَكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَلَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ
إِلَّا بِالْوُضوءِ فَهُمَا شَيْئَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نِصْفُ الْآخَرِ *

(٢١) الصَّلَاةُ الْخَمْسُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيْمَانَكُمْ)
أَيْ صَلَاتَكُمْ وَقَوْلِهِ (وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) وَقَوْلِهِ (إِنَّ الصَّلَاةَ
كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) *

وَلَحْدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ * أَنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ
الشَّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ (٢) *

(١) الغل الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة ، وقد يراد
به معنى أعم من ذلك كالحقد والشحناء *

(٢) دل هذا الحديث وأمثاله على خروج تارك الصلاة من الدين

وَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحَّاحِينَ قَالَ سَأَلْتُ

وعدم اتصافهم به فالحديث صريح في أن العلامة الفارقة بين الاسلام والكفر هي الصلاة فوجودها دلالة على اسلام من اتصف بها وقام بأدائها وعدمها برهان على كفر من لم يتلبس بها ، فتارك الصلاة يصح أن يحكم بكفره ظاهر أو لاسيما أن الشريعة الاسلامية قد أباحت دمه لأنه أصر على عدم الرضوخ لاهم الاعمال والاركان الاسلامية فدعواه الاسلام كذب صريح ومين لاشك فيه ، هذا اذا كان تارك الصلاة يدعى الاسلام وامتنع من أدائها أما اذا كان مستهزأ بالاسلام فهو أجدر بسفك دمه والقاء جيفته للكلاب كي يرتدع غيره ممن تحدثهم أنفسهم باللعب في الديانة الاسلامية . وانظر إلى غالب أهل زماننا كيف ترك الصلاة ولاظن أنه كسل منهم . بل اعتقاد أنها ليست من الدين ، ولربما سخر وامن فاعليها وهزأ به وهذا شاهد ولاسيما من تخرج من المدارس العالية ودرس كتب الطبيعة ومذهب الماديين فإنه أشد سخطا . وأسرع تجاهرا بعداوته . واللوم كله في ذلك يرجع إلى علماء الدين وأئمتهم . لأنهم لو تقرّبوا إلى الامراء وبينوا لهم ما ينشأ عن ترك الصلاة من المفساد المضرة بالهيئة الاجتماعية والمصالح العمومية . بدليل قوله تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وطلبوا المساعدة منهم لآخذوا بيدهم وأعانوهم على مطالبهم . ولو اعتنى رؤساء العلم والدين بارسال خطباء ووعاظ إلى البلاد والقرى يرشدون الناس إلى ذلك . ويحثونهم على التمسك بدينهم وإظهار شعائره وبلغقونهم العقائد الصحيحة . والمسائل الراجعة والدلائل الشرعية والعقلية . لساد الدين وظهرت معاملته . لكنهم تساهلوا . وعن الاهم أعرضوا ، وإلى الوظائف والمرتبات جنحوا . وإلى الذين ظلموا ركنوا . أنى يظهر الدين والعلماء ساكتون ، نسأل الله السلامة .

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ الصَّلَاةُ لَوْ قَتَلَهَا قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ وَحَدَّثَنِي بَيْنَ وَلَوْ اسْتَزَدْتَهُ لَزَادَنِي *

وَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِيهِمَا صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ سَبْعَ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً *

وَحَدِيثُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ * مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٌ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فِي حَسَنٍ وَضَوْءِهَا وَخَشَوْعِهَا وَرُكُوعِهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةٌ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ وَبِهَذَا نَا الْبَيْهَقِيُّ قَالَ لَيْسَ فِي الْعِبَادَاتِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الرَّافِعُ لِلْكَفْرِ عِبَادَةٌ سِوَاهَا جَلٌّ وَعِلَالٌ إِيْمَانًا وَسَمَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرْكَهَا كُفْرًا إِلَّا الصَّلَاةَ *

(۲۲) الزَّكَاةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) (۱)

(۱) أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، يقال زكا يزكو إذا حصل منه نمو وبركة، وفي الشرع اسم لما يخرج من الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء والمساكين، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة أو تزكية النفس وتنميتها بالخيرات والبركات أولها جميعا

وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظهورهم هذا مَا كُنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ تَذَوِّقُونَ) ١

فان الخيرين موجودان فيها، وهى من أعظم أركان الاسلام وفوائدها ملموسة محسوسة لا فرق بين المنفعة الشخصية أو العمومية ، والنفس مجبولة على الشح ، قال تعالى: (واحضرت الانفس الشح) وهو عيب كبير له تأثير وسلطة على الاضرار بمعظم الفضائل وهو أشد أضرار البخل فالزكاة تزيل هذا المرض النفساني العائق عن السير إلى مراتب السكالات لتطلع النفس إلى أسمى المناصب وتزداد بعدا عن صفات البهيمية، وهى تخفف من بؤس الضعفاء وذوى الحاجات اذا لم تزل جميع ما احاط بهم من الشقاء والتعاسة، فلو لا الزكاة لهلك الفقراء جوعا أو ساقهم ذلك إلى الفوضى والاشتراكية كما وقع فى روسيا أخيرا سنة ١٣٣٧ هـ حيث انقلبت رأسا على عقب ولم تبرح تتخبط فى دياجي الضلالة وتنتشر هذه البدعة السيئة بكل مالها من حول ولا قوة حتى ظهر ضلال هذه البدعة وأدركها الكثير فاصبحت بعض الدول تحاربها وتدعو الدول الأخرى إلى محاربتها خوفا من سموها، وها نحن منتظرون ما يحصل فى دولة أسبانيا بسبب هذه العقيدة الزائفة والمذهب المهلك للجمتمع الانسانى والقاضى عليه بالتعاسة إلى الأبد، اللهم انصر الحق وجنوده واخذل الباطل وحزبه وضع الاغلال فى اعناقهم والقيود فى اطرافه حتى يهلك كذا ويزول جميعه من العالم الجسمانى *

(١) انظر الى هذه الآية الشريفة ونظائرها الدالة على توبيخ مانعى الزكاة وتقريعهم وتعذيبهم العذاب الاليم ، والاحاديث الواردة فى ذلك

وَقَوْلُهُ (وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ
بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) *

بما يحمل الانسان على اخراجه زكاة ماله وبدنه واعطائها مستحقها لانها
تربي المال وتزيده حسا ومعنى ما هو مشاهد لخرجها من حفظ ما لهم من
الآفات وعدم تضييعه في المهلكات *

ولكن كيف تنفع تجربة، وتعظ واقعة أو يحجز اسلام وايمان أو يفيد
بيان وقد استحوذ على أغنياء زماننا الشيطان واستبطنهم ، فخالط اللحم
والدم، والعصب والمسامع ، والاطراف ثم أفضى الى الافخاخ والاصماغ
ثم ارتفع حتى باض وفرخ خُشامهم نفاقا وشقاقا، واشعرهم خروجا وخلافا
اخذوه قائدا يطيعونه ودليلا يتبعونه وآمرا ناصحا يستشيرونه ، متى الى
الكتاب والسنة يرجعون وبأثر السلف يقتدون؟ ان الله واناليه راجعون،
ان من كان عقله صحيحا يدرك أن النقود آلة لتبادل المنافع ولذلك تجد
الشريعة المحمدية لم تحظر جمع المال المشروع ولم تنهى للرجل عند الموت
ان يتصدق باكثر من ثلث ماله لان الاحتياج غير مرغوب فيه وكلفنا الشارع
بمحافظة مال السفيه ونسبه البنا لان المسلمين جسد واحد قال : (ولا تؤثروا
السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما فيها) فاورد من الآيات في الزجر
مصرف الى المال الذي لا يؤدى حقه وهو المعنى بالكفر *

قال ابن عمر رضى الله عنهما : كل ما ديت زكاته فليس بكفر وان
كان تحت سبع ارضين وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الارض
وقال جابر : اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره
وليس بكفر هـ

وَلَحْدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ ﷺ إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لَذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لَذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُوْخَذُ مِنْ أَغْنِيَاءِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَاءِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لَذَلِكَ فَأَيَّاكَ وَكَرَأْتُمْ أَمْوَالَهُمْ وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ :

وَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ * مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَلَـمْ يُوَدِّ زَكَاتُهُ مِثْلَ لَهُ مَا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَقْرَعْلَهُ زَيْبَتَانِ يَطُوقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْرَمَتَيْهِ يَعْنِي شِدْقَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَاهُ هَذِهِ الْآيَةَ (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ٥

(١) الشجاع بضم أوله وكسر الحية الذكر وقيل مطلقا والافرع الذي لا شعر على رأسه لكثرة سبه وطول عمره، والزيبتان ثنية زيبية وهي نكتة سوداء فوق عين الحية تدل على أنه أشد أنواع الحياة واخبثها، والشدق جانب الفم *

(٢٣) الصَّيَامُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) (١) *

(١) الحكمة في الصوم هي أن الانسان حالة وسطى بين الملكية والجسم اللطيف المنافي للذنابة وبين البهيمية والشهوة الحيوانية فهو مركب من المادتين ولذلك كان الانسان أفضل من الملائكة لما يصيبه من العناية الشديد والصعوبة في مجاهدات النفس ثم ان الشريعة كافت الانسان بامور يستعين بها على نجاح أمره وصلاح حاله فان البهيمية التي يتقهر بها الانسان الى درجات الشقاء ارادت الشريعة قهره وجعلتها تحت سلطة الملكية وذلك لان قوة الاولى واستفحال أثرها يكون بالغذاء في الأكل والشرب والانهماك في سائر الاعمال الشهوانية فشرع الله الصوم لترجع النفس خاسئة فتنقاد لامر الروح وتفعل حسب ارشاداتها ونصائحها الى أن تصير كالآلة المسخرة لها هـ
فاذن الصوم عبارة عن منفعة تعود على الصائم فليس القصد منه الاضرار حاشا الشريعة المطهرة أن يوجد فيها ذلك أو يحتمل حصوله أو اخذ عليه ولهذا جاز الافطار المريض والمسافر لانه يضر بالاول وقد يعوق الثاني عن كثير من أعماله شائن السفر ولهذا قال تعالى : (وان تصوموا خير لکم) *

ولما كان هلاك النفس أو شدة الاضرار بها أو اخفاف الشهوة غير جائز شرعا شدد الشارع التنكير على صوم الوصال وحرمه وكرهه صوم الدهر لان الصوم مقصود لغلبة النفس لتخضع لامر الروح فتغلب الصفة الملكية على الصفة البهيمية *

وإذا تغلبت الروح فهذا هو السكال لان الرجال تنفاوت في قوة الارادة

وشدة العزيمة ومن كان طوع أمر شهوته فانه جبان النفس ضعيف الهمة لا يقدر على مخالفة النفس الامارة بالسوء . فكان الصوم عوناً كبيراً وناصراً عظيماً يضعضع قوى النفس وينهكها فيتركها تسلم القياد للروح وتستسلم لها فتكون عوناً وهذه المزية المطلوبة من الانسان حيث جمع شمله ووجد قواه وأصلح بين الخصمين وصير آلة الشر مسعفا للخير ومروجا له وعاملا في سبيل إحيائه وانمائه .

وأخال ان هذا السر الذي جعل الصوم واجبا في كل الديانات فهو مختلف النوع والشكل متحد الهدف وهو قهر النفس والغلبة عليها كما قال تعالى : - كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون - أى تتخذون من اجتناب الشر وعمل الخير وقاية من عذاب الله وغضبه بالصوم المذهب للنفس الباعث على قوة الارادة التى تجعل الانسان عظيما مبجلا في دنياء وآخرته مقدساً فيهما محترماً .

وقد اوجب الله صيام شهر رمضان على حساب الأشهر القمرية لأنها متحولة فيمر على الانسان فصول السنة كافة ويشاهد الحار والبرد والسموم والزهرير فتكون هذه شهوداً له على إخلاصه وطاعته لربه ولأن الناس متفاوتون بحسب المزاج فمنهم من لا يتأثر من الحر فاذا أتاه البرد تأثرت نفسه ومن سهر لا يبالي بالبرد فاذا حل فصل الحر ضعفت قوى بهيمته وأصبحت السلطة بيد الملكية أى الروح وحدها لا منازع لها، وهكذا يقال في بقية الفصول اذ المقصد اصلاح النفس وتربيتها على علو الهمة وتمرینها على الأعمال الكبيرة فانها اذا صبرت على الجوع والعطش ولم يخطر على بال الصائم بقية الشهوات فقد نجا من شرور الحياة وأصبح لا يبالي بالاقدام على الأمور العظام ولا تهمة الكوارث مادام ذا عزم متين وإرادة فعالة .

وَلَحْدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ بِنِ الْإِسْلَامِ
عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ
وِإِتْيَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَحُجُّ الْبَيْتِ (١) *

(١) قوله : « بنى الاسلام على خمس » وذلك لأن العبادة لا تخلو إما
أن تكون قولية أو غير قولية . فالأولى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً
عبده ورسوله . وغير القولية إما أن تكون تركية وإما أن تكون فعلية
فالأولى الصوم لأنه ترك الأكل والشرب واللغو والكلام الفاحش ،
والفعلية إما أن تكون بدنية خالصة أو مالية خالصة أو مركبة منهما غالباً
فالأولى أعنى البدنية الخالصة الصلاة والثانية أى المالية الخالصة الزكاة ،
والثالثة أى المركبة منها الحج لأنها مركبة من النفقات وتعب الطريق وإنما
قلنا غالباً لأن الحج يصح من رجل قاطن مكة فهو يستطيع أن يذهب ماشياً
بدون نفقة ولا مصرف إلى عرفات ويعود من يومه إلى مكة وأيام منى
يتردد فيها بين مكة ومنى والمسافة قصيرة لكن هذا نادر والنادر لا تبني
منه قاعدة فالأغلب أن الحج مركب من عبادة بدنية ومالية وإنما كان البناء
على خمس مع أن البناء يكون على أربع بحسب الجهات الأربع لكن لما كانت
الأركان الأربعة لا تصح إذا انفقد خامسها وهى شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله فهو كبنت الشعر يجعل على خمسة أعمدة أحدها
فى الوسط والبقية فى الجهات الأربع تبع للوسط فإدام المتوسط قائماً فسمى
البيت موجوداً ولو سقط معظم الأركان ولكن الاوسط اذا سقط سقط مسمى
البيت وكذلك الايمان اذا وجد وحده يحتفظ صاحبه بمسمى الاسلام بلا فائدة
تعود عليه غير مسئولية الكفر واذا زال فلا فائدة له من عمله والذين
أشركوا حبطت أعمالهم والعمدة فى ذلك كله على الايمان .

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا «كُلَّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ (١)
 الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعَفَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا الصَّوْمَ
 فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي» «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ
 فَرِحَتُهُ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرِحَتُهُ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ» «وَلِخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ

(١) قوله: «كل عمل ابن آدم يضاعف الخ» أي ان من فضل الله تعالى أن جعل الحسنه مضاعفة بمقادير معينة متفاوتة على حسب الاخلاص في العبادة إلا الصوم فإنه لله تعالى وذلك لانه أبعد الاعمال عن الرياء فيستطيع الانسان أن يظهر بمظهر المفطر وهو صائم حتى لا يستطيع أن يعرفه أحد، وإذا دعى لاكل يحتج بعدم ملاءمته له أو يأتي من الاعذار الكثيرة بخلاف الصلاة فإن رؤيتهم يمكنه لجلبه وكذلك الزكاة لا بد أن يعلم الآخذ وأما الحج فإنه أشهر من نار على علم.

ولكن الصوم يمكن اخفاؤه على جلسائه فهو معهم من قبل الفجر ويرغم بأن نفسه لا تريد الأكل إذا ألحوا عليه الى أن يصير الغروب فلماذا قال في الحديث القدسي: وأنا الذي أجزى به وجزاؤه عظيم بما يليق بكرمه العام وفضله الواسع وهذا شأن الكريم إذا أخبر أنه يتولى الجزاء بنفسه فإنه يقضى أن الأجر عظيم جدا ولا سيما وقد استغنى الصائم عن الطعام والشراب تقربا الى ربه بما هو صفة لله وان تفاوتت ماهيتها لان صفات الله لا يشبهها شيء. وقوله: للصائم فرحتان فرحة عند فطره وذلك يعود على النفس حيث أطلق من سرها وما أريح لها ما كان محظورا عليها، وفرحة عند لقاء ربه فينال جزاء غير محدود يليق بكرم الله تعالى.

وقوله: لخولف فم الصائم الخ أي تغير فم الصائم لان الخولف بضم

عَنْ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ» «الصَّوْمُ جَنَّةُ الصَّوْمِ جَنَّةٌ» *

(٢٤) (الاعتكاف لقوله تعالى) وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١) *

الحاء واللام معناه تغير رائحة الفم أكثر فواحاً من رائحة المسك المندوبة
في الجمع والاعياد وسائر المجتمعات الخيرية أى أن الصوم فضيلة لا توازيه
فضيلة لانه قد يكون سبباً في كثير من الاعمال لان الصوم قلنا يهذب النفس
فاذا لم تكن النفس مهذبة فلا خير في اجتماعاتنا بل قد تكون ضراً
ووبالاً على المجتمعين واداة للفساد يحرمها الاعداء حسب اهرائهم ومنافعهم
ولما كان الصوم له هذا الفضل حسب المقصد والنتيجة فانه أفضل لانه
مقصود لذاته ولغيره *

(١) قوله : الاعتكاف الإقامة في مسجد بنية مخصوصة وانه من
الشرائع القديمة بدليل الآية (ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع
السجود) ولم يبرح معمولاً به الى زماننا هذا إلا انه أصبح اعز من الكبريت
الاحمر لا تجد من يعمل به الا نادراً حتى الذين يظهرون بمظهر الصلاح
والعبادة ويواظبون على السنن واحياء ما اندثر منها وقد لا تجد من يعرف
هذا الاسم بين معظم العوام لانه صار مهجوراً لا يأتلف اليه أحد *

قديقولون : ان الناس يعيروننا اذا تجردنا لعبادة ربنا ليت شعري هل هذا
الاسوسه او تلبس من إبليس كما يقوله العلامة الحافظ ابن الجوزي ؟
لانه اعترف بأن عيب الناس له أشد من عذاب الله أو أن النجس عنه
أكثر فائدة من ثواب الله عز وجل *

لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله كما رواه البخارى
 عن أبى سعيد الخدرى: «لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع
 حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»
 على طريق الاستفهام الانكارى أى ليس المراد غيرهم . ولا ريب أن
 الجماعة الذين يتركون أحكام دينهم خشية من كلام أهل الكفر يخشون
 سيوفهم أشر وأشد وتصدق عليهم آية (إذا فريق منهم يخشون الناس
 كخشية الله أو أشد خشية) ولا يخجلون من قولهم : انا نستحي من
 الناس ولا يستحيون من الله . (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله
 وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا
 ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة
 أم من يكون عليهم وكلا) لو أنصف الرجل لعلم أن المعيب اما أن يكون
 ذافرا وهذا لا يكثر بقوله لانه لا يريد منك الاسلام ايرضى منك عن
 احكامه (ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم) فان كنت
 تقصد بهذا مرضاتهم فقد تمسكت بأذيال المستحيل وخيال الاوهام وان كان
 مدعى الاسلام فاما أن يكون جاهلا للحكم فتعرفه به ويستقبله به ببشاشة
 وطمانينة وان كان عالما ويزجرك عن ارتكاب المشروع لنفسك فانه زنديق
 مارق عدو للاسلام فى ثياب ابنائه فلا حكم له ولا عبرة به وان اذاعة امره
 بين المسلمين للاجتناب منه ومن دسائسه من اشد العقوبات له اذ انه يستغل
 الاسم فيتاجر به لاعداء الدين *

والاعتكاف حكم شرعى له فوائد جمه فقد قلنا ان للصوم فوائد ومنها
 قمع شهوة النفس فقد يجوز ان المرء يبقى فى وساوس مرتقا الليل ليستفيد
 فى ترك نفسه ترتفع فى الاكل والشرب والنكاح ولا يجدها الصوم فائدة
 تامة فى الرجوع الى الادب المطلوب منها فشرع الاعتكاف لتأديب نفوس

وَلَحْدِيثَ عَائِشَةَ فِي الصَّحِيحِينَ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تُوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ اعْتَكَفَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ مِنْ بَعْدِهِ» * (١)

الذين لم يتأثروا من الصوم او ان نفوسهم البهيمية وان ضعفت فهي لا تبرح قوية ، فالاعتكاف آخر العلاجات التي تنزيل تلك الامراض ، وفيه انصراف عن الخلق الى الحق ليعبد الله متجردا عن العلائق والعوائق ، فهو اذن مفيد لكل واحد من اى الطبقات كان لان فيها درءا لمفاسد النفس وجلبا للمنافع الدنيوية والاخروية والثواب ورضاء البارئ تعالى ولذلك كان يواظب عليه رسول الله ﷺ ولا يتركه لما فيه من الفوائد والمنافع العظيمة *

(١) قوله كان يعتكف العشر الاوخر فيه إشارة الى أن الصيام يمرن النفس على ان تألف العبادة فلما مضى عليها عشرون يوما وعلمت ان ليس في مقدورها لفساد المسلم صيامه رضخت واستكانت فيترقى بها الى ان يجمع عليها الليل والنهار وتفرغ للعبادة بصورة جديدة لأنها لو كلفت بهذا في اول الامر قد يأتي من كان ضعيف الرأي غير حازم او ان الشيء الثقيل قد لا يستطيع المرء تحمله لأول وهلة فيحصل عكس المطلوب ولكن التكليف التدريجي يسوق النفس الى القبول مرغمة او لا ثم الاستلذاذ به حتى تتطلب زيادته لأن العبادة وان كانت في اول الامر ثقيلة وكبيرة الا على الخاشعين فهي في آخر الامر لذة ونشأة لا يريد تركها ، فكان اعتكاف الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله تعليما لنا كيف يجب ان نمرن نفوسنا على عمل الخير والرضوخ الى الحق . وكان (٥٢ — مختصر شعب الايمان)

وَلَمَّا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «قَالَ: مَنْ أَعْتَكَفَ فُوقَ نَاقَةٍ فَكَأَنَّمَا
أَعْتَقَ نَسَمَةً أَوْ رَقَبَةً» * (١)

يدأوم عليه صلى الله عليه وسلم في كل عام لأن الإنسان لا يسوغ له أن يترك نفسه حسب هواها بعد أن جربها فطاوعته مرة أو مرتين بل عليه أن يتعهدا في كل عام على الأقل مرة لتبائن من الأمانى التي يوسوس بها الشيطان من احتمال تغلبها على الروح واليأس إحدى الراحتين فيزول الخصام ويسود الوآم وهذا هو المطلوب هـ

(١) قوله فوآق نآقة النخ الفوآق بضم الفآء وهو الزمن الواقع بين الحلبتين ، وقوله فكأنما أعتق رقبة وذلك لأنه اعتق نفسه في الاعتكاف من رق النفس والشيطان والهوى لأن هؤلاء يدعون إلى كراهة العبادة ويرغبون في الانهماك في شهوات البطن والفرج واللسان لأن جلوسه للعبادة في المسجد المعد لذكر الله يمنعه من إطلاق لسانه في غير مآلا يعنيه بما لا يوافق الشريعة والوطء يحرم على المعتكف فلم يبق إلا الأكل وهذا فيه خلاف بين المذاهب فالحنفية يشترطون الصوم لتزول الوسائل كافة والشافعية لم يشترطوا ذلك وقالوا إذا منعنا لسانه وفرجه فإذا ملا بطنه يكون وبالا عليه نعم السنة أن يصوم أى أنه يؤجر لا أن الاعتكاف لا يصح بدون الصيام واستدلوا على ذلك بحديث عمر رضى الله عنه «أني نذرت أن أعتكف ليلة في الجاهلية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أوف بنذرك» ولو كان الصوم شرطاً فيه لم يحزه بالليل وحده اهـ مهذب هـ

فتأمل كيف أن نذرا لا اعتكاف الواقع في زمن الجاهلية وفترة الرسل يكلف الشارع الناذر بادائه والمسلمون الذين كان نبينهم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام يلازمه لا يفعلونه ولا يهتمون به كأن الدين عبارة عما تجدد النفس

(٢٥) الْحَجُّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) وَقَوْلُهُ (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) وَقَوْلُهُ (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ)

فيه لذتها والآنكى من هذا أن الذى يزعم الانتصار لسنة فعلت مرة أو مرتين ينادى بلزوم أحيائها وإقامتها ولكن سنة داوم عليها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم حتى توفاه الله تعالى تصبح مهجورة غريبة لا تجدد من يتعدها ولا من يلتفت إليها اللهم الا اذا كان على طريق النذرة والشذوذ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم *

وقول المصنف رحمه الله تعالى : ولما روى البخ يشير الى ضعف الحديث لأنه اخرج العقبلى فى الضعفاء من حديث أنس بن عبدالحيد عن هاشم بن عروة عن أبيه عن عائشة بلفظ «من رابط» بدل «من اعتكف» وأنس هذا منكر الحديث، قاله الحافظ ابن حجر فى التلخيص *

الحج فى اللغة كما قال الخليل : كثرة القصد الى من يعظمه ، وقال ابن قتيبة : حج البيت مأخوذ من قولك حججت فلانا اذا عدت اليه مرة بعد مرة فقل حج البيت لأن الناس يأتونه فى كل سنة ، وقيل لأن الناس يعودون الى البيت بعد التعريف يوم النحر ثم يعودون اليه لطواف الصدر ، وقال الجوهرى : حج بنو فلان فلانا اذا اطالوا الاختلاف اليه قال هذا الاصل ثم تعورف استعماله فى القصد الى مكة للنسك اه ، ويقال حج يحج بضم الحاء وكسر ها ورجل حاج وقوم حجاج وحجيج وحجج بضم الحاء كنازل ونزل ونسوة حواج غير مصروف ، والحج بفتح الحاء

وكسرها المصدر وكذلك الاسم بفتح الحاء وكسرها المرة الواحدة من الحج
والأكثر الكسر والقياس الفتح *

واما معناه في عرف الشرع فهو قصد بيت الله الحرام لأداء عبادة مخصوصة بزمن
مخصوص وهو أحد عمد الإسلام وأساسه التي بنى عليها فرض عين بالاجماع
معلوم من الدين بالضرورة وهو الركن الأعظم الذي يدر على الإسلام والمسلمين
الفوائد الجمة لأنه منتهى الأمور الاجتماعية فإن الاجتماعات تبتدىء في صلاة
الجماعة بالصلوات الخمس ثم تصعد إلى صلاة الجمعة حيث لا تكون إلا المساجد
الكبيرة وفيها الخطبة الموضوعة لتذكير الناس عيوبهم المسيية لانهطاطهم
ولتبيان ما يحتاجون إليه فقد تنتشر المضرة ولا يدرى العوام عنها شيئا حتى
تحدث أمراً عظيماً وتنتج ضرراً كبيراً وتفهم كل فرد على حدة شاق جداً ولكن
الخطيب يستطيع أن يفهم الناس عنها في مرة واحدة فتنتشر في جهات المدينة
وبعد الجمعة صلاة العيد حيث يجتمع القرويون وأهل البلاد فيحصل
التعارف والتآلف والتناصح والتوادد وفيها الخطبة المعدة لبيان حاجات
الامة من تغيير من مكروه أو تشويق إلى أمر مطلوب .

ولكن مع الأسف ان أصبح سقوط الأخلاق فاشياً إلى درجة يخجل
الإنسان من التصريح بها ولا سيما في البلدان الواقعة تحت الحماية
أو الانتداب فإن الخطيب لا يكاد يتم خطبته إلا وصورته قد أصبحت
منقولة بالحرف في دوائر الاستخبارات والاستعلامات بل قد تنتشر في
الأزقة لأجل تعميم الفكرة ليت الأمر كذلك فإن هذا حسن جداً
وهو الغاية ولكن لأجل نقد الخطيب والتشجيع عليه وإبلاغ ولاية الأمر
بواسطة الاشاعة ان هذا رجل يخدم دينه وأمه فيجب اضراره والإيقاع
به وذلك بواسطة الطوائف المختلفة حتى أنهم يعلمون عن شؤوننا أكثر
من معظم اصحابنا وأما ما يقع في كنائس النصارى وفي بيع اليهود وفي

وَلَحْدِثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى
خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ نُحْمَدَ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحُجِّ الْبَيْتِ» .

نوادى المبشرين فذلك لا وصول الى العلم به الا بصعوبة ولم نعهد مسيحيا
او يهوديا اذاع للمسلمين عورات قسسمهم وأحبارهم فكان المسلمون ناقدون
على الاسلام يريدون القضاء عليه بسرعة، أقول وهذا ليس فعل المسلم لأن المؤمن
لا يفعل ذلك أصلا لأن الانقياد الظاهر لا قيمة له وإنما الاصل على ما يحويه
الفؤاد من الاخلاص والايقان ان ما ذكرناه لا يتجاوز المقاطعة الواحدة
ولكن الاجتماع الاكبر هو الحج الذي يجتمع فيه كل المسلمين بواسطة
ممثلهم فلا يمكن ان يوازيه تعارف اذ لو صرف الانسان المبالغ الطائفة
وساح السنين العديدة لما قدر أن يدور هذه البلدان الكثيرة ولما استطاع
أن يقف على نواياهم كما يعرب عنها ابن المحل الذي عاش فيه وخبره وذلك هو
الهدف المقصود من الحج حيث يحصل التعارف ويكون معرضا اكبر
للمسلمين يتشاكرون ان كانوا في ضيم فيوحدون المسعى ويجمعون الكلمة
المتفرقة ويهتفون للعدو الاستعدادات التي تمنعه من دخول البلاد او تمزق
شملة في بلاد اذا حدثته نفسه باضرار المسلمين وما وجد في مدينة يذبح
بين المسلمين كافة من علم ورأى صائب وعمل نافع وصناعة مقبولة وفن
مستحدث واتحاد جميل، وهذه هي المنافع التي اشار اليها قوله تعالى (ليشهدوا
منافع لهم ويذكروا اسم الله) فقد جعل فوائد الحج عبارة عن شهود المنافع
وذكر الله تعالى وقدم شهود المنافع لأنه اقدم ولقوله صلى الله عليه وسلم
كما رواه الدارقطني عن جابر «ابدؤا بما بدأ الله به» ولأن ذكر الله المحض

وَحَدِيثَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَالَ يَنْبَغُ لَنَا جُلُوسٌ
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ مَا الْإِسْلَامُ؟
قَالَ إِنْ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلَاةَ

لازمن ولا مكان ولا صفة له قال تعالى «الذين يذكرون الله قياما وقعوداً
وعلى جنوبهم» فاذن الغاية هي المنافع التي ذكرناها حيث تظهر فيها
شوكة المسلمين باجتماع جنودهم وبيان قوتهم لان الحج لا يذهب اليه الا
المستطيع الصحيح الوجود قال تعالى (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً)
فالْحج هو قوة المسلمين التي يركنون اليها والامل القوي في الوصول الى
النجاح بسببه ، وهذا لا يخفى دلى اعداء المسلمين لذلك نجد الرؤساء
المغتصبين والحاكمين البلاد بسلطانهم الغاشمة واستبدادهم الفظيع يضعون
العراقيل الثقيلة ويشددون على الأشخاص الذين يريدون اداء الحج لاسيما
اذا كانوا من فقهاء الدين وعرفوا بحكمة مشروعيته ولهم غيرة على دينهم وحب
لامتهم ، ولو ذكرنا جزئيات ذلك لبلغ البحث مجلدات ويدرى ذلك كل من
تجرع غصص الامة ورأى الاهانات واختلاق الاسباب تارة باسم الضبط
والانضباط ومرة باسم الصحة والمحافظة عليها واخرى باسم تحقيق الهوية وتطبيق
الجواز الذي لا يتحصل عليه الا بشق الانفس وأخيراً يمنع الحاج من
ركوب باخرة غير التي تخصصها له حكومته ولا حاجة لبحث أمر معلوم
يعرفه الخاص والعام .

ورغماً عن أن المسلمين اهتموا بحكمة هذا الزكن الاساسي للإسلام
وأن أعداء الدين لا يخفى عليهم ذلك فان جيش الجواسيس الذي يحج
لنقل الاخبار وتحري ارباب العلم والنهي والدين لا يستهان بعدده وبما يختلقه

وَتُؤْتَى الزَّكَاةَ وَتَحْجُّ الْبَيْتَ وَتَعْتَمِرُ وَتَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ وَتَمُّ الْوُضُوءَ
وَتَصُومَ رَمَضَانَ قَالَ فَإِنْ فَعَلْتُ هَذَا فَأَنَا مُسْلِمٌ قَالَ نَعَمْ قَالَ صَدَقْتَ
فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ۝

من الآفك وقول الزور والباطل مندفعاً بالحقد أو الطمع ۝
نعم أن أعداء الدين يعلمون ذلك لأن الذين يدعون الزعامة في
العلم والرأى وأن لهم حقاً في السيادة قولاً وعملاً حججهم أوروباً باليتعلموا
هناك الوسائل التي تورث محو الاسلام أو توجب انتشار فساد الاخلاق
والمقائيد الزائفة أو تقتضي تفريق طمة المسلمين أو تغيير ما يأمر به الدين
من الاتحاد والوفاق وحب الخير وعمله والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر بحيث ينشرون انواع الدسائس وأصناف المكر والخداع وضروب
الالحاد والسفاهة ۝

والانكى من هذا ظه ذهابهم لاجل العلم والتحصيل فكأن العلم عبارة
عما ذكرنا من النقائص والذائل . انا لله وانا اليه راجعون ۝
ان نصف المصاريف التي يبذلها المتزعمون لاوروبا باسبغاء يكفى لإنشاء
أكبر جامعة اسلامية تنشر العلم النافع ويحفظ الدين والاخلاق من الضياع
ولكن هي النفوس الخبيثة لا تريد الا المغازلة والمعاقرة واطلاق السراح
لشهواته التي يمنعها الدين من وجهه لهذا يعاديه ولا يذهب لاداء الحجج الا
اذا صار الحجاز والعياذ بالله تعالى مباحاً لما يشتهيهِ ونعوذ بالله من هذا
الامر الذي تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
ويرحم الله الشيخ الجنيدى حيث يقول في تأييده الملاحظة المنشور بآخر
كتابه أصدق النصائح ۝

وَرَوَى عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَنْ لَمْ يَحْبِسْهُ مَرَضٌ
أَوْ حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ أَوْ سُلْطَانٌ جَائِرٌ وَلَمْ يَحْجَ فَلْيَمِتْ أَنْ شَاءَ يَهُودِيًّا وَأَنْ شَاءَ
نَصْرَانِيًّا * (١)

سلوا الفقيد أطاف البيت محتسبا أم زار مسجد طه كالذي زاروا
كلا ولكنه كم زار عاصمة نرو لزخرفها القينات أبصار
وهذا مرض فتاك كل من رأى البلاد الشرقية لاتزال ناقصة في الفساد
الذي نشرته بيننا الغرب رأسا وبالواسطة يجمع له نقودا ويذهب لاوروبا
ليرتع كالبهيمة في شهواته ويدعى الزعامة في العلم والوطنية اذ يقال تكلم
مع الزعيم الفلاني وحضر في المنزل الفلاني وتناول الشاي في المقهى الكبير
وحادثه صاحب الجريدة وكتب شيئا يطعن في امته فحققت له الزعامة لانه
لا يقدر عليها في بلاده فهو يذهب ليشترى بها ويقال عنه رجل مفكر حر صريح
الرأي اذا كان آلة لبيع امته في ثمن بخس بسوق كاسدهو اعطاؤه لقباً والسماح
له بمقابلة احد العظماء او ارسال بطاقة تهنئة له . الا قاتل الله الجمل وعلى
كل وان طال الزمان فالحق سيظهر واضحا الان حزب الله هم الغالبون .
(١) هذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال العقيلي
والدارقطني لا يصح فيه شيء قال الحافظ العز بن جماعة في كتابه - هداية
السالك الى المذاهب الاربعة في المناسك - : رواه الدارمي في مسنده .
والدارقطني والبيهقي وقال ان اسناده وان كان غير قوى فله شاهد من
قول عمر ولم يسمع منه وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه
ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول : (والله على الناس

حج البيت من استطاع اليه سبيلا » رواه الترمذى باسناد ضعيف بين
 ضعفه ، ولا التفات الى قول ابن الجوزى انه حديث موضوع فان الترمذى
 قال : ان كل حديث فى كتابه معمول به الا حديثين وليس هذا احدهما
 والله اعلم ، وقد حمل جماعة من العلماء الحديث على الزجر والتغليظ بمعنى
 ان فعله أشبه فعل اليهود والنصارى ، وقيل محمول على المستحل فيكون
 بذلك كافرا اه ، وقال الحافظ ابن حجر فى التلخيص بعد ما أورد
 له طرقا اربعة احدها موقوف كل منها لا يتخلو عن ضعف قلت : واذا انضم
 هذا الموقوف الى مرسل ابن سابط علم ان لهذا الحديث اصلا ومحملة
 على من استحل الترك وتبين بذلك خطأ من ادعى انه موضوع اه *
 وقوله صلى الله عليه وسلم « فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا »
 لأن ترك ركن من أركان الاسلام يشبه بالخروج عن الملة ، وإنما شبه
 تارك الحج باليهودى والنصرانى وتارك الصلاة بالمشرك لأن اليهود
 والنصارى يصلون ولا يحجون ومشركو العرب يحجون ولا يصلون *
 (فائدة) الحج لا يجب فى العمر إلا مرة واحدة ونقل ابن المنذر الاجماع
 على ذلك ، وفرض سنة ست من الهجرة ، وقيل سنة خمس ، وهل كان
 واجبا على الشرائع قبلنا أو هو مختص وجوبه بهذه الأمة ، حكى الامام
 نجم الدين ابو داود سليمان بن خليل الشافعى المسكى فى مناسكه الكبرى
 وجهين وقال : إن الصحيح أنه لم يجب إلا على هذه الأمة وفى ذلك نظر
 وأهل الجاهلية قبل البعثة كانوا يحجون وكان الحج أصل دينهم ولكنهم
 خلطوا أعمالا ما هى مأثورة فى الحج عن ابراهيم عليه السلام وانما هى
 اختلاق منهم وفيها إشارات لغير الله كتعظيم إساف ونائلة صنات
 وكالا هلال لمناة الطاغية . وكقولهم فى التلبية لاشريك لك إلا شريكاهو
 لك . وأعمالا انتحلوها فخرا وعجبا كقول حمس نحن قطان الله فلا

(٢٦) الْجِهَادُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) (١)

نخرج من حرم الله . وكذكركم آباءهم أيام منى وكاجتناب المحرم دخول البيوت من أبوابها وكانوا يتسورون من ظهورها . وككراهيتهم التجارة موسم الحج . واستجبابهم أن يحجوا بلا زاد ويقولوا نحن المتوكلون الى غير ذلك وقد نهى الشارع عنها كلها وجاء بما هو أيسر وأرفق بحال الناس والله أعلم .

(١) قوله الجهاد هو الدعوة الى الدين الحق والقتال مع من لا يقبله فهو آخر علاج يستعمله المرشد في اصلاح المجتمع الذى طرأ عليه الفساد او اصابه الخلل كمثّل المريض الذى أشرف على الهلاك ولم يرض باستعمال العلاج النافع بأنه يجبر على تجربته قهراً عنه كي يصح ويذول الالم عنه فيبقى عضواً نافعا في المجتمع الانساني ولا يبرح شاكرًا له نعمته عليه حين الشفاء بعد ان كان يكرهه في قلبه وكذلك الجهاد فانما ابيح لوقوفهم في سبيل نشر الدعوة الى الله فكان دفاعاً عن حرم الاسلام الذى تعرض له الكفار مرات عديدة يريدون رفعه من عالم الوجود ولما رأوا انه قوة الهية وسطوة ربانية وقفوا قليلاً واعدوا جموتهم ليفتكوا به فتكة لا تبقى للمسلمين باقية وهذا ما حدى الخلفاء الراشدون الى ارسال الجيوش متتابعة ويقبلون منهم الاسلام او انهم يؤدون الجزية ويعترفون بالطاعة فلا تحذتهم أنفسهم بالظلم والغدر .

فالجهاد امر لا بد منه للامة تجاه العداء المستحکم حسب الاختلافات والحزازات رغم ما يدعون ان العصر الحاضر يتطلب الاخوة والمساواة مع ان الاخوة والمساواة نعمة لخداع الشعوب الضعيفة وقائلها لا تتجاوز حنجرته ، من المعلوم ان الاسلام يدعو الى الاتحاد والمساواة فجعل الذى

يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً (١) (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) * (٢)

(١) قوله وليجدوا فيكم غلظة وذلك ليعلموا أن لكم بأسا شديدا وأن
عندكم قوى عظيمة لا تبالون بهم ولا بجموعهم . ولأن الرفق بالعدو
تسليم النفس له يفعل فيها ما يريد ما عدا أنه يطمعه ويجعل قواه المعنوية
تزداد فيدوم الحرب بخلاف ما إذا رأى خلاف ذلك فانه يوهن عزمه
فيضطر الى التسليم وإلقاء السلاح وهذا هو المطلوب .

(٢) قوله حرض المؤمنين على القتال أى حثهم على القتال بكثرة التزيين وتسهيل
الخطب فيه حتى تأتاه الاصل حتى لا ينفروا منه وكان هذا رخصة نعمة تجاه
ما لا قوا من الكفار من العذاب المتنوع والاضطهاد المختلق بسبب
تمسكهم في دينهم ثم لما انتشر الاسلام أيجت محاربة الذين يقفون في
سبيل الدعوة الاسلامية وأما الذين لم يعارضوا الاسلام فأولئك يقال لهم
لكم دينكم ولى دين ماداموا لا يضررون للمسلمين عدا ولا سوءا وإلا فإن دين
الاسلام هو دين الهداية والارشاد لا يجبر الناس على تعاليمه التى يقبلها
العقل السليم ويستريح لها فؤاد المدرك الاديب قال تعالى (لا إله الا
له فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفركم بالطاغوت ويؤمن بالله فقد
استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)

ان دين الاسلام أباح محاربة الذين لا يرضون مقارعة الحجة بالحجة
ولا يفهمون الدليل ولا يصغون الى البرهان الواضح بل يريدون بقوتهم
وسفاهتهم أن يزيلوا الاسلام أو ينالوا منه نيسلا وهؤلاء جوزوا من
جنس عملهم لانهم لا فائدة فى إصلاحهم إلا بالقوة لبعدهم عن المعقول والتعقل

وَلَحْدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 الْأَعْمَالُ أَفْضَلُ قَالَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ الْجِهَادُ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ حَجَّ مَبْرُورٍ (١)

دين الاسلام ليس دين الحرب . وإنما هو دين الهداية والحرب آلة
 من الآلات التي لا تستعمل إلا عند الضرورة بشهادة أن رسول الله صلوات
 الله وسلامه عليه وعلى آله لما قهر قريشا عدة مرات ويوم الحديبية بايعه
 اصحابه على الموت وطلبت قريش الصلح على أن يعود من حيث أتى ويعتمر
 في العام القادم فرضى بالصلح واعتمر عمرة القضاء بعد أن كان من النصر
 وغلبة قريش على قاب قوسين أو أدنى فهل بعد هذا يشك أحد بأن
 الاسلام يريد الحرب إلا لكونه غير مقصود لذاته .

وأشبه بهذا ما فعله الملك ابن السعود حين حارب الامام يحيى ملك اليمن
 واستولى على الحديبية وكان النصر حليفه فطلب الامام يحيى من الملك ابن السعود
 الصلح فأجابه بدون شرط ولا قيد حقنا لدماء المسلمين وحرصا على السلم
 التاريخ شاهد بأن الدين الاسلامي لم ينتشر الا من طريق الهداية
 والارشاد لان الانصار لما أسلموا كان المسلمون مستضعفين لاحول لهم
 ولا طول وكان معظمهم يتحمل أنواع العذاب من ضرب وجرح وحبس
 واصطلام بالرمضاء في حين أن الاسلام ينتشر بسرعة هائلة في ربوع
 المدينة بين الاوس والخزرج أنصار الدين وحماة . نعم ينتشر بسرعة
 فان بنى عبد الاشهل سادات عشيرة الاوس أسلموا في يوم واحد ولم
 يكن في المدينة الا مصعب بن عمير يعلمهم التوحيد والقرآن والاحكام الالهية
 (١) قوله أى الاعمال أفضل ؟ قال الايمان بالله تعالى ورسوله لانه

وَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا
أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ * (١)

لا يصح بدونه عمل أصلاً قال تعالى (أولئك الذين كفروا بآياتِ ربهم
ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) ورواية ورسوله
موجودة في صحيح مسلم وهي رواية محمد بن جعفر وقوله ثم الجهاد في
سبيل الله وهو يشمل القتال لاجل الدعوة الدينية وقتال النفس لجلبها الى
المنهج السوي والصراط المستقيم فيشمل أنواع العبادات من صلاة وصوم
وزكاة لان فيها من المجاهدة مما لا يحتاج الى اقامة برهان لوضوحه وظهوره
وقوله « حج مبرور » هو الذي لم يخالطه شيء من المآثم وخض الحج لما
فيه من مشقة التعب وبذل المال للنفقات ومشقة الفراق التي هي أصعب
أنواع الآلام النفسانية حتى قيل فيها .

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت لها المنايا الى أرواحنا سبلا
(١) قوله « لا تاتمنوا لقاء العدو » برهان واضح على صحة ما قلناه من أن دين
الاسلام دين الفطرة وأنه لم يقبل الحرب الا للضرورة فمن قوله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم يتبين للمنصف أن الحرب الذي أجازته الشريعة
الاسلامية عبارة عن عملية جراحية يحتاج اليها لشفاء المريض أشفق
الاطباء وأرحمهم به اذ يعملها لاختيه وابنه وأعز الناس لديه وقد يختارها
لنفسه فاذن هي ضرورة والضرورة تقدر بقدرها وقوله « فاصبروا واعلموا »
أن الجنة تحت ظلال السيوف أي حيث يرجحون الحياة الباقية
على الحياة الفانية ويعلمون أن الموت أمر لا بد منه ولا من تجرعا كاسه

فلا الحرب يقصر الاجل ولا الجبن يبعده (أينما تكونوا يدر كم الموت
ولو كنتم في بروج مشيدة) فالجنة تحت ظلال السيوف نظرا لعظم
المبذول لان الانسان لا يملك شيئا في الحياة أعظم وأعز وأكرم وأغلى
من الحياة فاذا بذل نفسه مرضاة لربه فأصبحت الجنة قريبة اليه أقرب من
كل شيء ما بينه وبينها إلا الموت لانها تحت ظلال السيوف إن مات و محفوظا
له ان عاش ويبقى سعيدا في دنياء وأخراه .

ولا يخفى أن الجهاد كما أنه من الايمان فتعلم وسائله من الايمان قطعا
لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فيفترض معرفة كل أسباب الحرب
والآلات المستعملة فيه لان من يحارب ولا يتقن الحرب لا فائدة فيه
مقصودة للامة اذ قد يكون ضررا ووبالا عليها بخلاف مالوا جاد الرماية
وعرف فنون الحرب وأساليبه وعلم مراوغات الاعداء وكيفية الخداع
وطرق الرماية وصورة تعبئة الجيش والتمرن على الطيران . والوقاية من
الغازات الخائفة والسامة وغير ذلك من الآلات المهلكة الحديثة فان القوة
الصغيرة تستطيع مقاومة القوة الكبيرة اذا كانت غير منظمة لان عدم
الاتظام سبب قوى في الفشل والخذلان .

ومن دسائس الاعداء تنفيرهم المسلمين من الجندية واراتهم اياها
بالشكل المكروه المنفر والا فان الامة التي تعرف قدرها ولها أمل في
تقدمها ورقيا ونيل استقلالها ومضاهاتها لدول العالم القوية الراقية تقبل
بكل سرور على الجندية والفرد الذي لا يدخلها لمعذرة مشروعة يعد نفسه
حقيرا ناقصا أو عضوا أشل في جسم الامة ويجب أن يرى ذلك اليوم
يوم خلاصه من القرعة يوم حزن وأسف ويوم مصيبة وشقاء حيث يقوى
العدو بنقصان شخص منا يقف تجاهه يوم تشتعل نار الحرب لانا أصبحنا
في عصر الحرب فيه يسكون بالعلم فقد يجوز أن شخصا واحدا اختصاصيا

(٢٧) الْمُرَابَطَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ) (١)

وَلِحَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
رَبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَمَوْضِعٌ سَوِطٍ أَحَدَكُمْ
مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا (٢) *

بشئون الحرب وعنده استعدادات يمنع وحده كاعظم الحصون من اعظم
جيش لان الآلات أصبحت مهينة منظمة اذا انطلقت رصاصات الرشاش
واشتعلت نيران الآلات الجهنمية التي يديرها شخص أو أشخاص قليلة
تعتقد ان امامك كتائب عديدة او حففل جرار ، ولا يخفى عليك ما صنعت
ايطاليا بالحبشة واتفاق كثير من الدول ضدها ومقاطعتها الا ان ذلك كله
لم يؤثر عليها لكثرة استعدادها وما لديها من الآلات المهلكة بسرعة ولذلك
فما اغنت النذروالخلاصة اذا وجب الجهاد تجب معرفة ما يحتاج اليه وتعيين
المقدار الذي يكفي الامة يختلف باختلاف الزمان والمكان .

(١) قوله المرباطة وهي ملازمة التخوم للوقوف في نحو العدو وحفظ
ثغور الاسلام من ان تدخلها الاعداء وصياتها من ان تمس بأذى او تعد
(٢) قوله رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها لان الدنيا زائلة
لا تبقى ولا تدوم فلو ان انسانا ملك جميع الدنيا وتصرف مثلثا بنعيمها
فانه ان لم يحصل منه وبال فلاخير فيه أصلا والا فان الدنيا مزرعة الآخرة
وهي المقدمة التي تليجتها الآخرة وعليها المدار في الحساب والعقاب والثواب
بل في الجنة نفسها فانها وان كان دخولها بفضل الله فان اقتسامها بحسب الاعمال *

فكل ما ذكر من الدنيا فهو محمول على نعيمها الزائل ولنيتها الفانية
 فالاجر الذى يحصل من رباط يوم خير من الدنيا وما فيها بلا شك ولا شبهة
 لانه دائم باق عمل لوجه الله تعالى والاعمال تشرف بحسب من تعمل له
 والمراد من اليوم الزمن القصير فان المراقبة قد تكون ساعة واحدة فان
 الوقوف في وجه العدو ساعة واحدة تحت خطر هجومه أمر عظيم وبحسب
 عظمه يحصل الاجر والثواب . وقوله « وموضع سوط أحدكم » اختار
 ذكر السوط لانه أقل آلات الجهاد ومع كونه نافعا له هذه القيمة الزائدة
 وفيه اشارة الى أنه ينبغي أن يكون الانسان على استعداد من انواع السلاح
 حتى السوط اذ قد يحتاج اليه لسوق دابة مثلا في ساعة عسrfانه وان كان
 حقيرا لا يقوم السيف مقامه وفي هذا تعليم لنا بلزوم تهيئة الادوات التى
 يحتاج اليها المحارب وأدناها السوط الذى هو خير من الدنيا وما عليها،
 وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى قطعة من الحديث وتمامه « والروحة
 يروحها العبد فى سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها »

فالروحة هى السير فيما بين الزوال الى الليل والغدوة السير من أول
 النهار الى الزوال اى ان السير الى الحرب سواء كان قايلا أو كثير الابوازى
 أجزه شيئا لانه الحافظ لىكيان الاسلام والسبب الذى يتوطد به الامن
 وتستقر السكينة ويستتب النظام ويعيش الناس فى سعة ورغد حيث تزول
 القلاقل ويستريح الناس من خوف مهاجمة العدو وتنكيله لا سمح الله
 لاسيما اذا استولى محتلا شأن الغالب الظالم الغشوم ، وفائدة العدول عن
 قوله « وما فيها » الى قوله « وما عليها » هو ان معنى الاستعلاء اعم من
 الظرفية وأقرب فقصدته زيادة المبالغة .

وَالْمُرَابَطَةُ تَنْزُلُ مِنَ الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ مَنْزِلَةً الْاِعْتِكَافُ فِي الْمَسَاجِدِ
 مِنَ الصَّلَاةِ ، لِأَنَّ الْمُرَابَطَةَ يُقِيمُ فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ مِثْلَ قِيَامِهِ مُتَاهِبًا
 مُسْتَعِدًّا لَهُ (١) *

(١) قوله « والمرابطة تنزل من الجهاد منزلة الاعتكاف » ذلك لأن المعتكف يكون على استعداد للعبادة فلا يدخل وقت الصلاة الا وهو غالبا على استعداد لها فكذلك المرباط لا يبرح مستعدا لمناضلة العدو أو هجومه على غرة فهو عبارة عن الجهاد وزيادة حيث أن المجاهد يرقب عدوه عن كسب فيستعد له أما المرباط فانه لا يدري متى يرى العدو وغفلة فيطبق بمجموعه لتتكيل بالمسلمين واذا بهم والغاية بحسب النتيجة ففائدة المرباط اعظم لأنها دائمة والجهاد موقت وافضل الاعمال أدومها والمرباط اذا اغفل وظيفته وأهمل التعاليم الذي القيت اليه فان الامة تذهب كل قواها اذ لو حشد العدو جموعه وساقها دفعة واحدة والمسلمون على غير استعداد أما تكون النتيجة الخراب والدمار ومن درس التاريخ يجد معظم الوقائع المهمة كانت من هجوم العدو وخصمه غير مستعد فلولا تفريق قوى بغداد ايام المستعصم بواسطة ابن العلقمي وهجوم هلاكو على البلاد وهى على غير استعداد وانتظام للحرب لما حصلت تلك الكارثة التى اضاعت مجد الاسلام منذ تلك الساعة التعيسة الرهيبة المؤلمة، وكذلك طرابلس حينها هاجمها الطليان على غرة من أهلها وهم فى غفلة من مهاجمة العدو وغير استعداد برا وبحرا فكان ما كان *
 اعتماد الامة عامة والجيوش المحاربة خاصة على المرباطين حتى أن الحرب اذا اندلعت السنة نيرانها فالعدو المماحل لا تفرح عينه على المرباطين كما وقع فى غزوة احد فان الصحابة بينما كانوا غالبين وكان المرباطون للجيش يحرسونه من هجوم العدو من جهة الجبل خمسين راميا والامير عليهم عبد الله بن

﴿ ٢٨ ﴾ الثَّبَاتُ لِلْعُدُوِّ وَتَرْكُ الْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى

جبير قال له انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك ان كانت لنا أو علينا وفي رواية ان رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وإن رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وهذا هو المراقبة بعينها فلما رأوا الغلبة للمسلمين تركوا مواقعهم ظنا منهم أن الحرب قد وضعت أوزارها فعاد فريق من قريش من المحل الذي لا أحد مرابط به الا الامير وأفراد قلائل ذبحوا فانكسرت المسلمين وانقلب الظفر عليهم بعد أن كان لهم *

من هذه الحادثة يتبين لك مزية المراقبة في الحرب وفي السلم وأنها الجهاد وزيادة لأنها دافعة في الحالتين للامان والظفر .

قوله « الثبات للعدو » أي حين اللقاء بآن لا يهاب هجماته ولا يذترث بوثباته وليعلم المؤمن أنه على حق من ربه وان وعد الله حق وكان حقا علينا نصر المؤمنين وان الله لا يخلف الميعاد . وهذه الوعود اذا آمن بها الانسان عن اعتقاد ويقين جازم يعلم بأن مصيره الى النجاح والتوفيق لا محالة فاذا ثبت فقد حقق ما كان يعتقد مما وعد الله به في كتابه وعلى لسان رسوله . ولأن عدم الثبات يترشح منه أن الخصم على حقيقة من عمله وان الكافر على باطله أثبت عقيدة من المؤمن على حقه لأن الخطر محقق بالجاذبين فمضى لم يثبت شهد عليه عمله أنه كان كاذبا في دعوى الايمان ووقوع الموت وأن الآجال مقدرة حيث اختار الحياة الموقته وافسح للكفر ان يستولى عليه ويتصرف فيه كما يشاء ويزيد على الحياة الفانية جعل دينه لا يساوى عيشا سافلا تحت ضغط الخصم وسلطة العدو ورحمة من يرى سفك دم المسلم شرفا له وفخرا *

وقوله « وترك الفرار يوم الزحف » بالواو وفي نسخة « بأو »
وهي على معنى الواو أي ان من الايمان ترك الفرار لما ينتجه الفرار من
انواع المضرات التي لا يستطيع القلم ان يفصح عنها وانما يدركها ذوقا من
عاش تحت سلطة الاجانب باسم حماية أو وصاية غير آمن على عرضه
ولا على دينه ولا على ماله ولا على حياته وانما هو حيوان مسخر للاستفادة
تحت ستار قوانين اوجدها الاستعمار واختلقها اذهان المستعمرين *
والاغرب أن المسلمين الى الآن لم يفقهوا من غفاتهم ولم يتنبهوا
لما أحاط بهم منتظرين المعونة بدون ان يقوموا بعمل وسهل لهم ذلك
احاديث المهدي الذي لا يكلمك احد الا وهو ينتظر المهدي وانه يحرره
بسيفه من الاستعباد ، مهلا يا قوم ان المهدي لو ظهر بزمانكم فهل يحارب
وحده ام يتطلب جنودا منكم ؟ فاذن انتم على كلا الحالتين مكلفون
بالثبات في الحرب قبل ظهور المهدي وبعده وعليكم بالوقوف في وجه
العدو وتأمير احدكم عليكم ممن ترضون دينه وجرب في الثبات وعدم
الفرار من العدو حساً ومعنى وعرف بالاخلاص للاسلام والشفقة على
المسلمين غيور على مصلحة الدين قائم باحكامه عملاً *

الثبات مطلوب امام العدو لافى الحرب وحده بل هو مطلوب في كل
الامور لأن المحاربة قد تكون بغير السيوف اشد فتكا واعظم اثرا واعمق
جرحا واكثر اقلافا واضارا لقد علمنا التاريخ انه ما فتح فاتح بلدة
الا وكان قد هبأ قلوبا يسكنها مع جنوده وعند دخوله وجد صدور ارجحة
لاستقباله واقامة الحفلات والمهرجانات تشجيعا له وتحسينا لعمله
من الذين يبيعون دينهم ووطنهم وقروهم لشهوات انفسهم قاتلهم الله اني
يتوبون والى الله يرجعون ولدينهم ووطنهم يخدمون هـ

الحرب يكون باعتماد الامة على ايجاد ماتتقوت به وما تلبسه واسطنها
ومقاطعة كل ما ياتى به العدو غير الضروري الذي يستعمل ضده في الحرب

(إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا) ، (إِذَا لَقِيتُمْ (١) الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَبْرُهُ إِلَّا مَنْ حَرَفًا لِقَالِ أَوْ مَتَحِيزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمُ وَبَشَسَ الْمُصِيرُ) * (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ) الْآيَتِينَ هـ

والمخاصمه لأن فاتح البلاد في عصرنا الحاضر معظم هدفه أرويج التجارة والاستفادة من الزراعة ان كانت الارض زراعية فلو قوطمت التجارة هل يكون مكسب الفاتح الا ضياع الاموال والتعب؟ وهل لو وحد الناس صفوفهم ولم يراجعوا العدو فيما يحدث بينهم من المشاكل؟ ماذا تكون فائدته سوى اضعاء الاموال الطائلة التي يصرفها على جنوده المرابطين خشية الانقضاض عليه والاشتفاء منه وتحزير البلاد من ظلمه واستبداده؟ أذن ان البلاد لم يفتحها عدو وانما فتحها أهلها المذبذبون وسلبوها لاختصاصهم فهل يفيقون من سكرتهم ويندمون على فعلتهم وينتفرون بجنايتهم باستعمال عكس الطرق التي كانوا استعملوها لتمديد الفتح العدو البلاد * (١) قوله واذأ لقيتم فئمة اى جماعة من العدو فى الحروب المادية والمعنوية فاثبتوا اتجاههم واجروا طاعة الله تعالى تناولوا الاجر وتحوزوا النصر الذى لا يتفق الا مع الثبات هـ

نعم ان الثبات مقرون بالنصر لأن سنة الله فى خلقه أن لا يحصل توازن العالم وحركاتهم الا بالاختلاف فما معنى الثبات الاحب لقاء العدو فلم يبق للخصم الا الهرب وكرهية الحرب فيصبح مغلوبا على أمره لأن المسلمين

وَلَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
 «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمْهُمْ فَأَصْبِرُوا وَاعْلَمُوا
 أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»

لم يكن ليصيبهم ما حل بهم الا لكرهيتهم الموت وعدم رغبتهم في الحرب
 وان وقع فلا يسمعون لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا)
 وقوله «اذا لقيتم الذين كفروا زحفوا زحفا فلا تولوهم الادبار» في هذه
 الحالة التي هي اشق أوقات الحرب واصعب ساعاته يحفل منها الفؤاد
 ولا يكاد يثبت الانسان على حالة محافظا على طبعه واعتداله حيث يكثر
 فيها الموت وتنقاد القوى ويختلط الحابل بالنابل ويضيق المجال على الشجاع
 ولا تتسع الارض للجبان فينبغي أن تصبروا وثقوا بوعد ربكم وتعلموا
 أن الموت حق وأنه في ساحة الحرب من اشرف ما يكون لما يصدر عنه من
 الشهادة والحياة التي يرزق فيها من عند الله تعالى واعلموا أن ترك الموطن
 الحربي يكون سببا لخذلان الجيش وانكساره فلا يجوز أن يولى الانسان
 دبره لانه يفتح مجالا للعدو كي يغلب ويتغلب ويكون قد أعطى
 ظهره غرضا لسهام الاعداء ووقعا لضرب السيوف حسبا يختار ون اللهم
 الا ان يكون متحرفا لقتال غايته أن يقتل بهم فان هذا لا اثم فيه اذ
 يجوز أن يتمكن من قهر العدو بقتل عميد القوم أو من يؤثر في نفسية
 الجنود من الشجعان الممدودين أو يكون متحيزا الى فئة رآها غلبت
 على أمرها فيتصل بهم ليرد ويخفف عنهم كوارث الهجمات لانه يجوز
 أن يغتنم العدو فرصة الاشتغال بالحرب فيوجه قوته على جناح من الجبهة
 او فريق مخصوص ليقضى عليه فيوهن عزيمة المسلمين فن رأى مثل ذلك

(٢٩) اَدَاءُ الْخُمْسِ مِنَ الْمَغْنَمِ إِلَى الْإِمَامِ أَوْ عَامِلِهِ عَلَى
 الْغَانِمِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَاعْبُدُوا أَنَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ
 وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
 فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وَقَوْلُهُ (وَمَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ
 يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (١)*

فله ان يتحيز اليهم ما لم يكن مأمورا بالوقوف في محل معين لأن للقائد
 نظرا عاليا وخبرة وتجربة قد يعجز عن فهمها الجنود كحادثة احدو الرماة التي
 ذكرناها فمن فعل هذا فلا جناح عليه ومن لم يقصد ما ذكرنا فقد باء بغضب
 لا يخرج منه أصلا وما واه جهنم لأنها تابق به ويستحقها لما أورث المسلمين من
 مصيبة الانكسار وعار الذلة وان جهنم بس المصير لأنها محل من غضب الله تعالى
 عليه بمخالفة مأموراته وقوله لا تمنوا الخ تقدم شرحه قريبا ص ٧٨ فارجم اليه *
 (١) قوله «اداء الخمس» اي ان يؤدي المجاهدون خمس ما يغنمونه
 الى بيت المال لأنهم لا يستحقون الا اربعة اخماس وذلك لأن الحرب تحتاج في
 حالتي الحرب والسلم الى أموال لا يمكن تأديتها ودفع الاحتياج الا بواسطة
 هذا الخمس فهو القوة التي ترتكز عايتها معظم الاعمال النافعة وفيها حفظ
 الامن لانه لولا الخمس لاضطرت الحكومة الى أخذ أموال الناس بالطرق
 التي لا ترضيها الشريعة كما هو فعل حكومات عصرنا الحاضر فلوان الخمس
 يبقى محفوظا للهمات لكان دافعا لكثير من المظالم التي يسببها عجز ميزانية
 الحكومة فتضع رسوما مجحفة وانظمة تنم منها الامة فتكثر الشكوى

ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحَّيحين عن وفد عبد
القيس أمركم بأربع وأنها لكم عن أربع أمركم بالإيمان بالله
وحدّه أتدرون ما الإيمان بالله وحدّه؟ قالوا الله ورسوله اعلم قال
شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلوة وآتاه الزكاة
وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس وأنها تم عن الحنتم والدباء
والنقيير والمزفت قال أحفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم (١) *

ويتفاهم الامر فيشتد الخصام بين الامة وبين الحكومة لكن لو وجد الخمس
محبوسا في بيت المال لكان وجود ذلك نادرا ودافعا من وقوع ذلك وقوله
«وما كان لى أن يغفل» يقال غفل في المغنم يغفل فهو غال وهو أن يأخذ من الغنائم
ما لا يستحقه بأن يتناول شيئا قبل القسمة فهذا مادام لا يجوز لنبي فقيره بطريق
الاولى وفي هذا من الزجر الادبي ما يمنع الناس من الغلول بقطع النظر عن أن
الخيانة لا تجوز مطلقا فكيف بالخيانة في حالة الحرب أو بعد الحرب مع
أنه ينبغي له شكر الاله على ابقائه سعيدا غازيا لان يلوث شرفه بعرض
يسير تافه لا قيمة له بعد أن نال اجر الجهاد الذي لا يعادله اجر في العظم
«١» قوله الحنتم هي جرار مدهونة أخضر أو احمر اعناقها على جنوبها أو
الجرار المتخذة من طين تعجن بالدم والشعر وقيل الحنتم ما طلى من
الفخار بالزجاج وقوله الدباء اراد به القرع اليابس المتخذ أوعية
وقوله النقيير هو جذع ينقر في وسطه يكون وعاءا واما المزفت فهو
الوعاء المطلى بالقار، ومعنى النهى في هذه الاربعة انه نهى عن الاتخاذ بها

وذلك بان يوضع فيها مع الماء تمرات او زبيب ليحلوا ويشرب، وحكمة تخصيص المنع بها انها يسرع اليها الفساد فيتخمر الموضوع فيها بسرعة ويصير نجساً حراماً يستحق الازافة وفيه اضاعه مال وقد يجوز ان يشربه بعد اسكاره وهو غير عالم باسكاره وانما لم يمنع الاتباذ في اسقية جلود الحيوانات لانها لا يخفى فيها المسكرو كثيراً ما يشقها لرقعتها ولا تفهم ان معناه حل النبيذ المتعارف الآن فانه خمر حرام بنص القرآن وما سماه نبذا فهو انه لا يبرح حلوا ومتى وجد فيه اللذع أصبح مسكراً وكل ما اسكر كثيره فقليله حرام، وهذا النهى منسوخ بالحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن بريدة «ان رسول الله ﷺ قال كنت نهيتكم عن الاتباذ الا في الاسقية فاتبنوا في كل وعاء ولا تشربوا مسكراً» اه وهذا مذهب جمهور العلماء وكره قوم الاتباذ فيها منهم الامام مالك والامام احمد واسحق ابن راهويه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وذكر هذا الحديث تكملة للاستدلال على ان من الايمان ان يعطى المسلمون الخمس من المغنم لبيت المال .

وهذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلاً - كما قال الامام محيي الدين النووي رحمه الله تعالى - من حيث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال «امرهم باربع» والمذكور هنا خمس وليس هذا اشكالا عند من نظر بتحقيق وقد اختلفوا في الجواب عنه فالصحيح ما قاله الامام أبو الحسن بن بطال وغيره قالوا امرهم بالاربع التي وعدهم ثم زادهم خامسة وهي اداء الخمس لانهم كانوا مجاورين كفار مضر وكانوا أهل جهاد ويكون «وان تعطوا من المغنم الخمس» معطوفا على اربع أى أمرهم باربع وبان يعطوا، وقيل: فيه غير ذلك، وإنما لم يذكر الحج لانه لم يكن فرض بعدهم اوقع في بعض النسخ من ذكر الحج فانه سهو أو زلة فلم تنبه لذلك والله يتولا ناجمياً بمنه وكرمه .

(٣٠) العتق بوجه التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلَا

اِقْتَحِمِ الْعُقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ فُلُكُ رَقَبَةٍ) ٥ وَلِحَدِيثِ أَنَّى هُرِيرَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ « مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهَا عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ حَتَّى فَرَّجَهُ بِفَرَجِهِ » (١) ٥

(١) قوله « العتق » هو قرعة حكمية يصير بها الرقيق أهلاً للنصرفات الشرعية فلا تجل القرعة من الله تعالى هو افضل الاعمال لأن الافضالية بحسب ما ينجم عنها ولا شيء اعظم على المرء منه من هبة حياته له ومنحه حرية كان قد فقدها او افاقده اسلافه اياها فالعتق مطلوب الشريعة لأن فيه المساواة بين افراد البشر ولم تجوز الشريعة الرق الا لضرورة والضرورة تقدر بقدرها ولذلك حث على العتق حتى جعل عقوبات جهنم لا يستطيع العبور عليها من لم يعتق نسمة وكان في مقدوره ذلك والا فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وجعل ظلام كفارة قتل الخطأ وكفارة الظهار وكفارة اليمين عتق رقبة فاذا ان الرق عبارة عن دور موقت متى انتهى لزومه ينبغي أن يزال ٥

نعم انه وقت لأن الرق اجيز على المحاربين الذين وقفوا في وجه الاسلام وحاربوا لاجل قمع الدعوة الدينية فجعل الشارع السلطة على الارقاء بيد الامير لما يشاء فاما القتل واما الرق واما الفداء . ولا ينفعه اسلامه من الرق بل يخلصه من القتل فقط لأنه يحتمل أن يكون كاذبا يريد غش المسلمين فيبقى رقيقا حتى إذا ظهر صلاحه وتبين صدق اسلامه فان سيده بطبيعة الحال وحسب الشفقة والحنان الاسلاميين يعتقه واحتمال الصدق كان سبب نجاته من القتل ٥

ولأنما سرى الرق الى نسله من بعده لأن المرء اذا علم انه اذا وقع أسيراً
تبقي العبودية والرق في عنقه وعنق اولاده من بعده تخور قواه ولا يستطيع
مصادمة الاسلام ومحاربة المسلمين وأما اذا علم ان الرق ينحصر فيه فقد
يسوقه العداء الى مفاداته بنفسه لأنه آمن على عياله واولاده فيحارب
الدين غير هياب ولا وجل ولا يرتدع عن غيه. فاذن ان حكمه الرق بينه
لأنه لا يكون إلا لمن بلغ به العداء الى حصر أوقاته في سلوك اسباب
عرقلة انتشار الاسلام واذية المسلمين وهذا حق الرق حتى اذا امن من
يده ومكره وقبل الدين كأن يريد ان يزول هو ومن وجه الارض وثبت الدين
فقد استحق العتق وكان عتقه سبباً لغفران ذنب المعتق لإرشاء الله تعالى *
قوله «فلا اتحم العقبة» أي لم يقدم على الامور العظام من مجاهدة النفس
والهوى ولم يعبر العقبة ليعبر من جسر جهنم وما ادراك ما العقبة الكاملة من
نوعها هي فك الرقبة بواسطة اعانة الغير عليها كمساعدة مالية أو مكانية
ولما بعث النسمة لما روى الامام احمد في مسنده عن البراء بن عازب الانصاري
«ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله جاءه أعرابي فقال يا رسول
الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال عتق النسمة وفك الرقبة قال يا رسول
الله اليسا واحداً قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعثتها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها»
ولأنما كان العتق عقبة لأن الانسان يحب بطبعه ان يمدح وأن
يكرم فكيف اذا رأى من بنى جهنم عبداً له يأتمر بأمره ويستعمله كبيهة
عندئذ تشح نفسه باخراج ذلك من يده فسماه الله عقبة لأن الطريق
المحتوى على العقبات قل من يسلكه من الناس غير ارباب الهمم العالية *
وقوله «حتى فرجه بفرجه» اشارة الى فضل العتق وأنه افضل الاعمال مكفراً
للذنوب لأن الفرج مصدر للزنا الذي هو افحش الذنوب واعظم القبائح
وأشنع الامور ولذلك جعل الشارع نصاب الشهادة لاثباته اربعة رجال

(٣١) الْكَفَّارَاتُ الْوَاجِبَاتُ (١) بِالْجَنَائِيَّاتِ وَهِيَ
 بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَرْبَعُ كَفَّارَاتٍ كَفَّارَةُ الْقَتْلِ ، وَكَفَّارَةُ الظُّهْمِ
 وَكَفَّارَةُ الْيَمِينِ ؛ وَكَفَّارَةُ الْمَسِيئِ فِي صَوْمِ رَمَضَانَ ، وَمَا يَقْرُبُ
 مِنْهَا مَا يَجِبُ بِاسْمِ الْغَدِيَّةِ لِأَنَّهَا إِذَا عَنَ ذَنْبٍ سَبَقَ أَوْ يَرَادُ بِهِ التَّقَرُّبُ
 إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِشَيْءٍ - يَعْنِي إِثْرَ أَمْرٍ قَدْ وَقَعَ - ذَنْبًا كَانَ أَوْ غَيْرِ ذَنْبٍ ۝

ومع هذا فإن العتق يكون وسيلة لمغفرة هذا الذنب . وفي هذا الحديث
 دلالة على أن يكون العبد المعتق غير خصي ولا فاقد عضو من الاعضاء
 النافعة فانه وإن كان عتق الناقص صحيحاً مأجوراً عليه صاحبه لكن
 لا يخفى انه اذا كان خصياً فالمنفعة قد انحسرت في المعتق بخلاف المالك
 غير خصي فانه يكون له نسل وذرية ويبقى الاجر ممتداً لسيده والجميل
 الذي في ذمة أولاده والذكرى الحسنة عند الله وعند الناس ۝

(١) قوله والكفارات جمع كفارة وهي اسقاط ما لزم الذمة بسبب الذنب
 والجناية وانواعها ثلاثة . عتق . وصدقة . وصيام . وسميت كفارة لأنها
 تكشف الذنوب اى تستترها في أول الامر حتى اذا ما اخلص فيها
 وتاب توبة فصوحا تبدل حسنات قال تعالى (الامن تاب وآمن وعمل
 عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً)
 فاداء الكفارة برهان واضح على صحة التوبة وأنه قد ندم على ما فرط
 منه واعترف بما صدر منه حيث بدأ يتقرب الى ربه بما يرضيه من الاعمال
 التي تشق على النفس وتنفع المسلمين فالعتق شاق على النفس حيث اضاع
 عز ما يملكه وكان في مقدرة أن يستفيد منه ويستعمله في شؤونه

(٣٢) الْإِيْقَاءُ بِالْعُقُودِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) قَالَ

الخاصة والعامة لسكن ندمه حال دون هذه الافادة وجعل نفسه تسمع
بالغالى مرضاة الله تعالى وخلص نفسه مؤمنة من رق العبودية ونقلها
الى دور سعادتها فاذاقها لذة الحرية وعيش الاستقلال فكان بعمله هذا
قد استغفر وتاب ، وأما الصدقة فان مقدارها بينته الشريعة كى لا يحصل
اضطراب واختلاف وعينت لكم جرم صدقة تليق بعظمه بخلاف
العتق فانه للجميع لانه مطلوب بحمد ذاته وكفارة العتق وسيلة لترويح
ولا يخفى ما فى بذل الاموال من المشقة على نفوس جبلت الى الشح والطمع
والهلع فالصدقة تهذب النفس وتنفع الذى أخذها ليزيل فاقته واحتياجه
وأما الصوم فانه الزاجر للنفس عن غيها المضعف لقواها ولا سيما اذا
كان متتابعاً كما فى كفارة القتل وكفارة المسيس وانه عند قرب المدة
اذا افطر يجازى عقوبة له باعادة ما صامه كله . وامثال المكفر أمر الله
فى تطبيقه ما اراده منه توبة صريحة يرجى منها تلافى ما فرط منه قال تعالى
(ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب الى الله متاباً) أى يرجع الى الله ذى اللطف
قابل التوب رجوعاً مقبولا مرضياً ماحياً للذنوب محصلاً للثواب الفائت
ان شاء الله تعالى .

قوله « الْإِيْقَاءُ بِالْعُقُودِ » وهو حفظ ما يقتضيه العقد قياماً بواجبه
لا فرق أن يكون بين العبد وربّه كالنذر ونحوه وبين العبد وعبد
آخر مثله كالمعاملات ، وإنما كان الإيقاء بالعقد من شعب الإيمان لأن
الإيمان عبارة عن معرفة الله تعالى بذاته وصفاته واحكامه وافعاله فلا
يكون مؤمناً من لم يصدق بالقرآن المشتمل على الاحكام ولا يخفى أن

أَبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَعْنِي مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَمَا حَرَّمَ وَمَا فَرَضَ وَمَا حَذَرَ
 فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ وَقَوْلُهُ (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) ، (وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ)
 (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ) ، (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا
 تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) (الآيَةُ) *

من جملة الاحكام الاتقياء لله تعالى في جميع تكاليفه واوامره ونواهيه فيكون
 هذا العقد اثبات بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) احد الامور
 المعتبرة في ماهية الايمان . وسماها عقوداً لأنه تعالى ربطها بعبادته بما
 يربط الشيء بالشيء بالحبل الوثيق فكل عهد يجب مراعاته وتنفيذه الا
 ما لا يرضى به الشرع من موجب ظلم أو اجحاف في حق أو نذر في معصية
 فان ذلك لا ينفذ اصلاً . فلا يمكن ان يقال عنه ان الوفاء به واجب أو أنه
 من جنس الايمان؛ روى الامام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان
 رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ما بال اناس يشترطون شروطاً
 ليست في كتاب الله من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له
 وان شرط مائة مرة شرط الله احق واوثق « اهـ »

فاذن العقود المعتبرة هي التي اجازها الشرع فعقود لم يجوزها الشرع
 كالربا لا ينعقد الزائد ولهذا قال تعالى : (فان تبتم فلاكم رؤس اموالكم
 لا تظلمون ولا تظلمون) اي لا تظلمون باعطاء اقل من رأس المال ولا
 تظلمون بلزوم اداء الزائد فكل ما ورد به الشرع من العهود والعقود خاص
 بالجائز شرعاً *

وقوله « يوفون بالنذر » اي انهم اذا نذروا طاعة فعلوها لان النذر

لا ينعقد في الامور المنكرات والمعاصي وسائر مالا ترضاه الشريعة لما روى الامام احمد في مسنده عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا نذر في معصية» وفي رواية عمران بن حصين «لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يملكه ابن آدم» فالنذر الذي مدح الله الموفين به هو النذر المقر على طاعات يرضى بها الله تعالى .

وقوله «وليوفوا نذورهم» النذر فعل ما يلتزمه الانسان من المباحات بايجابه على نفسه تعظيما لله تعالى اى فليؤدوا النذور التي اتزموها واشددوا على انفسهم فيها والنذر لا شبهة في وجوب ادائه لكن صدوره في نذر المال يدل على ان الناذر بخيل اذ لو كان كريما لعجل وتصديق على الفقراء بما نذره وفي العبادة لعبد الله قبل ان يكون واجبا ويعصى بالمخالفة او بالتقصير . وترى الشريعة الاسلامية كيف تلاحظ جانب العدل والانصاف اذ قد يضطر الانسان الى نذر مضر به يخالف لما امر الله به فلا تازمه وتجعله لغرا لما روت عائشة «ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله قال «من نذر ان يطاع الله تعالى فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه» حتى ولا يلزم الناذر كسفارة في الايمان التي لا تنعقد .

قوله «واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم» اى أوفوا بكل عهد تلتزمونه باختياركم لا فرق بين أن يكون لله أو لغيره وسواء كان ذلك لغير مسلم أم كافرا قال ميمون بن مهران: من عاهدته وف بعهده مسلما كان أو كافرا انما العهد لله تعالى «ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها» اى لا تبطلوها بعد ذلك التوكيد فان حكمها باق وإن تنفيذها واجب إلا اذا كان الصلاح في عدم لزوم الوفاء فينتقل تنفيذ اليمين الى بدله وهو الكسفارة وذلك لما روى الامام احمد في مسنده ومسلم في صحيحه والترمذي في سننه عن ابي هريرة «ان رسول الله ﷺ قال: من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها

وَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
«لِسُكُلٍ غَادِرٍ لَوْ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ» ٥

فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه « اه فالدين الاسلامي الذي جعل
الكذب لا يجتمع مع الايمان في قلب واحد لاشك انه لا يريد اتقاض
اليمين بمعنى افسادها بل لا بد من تنفيذها ما لم يكن المقبول شرعا عدمه
لان النذر اذا كان في المعصية لا ينقد ففائدته ظاهرة بانه لزوم توكيد
الطاعة فمتى وجدت فهي المقدمة لانها مقصود النذر الاصلى ولذا ورد
الحديث الصحيح الذي ذكرناه محسنا المخالفة والكفارة فيما اذا كان انفع
كمسئلة حلف ابى بكر على مسطح يوم حادثة الافك على ان لا ينفق عليه
فنزلت آية (ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى
والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفووا وليصفووا لا تحبون ان يغفر الله
لكم والله غفور رحيم) ٥

قوله «لِسُكُلٍ غَادِرٍ لَوْ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» هذه رواية البخارى وفي مسلم
زيادة وهي «يقال هذه غدره فلان» كما هنا والمعنى لسكُلٍ غادر لأجل
غدرته في الدنيا راية تنصب له بقدر غدره وهو عبارة عن علامة يشتهر فيها
لدى اهل الموقف ليدموه، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني. هذا خطاب
منه للعرب بنحو ما كانت تفعل لأنهم كانوا يرفعون للوفاء راية بيضاء
وللغدر راية سوداء ليألموا الغادر ويدموه فاقضى الحديث وقوع مثل
ذلك للغادر ليشتهر بصغته في القيامة فيذمه اهل الموقف وأما الوفاء بالعهد فلم
يرد فيه شيء ولا يبعد ان يقع كذلك وقد ثبت لواء الحمد بيننا محمد صلى
الله عليه وسلم اه ٥

وَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَاهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ۖ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ۖ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ۖ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» ۖ

و «الغادر» هو من يواعد على أمر ولا يفى به وهو من أبقح الخصال وأذمها ولا سيما إذا كان من صاحب ولاية أو نفوذ لأن غدرة وضرره يتعدى اناساً كثيرين مع ان في قدرته ان يجتنب ذلك لانه غير مضطر اليه ، وغدر الأمير يشمل ترك شفقته على رعيته وعدم الاعتناء بهم بحيث لا يحافظ عليهم ولا يهتم بشؤونهم وكذلك الرعية إذا شقت عصا الطاعة على الأمير بغير وجه مشروع فانها تعد غادرة ، والغدر عام يشمل ارتكاب خلاف كل ما اودع المرء من احكام وتكاليف ومعاملات وغير ذلك ۖ

قوله «أربع من كن فيه كان منافقا» الخ، وفي صحيح البخارى عن أبى هريرة «آية المنافق ثلاث» الخ واستشكل بعض العلماء الجمع بين الحديثين لتعارضهما وأجاب باحتمال أنه استجدله صلى الله عليه وسلم من العلم بخصالهم ما لم يكن عنده فاخبر اولاً بثلاث وآخر بأربع . قال الخافض شهاب الدين ابن حجر: ليس بين الحديثين تعارض لأنه لا يلزم من عد الخصلة المذمومة الدالة على كمال النفاق كونها علامة على النفاق لاحتمال أن تكون العلامات دالات على اصل النفاق والخصلة الزائدة اذا أضيفت الى ذلك دلل بها خلوص النفاق على أن في رواية مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة ما يدل على (م ٧ مختصر شعب الايمان)

أرادة عدم الحصر فان لفظه « من علامة المنافق ثلاث » وكذا أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد واذ حمل اللفظ الأول على هذا لم يرد السؤال فيكون قد أخبر ببعض العلامات في وقت وبعضها في وقت آخر ، وقال القرطبي أيضا والنزوى : حصل من مجموع الروايتين خمس خصال لانهما تواردتا على الكذب في الحديث والخيانة في الأمانة وزاد الأول الخلف في الوعد والثاني الغدر في المعاهدة والفجور في الخصومة اهـ .

ووجه الاقتصار على العلامات الثلاث في رواية أبي هريرة انها منبهة على ما عداها اذا اصل الديانة منحصر في ثلاث القول والفعل والنية فنبه على فساد القول بالكذب وعلى فساد الفعل بالخيانة وعلى فساد النية بالخلف لان خلف الوعد لا يقدح الا اذا كان العزم عليه مقارنا للوعد أما لو كان عازما ثم عرض له مانع أو بدله رأى فهذا لم توجد منه صورة النفاق قاله الغزالي في احيائه ، وفي الطبراني من حديث طويل ما يشهد له فقيه من حديث سلمان « اذا وعدوه ويحدث نفسه انه يخلف » وكذا قال في باقي الخصال قال الحافظ ابن حجر : واسناده لا بأس به ليس فيهم من اجمع على تركه وهو عند أبي داود والترمذي من حديث زيد بن ارقم مختصر بلفظ « اذا وعد الرجل اخاه ومن نيته أن يبق له فلم يف فلا اثم عليه » اهـ .

والنفاق في اللغة مخالفة الباطن للظاهر فان كان في اعتقاد الايمان فهو نفاق الكفر والا فهو نفاق العمل ويدخل فيه الفعل والترك وتفاوت مراتبه : والخصلة بفتح أوله الشعبة والجزء من الايمان ، او حالة من حالاته ، ويحمل النفاق هنا على نفاق العمل لانفاق الكفر ولا يأتي اشكال على هذا من حيث أن هذه الخصال قد توجد في المسلم المجمع على عدم الحكم بكفره ويقويه ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال لحذيفة : هل تعلم في شيئا من النفاق ؟ ولا ريب أنه لم يرد نفاق الكفر بل أراد نفاق

« وَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ الْجُمَيْيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ
« أَنَّ أَحَقَّ الشُّرُوطِ أَنْ يُوفَى بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ » »

العمل ، وقيل المراد باطلاق النفاق الانذار والتحذير عن ارتكاب هذه
الخصال وأن الظاهر غير مراد ، وإذا اردت زيادة البحث في ذلك فعليك
بشرح الامام النووي على صحيح البخارى طبع ادارتنا ص ١٩٤ والله أعلم
وقوله « وإذا وعد أخلف » قال صاحب المحكم يقال وعده خيرا وعده شرا
فاذا اسقطوا الفعل قالوا في الخير وعده وفي الشر وعده ، وحكى ابن الأعرابي في
نوادره او وعده خيرا بالهمزة فالمراد بالوعد في الحديث الوعد بالخير وأما الشر
فيستحب اخلافه وقد يجب ما لم يترتب على ترك انفاذه مفسدة ، وأما الكذب
في الحديث فحكى ابن التين عن مالك أنه سئل عن جرب عليه كذب فقال
أى نوع من الكذب لعله حدث عن عيش له سلف فبالغ في وصفه فهذا لا
يضر وإنما يضر من حدث عن الأشياء بخلاف ما هي عليه قاصدا الكذب
انتهى أفاده الحافظ في الفتح *

قوله « ان احق الشروط ان يوفى به » الخ هذا الحديث ليس على
اطلاقه بل هو محمول عند الشافعية على شرط امر مرضى لدى الشرع
كالعشرة بالمعروف والنفقة وما يتعلق بها وتعيين التصرف وثيقة السلوك
وانتظام الحركة البيتية لا مطلقا كأن يشترط ان لا يقسم لها ولا ينفق عليها
فانه ضرر بها ولا يسافر بها ولا يتزوج عليها فانه ضرر عليه ولا ضرر
ولا ضرار في الاسلام ولما ذكرنا قبل الحديث « كل شرط ليس في كتاب
الله فهو باطل » وقال الامام احمد بوجوب مراعاة الشرط مطلقا استدلالا
بهذا الحديث . وقوله « احق الشروط » أى اليق من غيرها بالوفاء *

(٣٣) تَعْدُدُ نِعَمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا يَجِبُ مِنْ شُكْرِهَا قَوْلُهُ
تَعَالَى : (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) وَقَوْلُهُ (وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا) هـ (وَأَمَّا
بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) ، (فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)
وغير ذلك مما من الله تعالى على عباده وذَكَرَهُمْ بِهَا فِي كِتَابِهِ *

قوله « تعدد نعم الله عز وجل » فإنها من شعب الإيمان لأن النفس
تعد ورود النعم عليها تغفل عن المنعم بها ولا تتصور أن حق هذه النعمة
لا تزال ذمتها به مشغولة يجب اداؤها بالشكر لمعطى هذه النعم خالق
السموات والارض وخالق الخلق لاعلى مثال سبق فاذا كان الانسان
حينما ترتع نفسه في بحبوحة المناء والعيش الرغد يلاحظ شكر المنعم فقد
اثبت ان له ايمانا راسخ البنيان وطيد الاركان حيث لم تغشه النفس الامارة
بالسوء ولم يصغ الى الوسوس التي تشعر بها النفس وهي الغرور بسبب فتنة
الغنى فتبين ان تعداد النعم اعتراف بالمنعم وانه من فضل الله عليه لانه ليس
احق من كثير من المحرومين لولا العناية الربانية فلا بد لهذا الواصل
من ثمن يكون كالعوض وهو شكر المنعم الواجب هـ
نعم كالعوض لأن الشكر على النعمة نعمة عظيمة كما يأتي في نفس هذا
البحث عن المصنف فهو صورة عامل ولكن التوفيق من الله تعالى نعمة
منه وكرما هـ

قوله « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » لأن الحساب يضيق عنها
والعد ينتهي دونها فلو قطع الانسان النظر عن النعم كافة ونظر بامعان
وحكمة الى نفسه لوجدها مشتملة على نعم غير قابلة الانحصار ذلك لأن

الجسم مركب من دم ولحم وعظم وكل قطرة من الدم فيها الالاف المؤلفه
من الكريات الحمراء والبيضاء *

ولا شك ان هذه الالوف المؤلفه عبارة عن حيوانات حية كل
واحد منها له جسم وهيئة بالنسبة الى نفسه فالقطرة الواحدة من الدم لا يمكن
الوقوف على ما تركبت منه فكيف بالجسد كله وما فيه من اللحوم والشحوم
والغضاريف والعظام والشرابين والاوردة وصورة انتظامها وكيف انسجامها
وتراكيها باتقان بديع ووضع عجيب فتبارك الله احسن الخالقين *

فاذا كان الانسان يحمل ماهيته ولا يدري عن نفسه وما يشتمل عليه جسده
من الاضداد والمختلقات والنقائص كما يتبه فيه العقل ويحير اليب جعل
في الرأس نفسه بحار متعددة مالح وحامض وحلو ومر ولم يجاوز احد
الآخر ولم يؤذه بل لم يؤثر فيه وتأمل في حركة الوجود وعدم استقراره
على حالة واحدة فهو في كل شئونه وادواره في تطور لا يقف عند
حد ولا ينتهى سيره مادام النفس جاريا والحياة موجودة وهذا ما اعجز
علماء النفس وفطاحل الاطباء فاذا كان الانسان لا يخبر نفسه على حقيقة تامة
فكيف لا يخجل من دعوى العلم وزعمه الوقوف على حقيقة الافلاك
وقياسها بالاذرع بشكل يعد من خالف رأيه جاهل احمق لا يتسع صدره
للعلم العصرية ولا يدري عن المدنية شيئا *

مهلا ايها الرجل ادرك نفسك ثم سر الى غيرها من الارضيات فاذا
كنت لا تدري عنها إلا ظنونا وأوهاما كيف جسرت على دعوى علم
اليقين في الافلاك والسموات وانكار أعدادها أو انها غير موجودة ؟
لا نقول لك لا تعلم ذلك لان الله قد أمرنا في قوله (ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها

من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
 لآيات لقوم يعقلون) ولكن نقول لك لا تذكر كل ما لا تعلمه فانك لم تعلم الا النذر
 اليسير التافه وما أمامك مما تجهله شئ بضيق عنه نطاق الحصر فالعلم أن
 تعلم أنك لا تعلم والادب ان تقول رب زدني علما *

الانسان يقف مبهورا في كيفية تركيب جزء من اجزاء البدن الظاهرة
 فكيف بما في داخله من جوف الصدر أو جوف الدماغ وهذه كلها نعم
 من الله بالبدهة يعلم انه لا يستطيع حصرها . هذا بقطع النظر عن
 الغذاء الذي يأكله وعن كيفية استحالته الى نافع وغيره والى دم وقوة
 وفضلات وغير ذلك ، ثم في كيفية حصول نفس الغذاء لانه لا يخلو اما
 أن يكون حيوانا وإما ان يكون نباتا فان كان حيوانا فاز وجوده قائم بالتغذى
 من النبات ، وافكر في النبات وكيفية نموه ووصول الحياة اليه عن طريق
 الماء ثم نموه ثم استعماله بواسطة الآت لم يتوصل اليها المرء الا بالهام وعلم الهى
 حتى اخرجها من معادنها من قلب الجبال وتحت الارض وهذه النعم لا
 يحصيها العد فكيف بغيرها من نعمة الهواء والماء والنار وتسخيرها باحداث
 قوى لا اعمال كثيرة عديدة ولا سيما في عصرنا هذا عصر البخار والكهرباء فمن أمعن
 في هذه النعم غاب عن احصائها وان كان عمره آلاف السنين وخصه الموقف
 على ماهية هذه النعم فذيف بعمره القصير الذي لا يتسع الا لدعوى العلم والفخفخة
 والدعاوى الكاذبة والخطرة والاثرة واحتقار من خالف رأيه زاعما ان
 كل ما لا يصل اليه فهمه القاصر ينبغي ان يكون غلطا صريحا او باطلا محضا
 ولم من عائب قولا صحيحا . وآفته من الفهم السقيم . وهذه الفكرة هى التى
 حدث بمن يزعم التنور في الأفكار ان يطعن بالدين اعتقادا منه ان ما تلقاه
 من الخدسيات عن علماء الغرب هو مقدم على كلام الله تعالى جهلا منه حيث جعل
 الواجب المطلق القديم تحت ارادة تصور الممكن الحادث القائم بوجوده بغيره .

والأنكى من هذا ان الفكرة العلمية لا تثبت الامدة يسيرة ثم يظهر للناس خطأها او ضعفها ولا ينجل من يعتقد فكرة أورايأ أن يكون نصيبه ما اصاب من قبله وهذا هو الغرور والجهل المركب *

الانسان مهما بلغ من الرقى والعلم وقوة الذكاء وسعة الادراك فهو في درجة الامكان وفي دائرة العجز وضمن منطقة الاحتياج فكيف يتسنى له التناول على من ساواه من الممكّنات ان يقسره على شئ يجهل حقيقته الطرفان لأن مركزهما الأرض فمن ادراهما ان قد اصابا بما جزما في الشئون السماوية حتى قالوا بما هو رجم بالغيب *

ان احدهما يجهل ما في بلده وما في ضمن بيته بل ما تشمل عليه جوانحه فكيف يحيط بما في السموات احاطة علم اليقين ؟ اليس هذا امر اعجيبا ؟ ايها الزاعم انك احطت بما عليه السماء من التركيب والانتظام - بربك ان كنت تعتقد ان لك ربا - متى احطت علما بعدد النجوم وكم منها سيارات وثوابت وكم فيها من الأقمار والتوابع ؟ وكم المسافة بيننا وبين آخر كوكب تراه ؟ اذا كنت لا تستطيع جوابا عن ذلك فكيف تدري مقدار السموات وانها جسم لطيف أو كثيف ؟ ومن ادراك من عدها ؟ مادمت لا تعتقد بكلام رب العالمين المنزل لتحدى الناس باقصر سورة منه . ان نعم الله لا تعد ولا تحصى ومعرفة عدم احصائها هو احترامها فينبغى اداء الشكر بامثال ما امر من العبادات *

قوله «واما بنعمة ربك فحدث» لان التحديث بها شكرها ولا سيما اذا كان ممن يقتدى بعمله فينبغى له ان يجاهر كي لا يكون سببا لوقوع الناس بالحرام اذا نالوا من عرضه بفاحش القول وكلام المهجرو بمجاهرتهم يكون قد قوى جانب أهل الخير وجعل عددهم زائدا وأن القاعدة الجارية في السكون أن كل عمل كثر أتباعه فهو مقبول محمود تتسابق الناس للاشتراك به وقد روى البخارى في الادب

وابوداود والترمذى عن جابر « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اعطى عطاء فوجد فليجزبه فان لم يجد فليشن به فمن أننى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بمالم يعط كان كلابس ثوبى زور » وهذا كله اذا لم يشتمل على رياء ويتضمن غرورا وانفة والا فان التكتّم أولى، وقد روى أن أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه سئل عن الصحابة فأنى عليهم خيرا فقالوا له حدثنا عن نفسك فقال مهلا فقد نهى الله عن التزكية اشار الى قوله تعالى (فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى) فقيل له اليس الله تعالى يقول (واما بنعمة ربك فحدث) قال فأنى احدث كنت اذا سئلت اعطيت واذا سئلت ابتديت وبين الجوانح علم جم فاسألونى »

واخرج ابوداود والترمذى وحسنه ابوبعلى والبيهقى والضياء عن جابر ابن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ابلى بلاء فذكره فقد شكره وان كتمه فقد كفره » واخرج احمد والطبرانى فى الأوسط والبيهقى عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أولى معروفا فليكنافى به فان لم يستطع فليذكره فان من ذكره فقد شكره »

وقال فى الآية (فحدث) اشارة الى انه ينبغي ان يكون ذكر النعمة حديثا بان تميده مرة بعد اخرى ولا تنساه ليكون شكرك فى القلب واللسان معاً، وقوله « واذكرونى اذكركم » اى اذكرونى بالطاعة والاخلاص والمجاهدة فى الدنيا اذكركم فى الهداية ومزيد الاختصاص فى الدنيا وبالرحمة فى الآخرة فلا احل عليكم بعده غضبي ابدا . وذكر الله معلوم بانه توجه القلب وصرفه الى التفكير فى اسرار المخلوقات لينعكس شعاع بصره الى عالم الجلال استدلالا بالاثار على المؤثر على ان تكون الجوارح مستغرقة فى الاعمال المأمور بها وبعيدة عن الاعمال المنهى عنها ولذلك سمي صلاة الجمعة ذكرا فى قوله (فاسعوا الى ذكر الله) فاذن قوله تعالى (فاذكرونى) متضمن للعبادات كافة »

وَلَحْدِثَ أُنَى ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ « قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانِي بَعْدَ مَا أَمَاتَنِي وَآلِيهِ النَّشُورُ »

وَحَدِيثُ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ أَنْ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ »

قوله « باسمك اللهم اموت واحيا » اى احيا باسمك مدة حياتي واموت عليه فان اعتقادی ثابت في الحياة وبعد الموت ان شاء الله تعالى، وقوله « الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا » سمي النوم موتا لانه يزول معه العقل والحركة كما يزولان بالموت ومنه قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) اى يتوفاهن حين ينامون فلا يتصرفون بشئ ولا يميزون شيئا كحالة الموتي، وعن ابن عباس في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والتحرك فاذا نام الانسان قبض الله نفسه ولم يقبض روحه ، وبمحتمل ان يكون المراد هنا السكون كما قالوا ماتت الريح اى سكنت فيحتمل ان يكون اطلاق الموت على النائم بمعنى ارادة سكون حركته لقوله تعالى (وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) الآية قاله الطيبي والله اعلم

قوله « ان امره كله خير » اى انه مأجور في سرائه وضرائه اى لا ينفك الاجر ملازما مادامت نيته حسنة في اداء العبادة والانسان لا يمكن ان يخلو

وَبِهِ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ قَالَ أَنَا الْخَافِضُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَنَشِدْنِي
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي ذُهْلٍ . قَالَ أَنَشِدْ أَبُو الْحَسَنِ السَّكِنْدِيُّ الْقَاضِي
 إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تَزِيلُ النِّعَمَ

عن هاتين الحالتين اما السراء فيشكر الله وينال رحمته وجنته واما الضراء
 فيصبر عليها وينال اجره بغير حساب وجنات لهم فيها نعيم مقيم وهذه نعمة
 عظيمة لا يقوم بها الا الشكر ولذلك جاء في الثناء والحمد لله على سرائه وضرائه
 لان في كل منهما اجر اعظيم واثوابا جزيل ما عدا الحكمة الالهية التي اوجدت
 ذلك الفعل بما يتعلق من اصلاح النفس او منفعة المجتمع لان افعال الله تعالى
 تصان عن العبث وكلها صادرة عن حكمة بالغة تدل على قدرة الخالق وعلمه
 انه على كل شيء قدير وقد احاط بكل شيء علما *

قوله «فان المعاصي تزيل النعم» وذلك لانها تسبب غضب الله تعالى لمنافاتها
 العبودية اذ ان من عرف قدرة سيده وكرمه وعلمه لا يسعه ان يخالف امره ويظهر
 عصيانه فالعاصي لسان حاله يتكلم عنه بانه غير معترف بوعد الاله ولا مكترث
 بعذابه اذ لو كان مصدقا بما قاله الله في ذنابه لما اقدم على المخالفة فان المسافر
 اذا اراد سلوك طريق واخبره احد بوجود اشقياء فيها يسلبون الناس اموالهم
 دون ارواحهم فتجد ذلك المسافر يترك السفر او ينهج طريقا آخر لا اعتقاده
 صدق المخبر وان كان جبانا يكفيه الخبر ولو من كاذب كي تغلب الواهمة
 اما العاصي لو صدق الرسول بما جاء به لما ارتكب المعصية ولا سيما عقب
 النعمة اذ بدل الشكر بالمعصية فكان حقه زوال النعمة لمخالفته كما ان دوامها
 لمن راعى حقوقها بالشكر والاعتراف بفضل الاله جل جلاله

قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ قَالَ سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ يُونُسَ
الْقَزْوِينِيَّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنَ اسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ الْجَنِيدَ
قَالَ سَمِعْتُ السَّرِيَّ يَقُولُ: الشُّكْرُ نِعْمَةٌ وَالشُّكْرُ عَلَى النِّعَمِ نِعْمَةٌ إِلَى
أَنْ لَا يَتَنَاهَى الشُّكْرُ إِلَى قَرَارٍ *

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَوَّلِ كِتَابِ الرِّسَالَةِ: الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودَى شُكْرُ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ إِلَّا بِنِعْمَةٍ مِنْهُ تُوجِبُ عَلَى
مُودَى ذَلِكَ الشُّكْرَ (١) *

وَبِهِ أَنَا الْبَيْهَقِيُّ قَالَ أَنبَاْنَا أَبُو الْقَاسِمِ أَنبَا أَحْمَدَ بْنَ سُلَيْمَانَ أَنَا ابْنُ
أَبِي الدُّنْيَا الْخَقَّ قَالَ فَانْشَدَنَا مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ

لِإِنْ كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهُ نِعْمَةٌ	عَلَى لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ يَصِحُّ الشُّكْرُ إِلَّا بِفَضْلِهِ	وَأَنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ
أَذَا مَسَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهَا	وَأِنْ مَسَّ بِالضَّرَّاءِ عَقَبَهَا الْأَجْرُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ مَنَّةٌ	يَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبُرُوجُ الْبَحْرُ

(١) الَّذِي فِي الرِّسَالَةِ هَكَذَا «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودَى شُكْرُ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ إِلَّا بِنِعْمَةٍ مِنْهُ تُوجِبُ عَلَى مُودَى مَا ضَى نِعْمَةٍ بِأَدَائِهَا نِعْمَةً حَادِثَةً يَجِبُ عَلَيْهِ شُكْرُهَا»

وَأَخْبَرَنَا مِنْ غَيْرِ رَوَايَةٍ بِيَهْقِي جَمَاعَةٌ بَيِّنِينَ فَقَطَّ ۞
 إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللَّهِ نِعْمَةً ۞ عَلَىٰ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
 فَأَلَىٰ عَذْرَ غَيْرِ أَنِّي مُقَصِّرٌ ۞ وَعَذْرِي إِقْرَارِي بِأَن لِّسَنِي عَذْرٌ
 (٣٤) حَفِظَ اللِّسَانَ عَمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيَدْخُلُ فِيهِ الْكَذِبُ

قوله « ويدخل فيه الكذب » وهو اخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه فهو اشنع الخصال واتبع الفعال اس المآثم وعلّة الخباثت والفساد ذلك لانه محل للنظام ومزيل للنفقة والتبادل للذين لا يستغنى عنهما المجتمع في حال من الأحوال فلا يحصل مرض ولا تنقم فتنة الا وكان للكذب اليد الطولى في ترويجها واثميد الشروع فيها لم يذم الدين الاسلامي خصاصة كما ذم الكذب ۞ وعن عبد الله بن جزء قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل يزني المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها صلى الله عليه وعلي آله وسلم بقول الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله » الآية ۞

فتراه اجاز وقوع الكبائر من المؤمن ولكنه لم يجوز وقوع الكذب منه لما فيه من المضار التي اقلها رفع الاعتماد الذي يعيش به العالم وفيه أعظم ميزة للانسان لانه مدني بالطبع لا يمكن ان يعيش وحيدا عن العالم بل لا بد له من اعوان يتبادل معهم المنفعة حيث ان الوظائف الموزعة بين افراد النوع الانساني يستحيل أن يقوم بها واحد مهما عاش من العمر فهو كيف

يزرع مثلاً ويوجد آلات الزراعة ومتى يستخرج المعادن من الأرض ليسببها الآن بل ان الاستخراج نفسه يحتاج لأدوات تكفل بايجادها توحيد المسعى البشرى وانتقال الأعمال التي لم تكمل في عصر الى العصر الذي بعده وهذا قسم العمل ولا بد من قسم يكفل النظام ويحفظ التوازن وعدم التعدي سواء أكان من المجموع نفسه ام من غير المجموع فاصبح هذا الجمع الغفير او الامة او سم ما شئت محتاجا للتفاهم بعد اضطراب المجتمع الى كل واحد لانه لا معنى له الا انه جملة الأفراد وهذا يقوم به النطق ولذلك كان الفصل المميز للانسان عن غيره من الأنواع فلا يحصل الحد التام للانسان مع الجنس القريب الحيوان الا بالفصل القريب النطق حيث جعلوه في مرتبة الذاتيات لشدة الاحتياج اليه فاذا لاتم بيان ماهية الانسان التي هي الحيوان الناطق الا بالنطق لان الحيوان يشمل الانسان وغيره ٥

وحيث ان النطق هو الركن الأعظم الكافل لاتنظام المجتمع البشرى فاذا كان خلاف الواقع فقد اصبحت لا وجود له حكماً اذا لقيمة له اصلاً بنظر العاقل فاتضح لنا ان الكاذب ليس انساناً لفقده الفصل المميز له كما قلنا وهو النطق فلا فرق بين كلام الكاذب وبين نبح الكلاب ونهيق الحمير من حيث ان كلا منهما لا تنتج منه فائدة ٥

هذا بحسب الصورة واما بحسب الحقيقة فان نبح الكلاب جدير بالتقديم عليه لانه يستفاد منه فيما اذا اهرخائفاوا اهر طامعا لا تخفى على صاحبه حاله لانه لا يعرف خلاف الحقيقة اما الكاذب فانه يشوه الحق ويقلب الحقيقة فليت الامر وقع عنداهماله ولانه قد يجد من لا يدري عنه شيئاً وينخدع حتى يقع في براثنه او براثن سيده ان كان الله مأجورة لغيره وهذا ما جعل الشرق مستعمرة حيث لعب فيهم الكذب ادواراً مهمة لا اعتقادهم انه لا وجود له عند المستعمر فيصدقونه ولا يصدقون كلام الله في قرله (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) فوقع ما

وقع وكان امر الله قدرا مقدورا .

والمصيبة العظمى ان هذا المرض الذى قضى على الشرق واوصله الى ما هو عليه من التعاسة والشقاء ظن به الناس أنه كما كان سبب شقوتهم فسيكون سبب نجاحهم لذلك عم امره وطم وشهر واشتهر ولم يترك بيتا الا وتربع فيه او استوطنه بل اصبح امرا لازما يعد من ضروريات الحياة فقاتله محترم وتارك الكذب يعدونه مغفلا او لا يدري من الحضارة والمدنية شيئا .
والاغرب من هذا ان الوقاحة بلغت في عصرنا الحاضر حدا لا يمكن تعريفه بعبارات مهمات بلغة ومهما اطبب فيها قائلها او اتسع ذلك لان الكاذب لا يخجل من ان يكلفك بتصديقه اذا كان داعيا الى ضلالة او ان له غاية الا يقاع بك رغما عن علمه بانك عا لم بكذبه فاذا وجد صلابته منك يزعم بان الكذب للصلحة جائز وانه يريد منفعتك ويقدم بعض النقود بينة على صحة القول او ثمنا للحكم بالصحة فيخدع المغفل ويقع الاثنان في قبضة ذلك الكاذب فيأخذهما وما ملكا وتكون تلك النقود اليسيرة بمثابة طعم يوضع في الفخج للاصطياد ، والعجب ان كلمة « الكذب » ينفر عنها كل من يسمعها ولا تجد من يستحسنها ومتى وقع الخبر كاذبا تجد له انصارا مروجين له فلا أدري لماذا ؟ وهل فقد الناس عقولهم ؟ ام ان ماهية الكذب تعاب من حيث هي فاذا وجد الكذب في قول انقلب قبجه حسنا وخطره فرضا وعد قائله محنكا مجربا سياسيا مفكرا .

وقد اشتهر امر الكذب حتى لم يترك صنعة ولا طبقة الا وزاع فيها امره فالتاجر او صاحب الصنعة يعتقد ان بضاعته تأسدة اذا لم تروجها الايمان الكاذبة وهذا سبب ذم التجار في حديث البيهقي عن عبد الرحمن بن شبل قال سمعت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يقول ان التجار هم الفجار قالوا يا رسول الله أليس قد احل الله البيع قال بلى ولكنهم يخلفون

فيأثمون ويحدثون فيكذبون اه هـ

وقس عليها الطبقات العالية والبائسة الأولى تستعمله للتهديد وتهويل أمرهم
والثانية للذكر والخداع والتخلص من اضرار الاغنياء والزعماء وان نفس
الطائفة تستعمله في مدح الرجل والاطناب في فضله ولاسيما في وجهه
واظهاره بمظهر الاجلال والتكريم مع أنه لا يستحق الا الاهانة واللعن
والطرد ، ولكن مصيبة الكذب وعمومها امر تغفل في النفوس حتى ازاح
الايمان عن موضعه واشغل محله . هذا كله في الكذب على الناس واما الكذب
على الله ورسوله فذلك الخطب العظيم والطامة الكبرى ، وهو البلاء الذي
اقعد المسلمين عن طريق السلف الناجح حيث زوروا على لسان الرسول
احاديث قضت على مجد الاسلام ومزقت شمله بل كادت تزيل الاسلام من
عالم الوجود لولا عناية الله ووعد الصديق على لسان رسوله لما رواه مسلم
في صحيحه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « لن
يربح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم
الساعة » اه هـ

وذلك لان هذا الطريق اهون عليهم من غيره مادام امر الله باتباع
السنة في قوله تعالى : « وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »
ولان كلام الله لا يمكن دخول تحريف عليه بعد قوله (انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون - كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد) وكان الرسول قد اطالع الله على ما تبغيه الطائفة
السلوية من افتراء الاحاديث فقال صلى الله عليه وآله وسلم كافي مسند احمد
والصحيحين واصحاب السنن عن أنس « من كذب على متعمدا فليتبوأ
مقعده من النار » ولكن طمعهم في الاضلال عداوة اول للحصول على مظهر
ديوى وقت اغفلهم عن هذا الوعيد الذي يبرهن على ان اعتقادهم غير

صحيح لانه لو كان تاما لاججموا عن النار ولو وقفوا عند حدود الشريعة
واتباع المأثور *

(واقبح) من ذلك كله نعمة جديدة هي اخت الكذب بل العن منه هي
أنكار السنة أو الطعن فيها والخط من كرامة كل حديث يرويه أئمة المذاهب
مقيد عنهم بمن روى بعدهم من المحدثين الذين هم اتباع أولئك الأئمة فلم
يخرجوا من الزام السابق بمن بعده بسنين واخبار المتبوع على ان يكون تابعا
لمن بعده بسبب ان هؤلاء الجهلة وانجال السلولين معنى اذا لم يعلموا
الامر ولم يطلعوا على الحديث او الدليل او كانت فكرتهم تقصر عن
تصور تلك المعاني العالية فما اسهل من انكار الحديث اذا لم يوافق ذوقه
واذا جاء الحكم حسب مزاجه فيؤيد صحته بحديث موضوع أو هو يفتر به أو يوسع
لنفسه مجالا لتحكيم العقل واما الخصم فلا يحق له الفهم ولا القياس
بل يجب عليه ان يقف عند ظاهر العبارة ولا يحمل حديثا مطلقا على
آخر مقيد سبحانه هذا بهتان عظيم *

قوله « والغيبة » وهي ذكرك اخاك بما يكره وذلك بان تشيع
عنه اولا من الاعمال التي لا مدخل له فيها وكانت موجودة بغير كسبه
وارادته فهذا هو اساس الغيبة التي نهى عنها الشارع وذمها ذما قبيحا
لان الديانة الاسلامية جعلت المرء مؤاخذا عن نفسه فقط فقد قال
تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) فما يقع الآن من شتم الرجل بما عليه ابوه
أو امه او خاله او عمه او اخته او اخوه فان هذا غيبة تحرم واكل لحم اخيه
المحرم فلا يحق الكلام على هؤلاء من جرائم هذا ولا على هذا من جرائم
أولئك واي ذنب له في وجوده في وسط بيئة ليس راضيا عن فعلها ، واشنع

من هذا أن يعيب خلقته باظهار ما في جسده من عيوب كعور وعرج
وبشاعة صورة فان هذا في الحقيقة ليس غيبة للرجل وانما هو انتقاص لخلق
الله وتحقير لصنعه البديع فهذا هو الذي ذمه الشارع بقوله «ذكرك أخاك بما فيه»
فهذا هو الموجود فيه واما ما عليه من الاعمال الموبقة والافعال المنكرة فانه لا يكره
ذكرها فهو لم يستح من الله ليستحي من الناس فمن كان مجاهر باظلم أو امر
قبيح غير مشروع فذكر مثل هذا لا يسمى غيبة لأن صاحبه لا يكرهه بل يفخر به على
الأقران وبعد ارتكابه فضلا يستحق به التقدم على غيره فمثل هذا
لا مانع من ذكر ما هو عليه ليحذره الناس فلا يعتمدون عليه ولا ينجشون
بالبراءة الأصلية بل قد يجب اذاعة حاله اذا ظن انه لا يقف عنده هذا الخد
بل لا يبرح حاله السيئ في ازدياد وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم «يا رواء
الترمذي عن أبي هريرة «من شئ فليس منا» فشيء ليس منا لماذا ندافع
عنه ونزعم أن هذا حرام أمر العدل ان نسكت عن عيبه وهو يزدد
في امره بغيا وعتا؟ ثم ان الشريعة التي جعلت للعاصي حدودا وتعزيرات لا تقام
الا بمشهد طائفة من المسلمين حاشاها ان تمنع التكلم بحق هذا العاصي
الا ان يكون قد تاب عن غيه وسلك مسلكا حسنا فمثل هذا لا يجوز ذكر
عاصيه لأنه لا داعي له الا اذى اخيه المسلم واضراره فهذا هو الحرام بلا شك وان
ذكره لمساويه كان منبعا عن مسائل شخصية وغضب وعداوة ولولا ذلك لستر
جميع سيئاته فهذا هو الغيبة التي حرمها الشارع ونهى عنها
(والنيمه) هي التحدث مع قوم ليكشف لهم ما يكرهونه فينقله لغيرهم
بعبارة او اشارة او غير ذلك وهذه من اقبح العيوب لأنها عبارة عن الغيبة
(م ٨ - مختصر شعب الايمان)

وَالْفَحْشُ إِذَا الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ مَشْحُونَانِ بِذَلِكَ

وتزيد عليها بان القصد السى موجود في اول الامر وبداية الملاقاة
ففور شر باعتبار المبدأ والمنتهى اذ ان الغاية منها هو الفساد والافساد
فاذن جميع ما جاء في ذم الغيبة داخل فيها وكل ماورد في ذم الفساد يشملها
فهى مركبة من شيئين قبيحين الغيبة والفساد بين الاخوان او في الارض
اذا كان عاما

قوله «و الفحش» هو ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل الموزون وقد نهى الله
تعالى عنه بقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر فحفظ اللسان من الفحش هو من شعب الايمان العظيمة بل ان الفحش مناف
لحديث البخارى وابى داود عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر
ما نهى الله عنه» وبقرة الحديث الاولى رواها مسلم عن جابر ايضا فقول
الفحش ليس من شان المسلم فقد روى الامام احمد في مسنده عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان
ولا الفاحش» فهذا يكفى ذمًا للقائل بالفحش المتنافى الايمان لان اللسان غالبا
يترجم عما في النفس فما يكنه الفؤاد ويمتلأ منه يفيض على لسانه فينطق
بما هو عليه من خير وشر ولذلك عرفوا الحلليم بانه من يملك نفسه عند الغضب
حيث يعرب عن خلوه عن مادة الفحش أو انها وان وجدت شان طبيعة
الانسان فان وعاءه اوسع من ان يمتلى بهذه المادة الصغيرة بنسبة اخلاقه
الفاضلة ومزاياه العالية بخلاف من يتكلم بالفحش فهو يدل على دناءة طبعه وان
في دماغه نقصان فهو لا يتسع لما يرد عليه من المؤثرات فيطور ويتغير وعلى كل فانه
نقص مناف لاصل الايمان عادة او كماله حقيقة والله اعلم

كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ) وَقَوْلِهِ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) وَقَوْلِهِ (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)
 وَقَوْلِهِ (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) وَقَوْلِهِ
 تَعَالَى (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) وَقَوْلِهِ
 (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) ٥

قوله «ان الذين يفترون» أى ان من كانت صفته افتراء الكذب على الله
 فى المعتقدات الدينية اوفى المعاملات بين الناس أوفى نفسه ليغش به الغير مستعملا
 هيشته مصبدا للخلق ليغشهم لا يفلحون فلا يفوزون بمطلوب اخر وى ولا ينجون
 من بلاء دنيوى فلهم فى الدنيا متاع قليل مدة حياتهم الجزئية بالنسبة
 لمضجع القبر والآخرة الباقية فلا يغرك ما ترى من رواج احواله او كمال
 شأنه فان ذلك موقت ليزدادوا عذابا فوق العذاب بما كانوا يعملون
 ولذلك قال تعالى فى تكملة الآية (ثم الينا مرجعهم) أى ان مصيرهم الينا
 فى الآخرة لحكمنا بذلك عليهم فيجازون اشد الجزاء ويرون الاهوال
 والشدايد (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) فى الحياة الدنيا فالعاقلة
 يدرك ان نعيم ساعة خلفه عذاب دائم هو عين العذاب بل اشدّه لأن الانتقال
 من الرفاهية الى الشدة ومن النعيم الى الجحيم عذاب فوق العذاب ولهذا كان
 عذاب الكفار يوم القيامة اشد ما يكون عند ما يرون اصحاب الجنة كما قال
 تعالى (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم
 الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم هوا ولعبا وغرهم
 الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسوا القاء يومهم هذا وما كانوا بايتنا يحمدون)

وَلَحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ «إِنَّ الصَّدَقَ
يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصَّدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ
عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى
النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» *

وهذا جزاء الافراء يوم القيامة اذ يفتضح صاحبه على ملا الاشهاد ولا
يكفيه ذلك حتى يطلب من اهل الجنة ما كي يعرفوه لينتشر حاله وما كان
عليه من القول بالباطل واختلاق الامور التي ما انزل الله بها من سلطان
ففسأله تعالى ان يحفظنا من الخطا في القول والعمل انه سميع الدعاء *

قوله «ان الصدق يهدي الى البر ، أى يوصل بجميع انواعه الى طرق
الخيرات كلها لانه يطلق على صدق اللسان ويقابله الكذب ويطلق على
صدق النية أى الاخلاص فيها فیراعى معنى الصدق ولا يغفل عن عمله بحيث يشرذ
ثقله وفكره عند مباشرة العبادات ويطلق على الصدق فى العزم بحيث
يقوى عزمه انه اذا ولى امرا يؤديه حقه من اقامة قسطاس الحق وعدم ظلم
احد من خلق الله ويطلق على الصدق فى الوفاء وذلك عند استيلائه فعلا
على منصب بحيث لا يدخل فى قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا
من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به
وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا
الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم
وان الله تلام الغيوب) ويطلق على الصدق فى الاعمال بحيث تستوى سريره
وعلايته فمن اتصف بالجميع فهو الصديق الحقيقى *

وَحَدِيثَ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «مَنْ يَضْمَنْ
لِي مَا بَيْنَ الْحَيَّةِ وَمَا بَيْنَ فَخْذَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ» *

وقوله «وانت البر يهدى» أى يوصل الى الجنة وان الرجل يصدق
فى السر والعلانية ويتكرر ذلك منه الى ان يصل به فرط صدقه الى الصديقية
وهى اعلى مرتبة بعد مقام النبوة فيدخل فى عداد تلك الزمرة التى من احبها
فقد نجا وحشر معها فكيف بمن يعد منها وان الكذب ليهدى ويوصل
الى الفجور وان الفجور يهدى أى يوصل الى النار لقوله تعالى (ان الابرار لفى
نعيم وان الفجار لفى جحيم) هـ

وقوله «وانت الرجل يكذب» ويتكرر منه بدوامه عليه «حتى يكتب
عند الله كذابا» فيحكم عليه بذلك ويظهره الله للملأ الاعلى وينتقل الى قلوب
اهل الأرض والسنتهم فيستحق عقاب الكاذبين من لعن وغيره
وفى هذا الحديث اشارة الى ان القرن له تأثير عظيم فى اثبات الخصلة
التى عليها المرء من خير وشر فينبغى ان يواظب الانسان على عمل الخير
ليكون له خلقا كما يجب عليه هجر الشر حتى يبلغ به الحال الى ان ينفر منه
عند رؤيته فلا تطيب به نفسه لى لا يجد الشيطان والنفس مسلكا لافساد
لان لكل امرئ من دهره ما تعود هـ

قوله (من يضمن لى ما بين الحية) بفتح الياء وسكون الضاد المعجمة والجزم
من الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية فاطلق الضمان واراد لازمه وهو
اداء الحق الذى عليه وقوله (الحية) بفتح اللام وسكون المهملة والتننية هما
العظمان فى جانبى الفم واراد بما بينهما لسانه لانه الواقع بين اللحين أى
حائطا الفم اللذان فيهما الاسنان من داخل الفم من كل
ذى لحن وهو الناطق المعبر عما فى الفؤاد من الخفايا والمكونات وقد جعل

الشارع العقوبة منوطة به والافان الانسان قد يتصور امورا منكورة لو يؤخذ عليها لما بقيت له حسنة ولحبط عمله في اليوم الواحد مرات عديدة كما انه يؤاخذ في قوله وان يكن غير مهتم بما يحصل منه بداعي المزح او نحو ذلك فقد روى البخارى عن ابى هريرة مرفوعا «ان العبد ليتكلم بالكلمة الا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم أربعين خريفا» حيث صدرت باختياره لها وكان عليه ان يحص ما يتفوه به حتى لا يصدر عنه الا ما يرضى به الله تعالى .

وقوله «ما بين فخذه» يريد بذلك الفرج لانه منبع الفساد وخراب العائلات والبيئات حيث ان الانسان يتعاق قلبه بمن كان من ارحامه فافشاء الزنا يسبب اهمال الاولاد الحاصين منه لعدم وجود من يربهم تربية صحيحة فيعيشون غير كآمل في الاخلاق محقرين بنظر من يعرفهم ناعمين على المجموع الذي جمعهم منقطعين بلا رابطة صلة ولا وشيجة رحم يتعاقون بها لاسيما ان انتشار هذا الداء الفتاك في امة يقلل نسلها الذي هو الجيل الآتي ويتركها متدهورة في السقوط ونقصان المال والرجال والهيبة حتى لو كانت في اوج العلاء حالا فان مصيرها الى المحو والهلاك مستقبلا اما تدريجا واما بصورة مستعجلة .

وتأمل ادب الشارع حيث عبر عن الفرج بما بين الفخذين ليعلمنا كيف يجب أن نسلك مع الغير في مخاطباتنا وحادثتنا بانتقاء الالفاظ البعيدة عن كل فحش وسفاهة ومجون .

ومن امعن النظر يجد الشر ينشأ من هذين الشئتين اللسان والفرج فكل اشر فيهما فن حفظهما فقد استكمل انواع الايمان وحاز على اشرف حلية الآداب والفضائل .

وقوله «اضمن له الجنة» جواب الشرط مجزوم به

وَحَدِيثُ أَبِي شُرَيْحٍ الْخَزَاعِيِّ فِيهِ أَيْضًا «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»

قوله «فيه ايضا» اى فى صحيح مسلم وكذلك فى البخارى فيكون متفقاً عليه ورواه ايضا الامام احمد فى مسنده . والنسائى . وابن ماجه .
وقوله «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت» اى انه اذا اراد ان يتكلم فان كان ما يتكلم به خيرا يثاب عليه واجبا او مندوبا فليتكلم وان لم يظهر له انه خير فليمسك عن الكلام سواء ظهر له انه حرام او مكروه او مباح مستوى الطرفين فعلى هذا يكون المباح مأمورا بتركه مندوبا الى الامساك عنه مخافة من انجراره الى المحرم او المكروه وهذا يقع فى العادة كثيرا او غالبا وقد قال الله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقد اخذ الامام الشافعى معنى هذا الحديث فقال اذا اراد ان يتكلم فليفكر فان ظهر له انه لا ضرر عليه تكلم وان ظهر له فيه ضرر أو شك فيه امسك بورويناعن الاستاذ ابى القاسم القشيرى رحمه الله قال الصمت سلامة وهو الاصل والسكوت فى وقته صفة الرجال كما ان النطق فى موضعه من اشرف الخصال قال وسمعت ابا على الدقاق يقول من سكت عن الحق فهو شيطان اخرس قال فاما ايثار اصحاب المجاهدة السكوت فلما علموا ما فى الكلام من الآفات حم ما فيه من حظ النفس واطهار صفات المدح والميل الى ان يتميز من بين اشكاله بحسن النطق وغير ذلك من الآفات وذلك نعت ارباب الرياضة وهو احد اركانهم فى حكم المنازلة وتهذيب الخلق، وروينا عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما يعنيه وعن ذى النون رحمه الله اصون الناس لنفسه امسكهم للسانه والله اعلم اه من كلام النووى على مسلم باختصار *

(٣٥) الْأَمَانَاتُ وَمَا يَجِبُ فِيهَا مِنْ أَدَائِهَا إِلَى أَهْلِهَا • لِقَوْلِهِ تَعَالَى
(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) • وَقَوْلِهِ تَعَالَى (فَلْيُؤَدِّ
الَّذِي أُتُمِنَ أَمَانَتُهُ) •

قوله «الامانات» الخ جمع امانة وهي كل ما افترض على العباد كصلاة وزكاة
وصيام واداء دين واركها الودائع وأوكدا الودائع حفظ الاسرار ولعظم
هذه التكاليف وصعوبة العمل بها على الوجه اللائق قال تعالى (انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فايئن أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
انه كان ظلوما جهولا) باعتبار اغلب افراد النوع حيث لم يحصل في عصر
من الاعصار ان كان المؤمنون هم اغلبية افراد العالم فكيف لو جمعت
الازمنة كافة ؟ فهذا الاعتبار حكم على المجموع بانه ظلوم لانهم يؤد الامانة
التي قبلها بحسن رضائه فخالف الفطرة الاصلية وعصا قلبه متبعا هواه
جهولا حيث اضاع الاجر العظيم الذي وعده الله عليه من دخول
الجنة فالرضاء الذي يحل عليهم فلا يسخط ابدا •

فان قيل ان الامانة هي التكاليف وقد رضى بها الناس جميعا لان
الكفار مكلفون باحكام الشريعة فينبغي ان يكونوا مأجورين من هذه
الجهة ايضا فالواجب كما افاده الفخر الرازي ان الفعل اذا كان على خلاف
الامر لا يستحق الاجر فلو قال لعامل احمل هذه الاغراض الى قرية
فحملها الى اخرى في جهة ثانية لا يستحق العامل اجرا لمخالفته بل يجب
عليه ضمان الضرر وبما ان الكافر لم يؤد ما قبله بفطرته السليمة وعمل
بالعواطف وهوى النفس فهو يستحق العقاب والعذاب الدائم وانما لم تحملها
السموات والارض لفقدانها مزية العقل والادراك التي بها امتاز البشر

على بقية المخلوقات ان عمل بموجبها هـ

وقوله وان الله يأمر كمن ان تؤدوا الامانات الى اهلها المروى عن زيد بن اسلم ان هذا خطاب لولاة الامر في اداء واجب الوظيفة حفظا لحقوق الرعية من ان يصيبهم اجحاف او ظلم لان ازالة ذلك حق في رقبة الولاة واجب عليهم فهم المسؤولون عن كل ما يصيب الامة من ضرر واذى لاختيارهم منصب الرئاسة وعليهم ان يقوموا بواجب التربية والشرعية فان فعلوا ذلك فلهم من الاجر ما لا يمكن حصره لتضاعفه بمقدار من عمل به تتسع دائرة حسناتهم بقدر ما ينتشر العدل والاصلاح وإقامة شعائر الدين وعليهم من المسؤولية بمقدار ما يعم من الظلم فهم المتحملون لكل وزر ومسئولية عامة كما ان لهم الاجر العام ولذلك كان كتاب النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الى قبصر ملك الروم «أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتلك الله اجر ك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين - اى العمال والفلاحين - ويا اهل الكتاب تعاملوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون هـ

وقوله «فليؤد الذى اؤتمن امانته» نزلت هذه الآية في الذى ائتمن اخاه ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا أى هذا المديون يجب ان يتقى الله ولا يجحد لأن الدائن لما عامله المعاملة الحسنة حيث عول على امانته ولم يطالبه بالوثائق من الكتابة والاشهاد والرهن فينبغى لهذا المديون أن يتقى الله ويعامله بالمعاملة الحسنة في ان لا ينكر ذلك الحق وفي ان يؤديه اليه عند حلول الاجل اهـ من الفخر الرازى ومن المعلوم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالقصد وجوب اداء كل امانة واما هذه بخصوصها فيجب ان تكون المحافظة عليها اهم لانها عبارة عن تأسيس تبادل الثقة التى هى حياة الامة ولهذا كان التشديد على حفظ الامة عظيما

وَلَحْدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إِذَا الْأَمَانَةُ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ ،
وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» وَلَحْدِيثِهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ

حتى انه روى الطبراني عن ابن عمر لايمان لمن لا امانة له ورواية البزار لادين
لمن لا امانة له ولا صلاة له ولا زكاة له اهـ . وهذا حق مشروع لأن من لا امانة
له كاذب في عبادته فلا ينبغي ان يحكم الانسان على رجل بمجرد صلاته
انه رجل طيب فان سيدنا عمر لم يرض بتزكية من عدل شخصا لكثرة
صلاته وقال له هل عاملته بالصفراء والبيضاء الى اخره فالدين المعاملة ولا
عبارة بالظواهر ولا سيما في عصرنا هذا فقد اتخذ الناس العبادة شركا
لاصطياد الناس والاستيلاء على اموالهم ولهذا قال تعالى ان الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر وقد حذرنا الرسول عن قوم بقوله فارواه البخارى ، يحقر
احدكم صلاته عند صلاتهم وصيامه عند صيامهم ايمانهم لا يجاوز حناجرهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية «فالدين المعاملة واعظم دعامة لها هي الامانة هـ
ترك المصنف عزو الحديث إلى مخرجه خلاف عادة، ولعله سهو منه عني الله
عنه ، وعزاه الحافظ السيوطي إلى البخارى في تاريخه الكبير وسنن أبي داود
والترمذي وحسنه والحاكم عن أبي هريرة ، والدارقطني . والحاكم والضياء
المقدسي عن أنس بن مالك ، والطبراني وكذا ابن عساكر عن أبي امامة
الباهلي ، وابي داود والدارقطني عن ابني بن كعب ، واختلف علماء الحديث
في تصحيحه فصحيحه جماعة منهم ابن السكن، وضعفه اخرون منهم ابن الجوزي
لكن كثرة طرقه تقويه هذا في السند واما المتن فصحيح المعنى

قوله «إِذَا الْأَمَانَةُ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» هـ هذا
الحديث يمثل مزية الدين الاسلامي وانه دين السماح ودين العفو ودين
المرحمة حيث يقابل المسمى بالاحسان والظلم بالرحمة والجور بالعدل

فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ . إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ . وَإِذَا
وَعَدَ أَخْلَفَ . وَإِذَا أَتَمَّنَ خَانَ * »

والتعدي بالصفح وانه ليشير الى الآية (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي
حميم) فلا تؤاخذ به بما فعل ونعمه من النظر عن عيوبه فتتجاهل عنها ليرتدع ويعود
الى الصواب اذا كان حرا كامل الادراك حسن الفكرة * »

وما قتل الاحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا
ولكن لما كانت الامة غير متساوية فى الاخلاق والتصور والتحمل
جعل الشارع هذه مرتبة كبرى للذين لهم قدم راسخ فى الايمان وتحقيق
فى الدين واما الجماعة الذين لا يزالون فى دور البدء او فى حالة الغفلة ولم
يصلوا الى تلك المرتبة فقد اباح لهم الشارع أن يأخذوا حقهم بلا ظلم
ولا تعد قال تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)
وهذه رخصة لمن رأى ان نفسه لا تطيب بالمساحة لأن نفسه لم تهذب كما
ينبغي ولا يزال مدفوعا بالعوامل النفسية * »

قوله « فهو منافق وان صلى وصام » الخ اشارة الى وجوب عدم الاغترار
بالصورة والاعمال الظاهرة فلا يجوز ان نسي الاعتقاد باحد ولكن لا يسوغ
لنا ان نقدره قبل ان نعرف ما تنطوى عليه نفسه فكيف نثق بالرجل
الكذاب ولو كان اعلم الناس ؟ ولا سيما بعض المشايخ الذين يزعمون ان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحضر دروسهم وغير ذلك من الافك العظيم
ليحصلوا على شهرة ومكانة ونسوا عذاب الله وان ربك لبالمرصاد . ولا
ينبغي ان نثق بالخائن ولو كان اكثر الناس عبادة ولا نعتمد على مخلف
الوعد وان ظهر بمظهر الصلاح والورع . فالدين لم يترك لنا شيئا من الخير
الا امرنا به ولا جزءا يسيرا من الشر الا نهانا عنه ؟ وحاشاه ان يقبل

(٣٦) ، تَحْرِيْمُ قَتْلِ النُّفُوسِ وَالْجَنَائِيَّاتِ عَلَيْهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى
 (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا أَجْزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ) (الآيَةُ
 وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) (الآيَاتُ ٥

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ « قَتَلَ
 الْمُسْلِمُ كُفْرًا وَسَبَابًا فَسَوْقٌ » ٥

التغفل وان يكون المؤمن مغفلاً يصدق كل ما قيل له ويتبع كل ناعق بل
 لو صدف ان وقع مرة فلا يحق له ان يقع فيها مرة أخرى بعد قوله صلى
 الله عليه وسلم كما في مسند الامام احمد والصحيحين عن ابى هريرة « لا يلدغ
 المؤمن من جحر مرتين » ٥

قوله « تحريم قتل النفوس » وهو من اكبر الكبائر واجمعت الامم قاطبة على تحريمه
 فلم يجوزده شرع ولم يستحسنه عقل لانه طاعة النفس في داعية الانفعال والغضب وهو
 اعظم سبل الفساد في الارض فيما بين الناس لمخالفته لسنة الله في ارسال الرسل ونشر
 الاديان محافظة على بقاء النوع الانساني وتكثير افراده وعيشهم بلا تعد
 على بعضهم ولا تجاوز بل ان القتل تغير لخلق الله حيث يسعى في ازالة الموجود
 واقفاء الحاضر واسكات الناطق واسكان المتحرك فيكون هادما لبنيان
 الله العجيب الذي هو الانسان الجرم الصغير الذي انطوى فيه العالم
 الاكبر . فيكون جزاء فاعل هذا الجرم العظيم جهنم خالدا فيها
 وغضب الله عليه لما ان الساعي لابقائها له الاجر العظيم كما قال تعالى (ومن
 احياها فكأنما احيانا جميعا) ٥

قوله « قتل المسلم كفر وسبابه فسوق » الذي في الصحيحين « سباب المسلم

وَحَدِيثُهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، « أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ » *

وَلَحْدِيثِ أَبِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ « لَا يَزَالُ الْمُسْلِمُ فِي فَسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبَّ دَمًا حَرَامًا ».

(٣٧) تَحْرِيمُ الْفُرُوجِ وَمَا يَجِبُ فِيهَا مِنَ التَّعَقُّفِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى

فَسَوْقَ وَقْتِهِ كُفْرًا ، وَلَعَلَّ الْمَصْنِفَ اخَذَ الْمَعْنَى مِنَ الصَّحِيحَيْنِ لِاعْتِمَادِ أَكْثَرِ النَّاسِ عَلَيْهِمَا وَاخْتِذَاكَ الْفَرْقَ مِنْ رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ الْمُوَافَقَةِ لِمَا نَقَلَهُ الْمَصْنِفُ وَانَّمَا كَانَ قِتَالُ الْمُسْلِمِ كُفْرًا مَنْ اسْتَحْلَلَ ذَلِكَ فَإِنْ اسْتَحْلَلَ كُلَّ حَرَمٍ مَعْلُومٍ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ كُفْرًا مَا كَانَ غَيْرَ مُسْتَحْلَلٍ ذَلِكَ فَيَصْدُقُ عَلَيْهِ بِكُفْرَانِ النِّعَمِ حَيْثُ عَمِلَ خِلَافَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ وَعَكْسَ حِكْمَتِهِ تَعَالَى .

« قَوْلُهُ أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ » لِأَنَّهَا أَكْثَرُ الذُّنُوبِ وَأَقْبَحُ الْأَفْعَالِ وَأَسْوَأُ الْمَعَامَلَاتِ وَلَا تَنَافَى بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ وَبَيْنَ حَدِيثِ النَّسَائِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا « أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ » فَإِنَّ هَذَا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ وَلِذَلِكَ جَعَلَهُ حِسَابًا وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي أوردَهُ الْمَصْنِفُ فَانَّهُ مِنَ الْمَعَامَلَاتِ بَيْنَ النَّاسِ وَلِذَلِكَ قَالَ يُقْضَى أَيْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَصْمِهِ وَفَرَقَ بَيْنَ الْقَضَاءِ وَبَيْنَ الْحِسَابَةِ .

وَقَوْلُهُ « لَا يَزَالُ الْمُسْلِمُ فِي فَسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبَّ دَمًا حَرَامًا » فَإِذَا أَصَابَ دَمًا فَقَدْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ لِمَا أَوْعَدَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَالْعِقَابِ الشَّدِيدِ وَلِأَنَّ الْعَفْوَ مَبْنِي عَلَى مَسَامِحَةِ الْمَقْتُولِ بَعْدَ إِرْضَاءِ وَرَثَتِهِ بِالْقَوْدِ أَوِ الدِّيَةِ وَقَدْ خَرَجَ السَّمَاخُ عَنْ دَائِرَةِ الْأَمْكَانِ فِي الدُّنْيَا فَلَا يُمْكِنُ ذَلِكَ الْيَوْمَ

(وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) ، (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ فُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)

القيامه ولا شك ان هذا هو منتهى الضيق وغاية الرب والازدراء .
وقوله « تحريم الفروج » اى الزنا واللواطه ويزاد على التحريم ان
جعل لها حدا خاصا وذلك لكثرة وقوعه بحسب النفس البهيمية عند هيجان
الشهوة والشبق عند وجود دواعيه من جمال امرأة او مداعبتها او
الخلوة بها فوضع الحد مع الحرمة اذ يجوز ان تغلب العاطفة على العقل
فلا يلتفت الى ما ينتج من العار العظيم ووقوع العداوة واستحكامها
الى حالة قد تكون سببا في سفك دماء كثيرة ولهذا جعل الشارع الشهادة
عليه باربعة شهود عليه في الدنيا لى لا ينتشر الفساد فى الأرض وان كان
فى الآخرة قد اعد له العذاب الاليم لأن الله يهمل ولا يهمل ان ينالها بهم
ثم ان علينا حسابهم .

واللواطه داخلة طبعاً فى الزنا بل هى اسوأ حالا منه لأنها مخالفة
لسنة الله فى تكثير نسل النوع البشرى وتعطيل التناسل الذى حث عليه الشارع
حتى جعله عبارة عن السنة ولهذا احرق ابو بكر النار لوطيا باتفاق الصحابة
لشناعة فعله ولأنه مخالف للطبيعة ينفر عنه كل صاحب ذوق سليم ولذلك
اختلفوا فى حده فقال بعضهم: القتل مطلقا وقال بعضهم: حد الزنا رجم
المحصن حتى يموت وجلد غير المحصن أى غير المتزوج وتغريه عاما واحدا
وروى البيهقى عن جابر بن عبد الله « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من اخوف ما اخاف على هذه الامة عمل قوم لوط » اه
وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقد انتشرت هذه
الجرثومة المضرة والفعلة القبيحة وتطايير شرر ضررها وعم فسادها وراج

وَلَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارُهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» هـ

سوقها فراج الكساد وعم الغضب وارتفعت البركة وكثرت الفتن وغلت الاسعار وصارت الارواح تذهب هدرًا وتعدد الخسف والخراب بالزلازل وطغيان المياه والحريق غفرانك ربنا واليك المصير ربنا لا تنزع قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب هـ

«قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الخ أي اذا استحل له لأن استحلال ما علم تحريره من الدين كفر كما قلناه سابقا وانه محمول على كمال الايمان فان نفى كمال الايمان الزاجر عن المعاصي لا يخرج المسلم من الايمان خلافا للخوارج وللحسن البصري كما في شرح النسفية القائل بكفر مرتكب الكبيرة وخلافا للخوارج الذاهبين الى أنه منزلة عذاب دون عذاب الكفر هـ

ويحتمل عندي وانه الارجح ان الايمان يسلب عنه حال تلبسه بالمعصية ويعود اليه بعد الاقلاع عنها ، ويؤيده قول ابن عباس الآتي فعن عكرمة قلت لابن عباس كيف ينزع منه الايمان قال هكذا وشبك بين اصابعه ثم اخرجها فان تاب عاد اليه هكذا وشبك بين اصابعه ، ويستدل على ذلك بما في سنن ابي داود والحاكم من طريق سعيد المقبري بسند صحيح عن ابي هريرة رفعه «اذا زنى الرجل خرج منه الايمان فكان عليه كالظلة فاذا اقلع رجع اليه الايمان» وعند الحاكم من طريق اس حجية انه سمع ابا هريرة رفعه من زنى او شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلم الانسان قميصه عن رأسه هـ

(٣٨) قَبْضُ الْيَدِ عَنِ الْأَمْوَالِ وَيَدْخُلُ فِيهَا تَحْرِيمُ السَّرِقَةِ *
وَقَطْعُ الطَّرِيقِ وَأَكْلُ الرِّشَاءِ وَأَكْلُ مَالٍ يَسْتَحِقُّهُ شَرْعًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

قوله «تحریم السرقة» هي اخذ انسان مكلف خفية قدر ربع دينار محرز
بمكان او حافظ بلا شبهة وهذا تعريف لما يوجب الحد وهي قطع اليد اليمنى
فان كان اقل من المقدار المذكور فانه يوجب التعزير بما يستحقه المجرم
حسبما يراه الحاكم تأفيا لتأديبه مع ملاحظة اعتبار الغير به ليمتنع
عن مثل عمله *

وانما جعل الشارع لها حد القطع لان الاشخاص الذين جبلت نفوسهم
على التخاذل والكسل والنظر الى ما في ايدي الناس من المال مع شره النفس الخبيثة
يميلون الى السرقة لانها اقل تعباً وكلفة واكثر ايراداً ومكسباً فيستفيد احدهم
من الخلسة فلا يجد له ما يردعه عن ارتكاب السرقة الا حداً كبيراً في
قطع عضو من انفع اعضائه واعزهم لديه والزمهم اليه لان المال عرض
زائل وفي مذهب الامام الشافعي ان عليه الضمان مع قطع اليد فيبقى خاسراً
في الدنيا كما يكون خاسراً في الآخرة اذا لم يطهره الحد مع التوبة منه على
ان لا يعود فيضطر لان يحارب الطمع ولا يلتفت الى الهوى ووساوس
الشیطان لعلمه بها يصيبه من ضمان المال وابلام القطع ونقصان القوة العاملة
والعار الذي يلصق به ولا يفارقه اصلاً وعدم قبول شهادته حتى تتحول
نفسه الى حالة ثانية يكون فيها معروفين الناس بالصدق والاخلاص وحسن
المعاملة واداء حقوق الله تعالى وحقوق العباد *

قوله «وقطع الطريق» اي منع الناس من المرور في الطريق لا خذار واحهم
او سلب اموالهم معتمداً على قوته او سلاحه سواء اثنان في المصرام كان
في الصحراء وهو اشد جزاء من السرقة لاعتماد فاعله على الظهور والقوة

ولأنه يخيف الناس ويرفع الأمن المطلوب لكل احد ولهذا كان حده جسيما
 وجزاؤه مضاعفا لأنه ان القى عليه القبض قبل توبته واثباته الى ربه فقيه تفصيل
 فان كان قاتلا وعاخذا للمال فيقتل ويصلب على خشبة شهيرا له ليرتدع بقية
 المجرمين امثاله وتراه الناس فيزول من ذهنبهم ما ارتكز من خوف وخشية
 وان قتل فقط يقتل لأنه يجوز ان تكون غايته غير قطع الطريق حيث لم يأخذ
 مال احد فحده القتل فقط وان اخذ مالا فقط فيجازى بقطع يده ورجله
 من خلاف لأنه اشبه السارق فقطعت يده وزاد عليه فقطعت رجله لذلك
 ولأنه اذا حدثته نفسه بقطع الطريق مرة اخرى تخونه رجله المقطوعة لأنه
 يجوز ان يخفى يده ويستعمل الثانية معتمدا على ماله من الهبة في قلوب
 السائرين في الطريق اما اذا رآه لا يستطيع المشى فيذهب هذا الاحتمال
 وان قطع الطريق ولم يقتل احدا ولم يأخذ مالا كان جزاؤه النفي حسبا
 يراه الامام الى ان يعلم ان شره قد زال وقد تاب توبة نصوحا واستقامت
 احواله، واما كان الجزاء شديدا لأن الدافع لهذا العمل هو جمع المال اولا
 بسهولة والاستحصال على الشهرة والنفر ذلان لذة الظفر والغلبة يعجز القلم
 عن ذكر جزء يسير منه . واما من تاب قبل ان يقدر ولاية الامر
 عليه فان كان قاتلا فتناط قضيته بورثة المقتول ان شاءوا اقتصوا منه
 وان ارادوا أخذوا الدية أو ساءحوه بها وان أخذوا اموالا فلا بد من
 الضمان بان يؤدي لأرباب الحقوق كل ما لهم فليعبد الموجود ويضمن المفقوده
 قوله «واكل الرشاش» وهو تناول الحرام شيئا من الاموال مما لا يستحقه
 لا فرق بين ان تكون لاهياء باطل او احقاق حق لقوله تعالى : (ولا
 تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) هذا في المرتشى واما الراشى فانه يحرم عليه
 دفع شيء الى القاضي اذا كان يريد بعمله احقاق الباطل او امانة حق وعليه

تعمل الاحاديث الواردة بهذا الخصوص ، روى الامام احمد في مسنده
 وأبوداود والترمذى وابن ماجه عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال: « لعن الله الراشئ والمرثئ » وروى الامام
 احمد ايضا والترمذى والحاكم عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال « لعن الله الراشئ والمرثئ فى الحكم » وروى الامام احمد فى مسنده
 ايضا عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله الراشئ
 والمرثئ والرائش الذى يمشى بينهما ، واما اذا كانت محقافى دعواه ولكن
 القاضى لا يرضى ان يقيم حقه الابتناول رشوة فان دفعها اليه حيث ذرخصة
 فى حقه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل واما القاضى فانه عاثم قطعا لانه أصبح
 من الفريق الذين حرم الله عليهم طيبات احلت لهم بظلمهم والظلم اموال
 الناس بالباطل »

ومع ان الله تعالى حرم هذا الفعل فى جميع الشرائع لا يرضى
 به العقل ونسبته الى شخص من اكبر العيوب فانه اصبح مرضا ساريا ودا
 عضالا لم يترك امة الا ودخل فى نفوس حكامها وامرائها ولا سيما فى عصرنا
 الحاضر هذا فان الكارثة اشد وطأة والمصيبة اكبر واجسم وما
 من ناصر للحق ولا مغيث للمظلوم فقد ببقى البرى سنين عديدة فى السجن
 لان مالىته فى الحقيقة لاتساعده على دفع شئ. واما فى الصورة فان التحقيقات
 لم تنته والشهود لم يكملوا او المعاملة فيها نقصان والمحامى لم يتم
 دفاعه او اعتراضه والمدعى العام لم يبد رأيه ومن اغرب ما علمت انه فى
 دور الحكومة التركية انهم رجل بسرقة حمار وبقى مسجوناً فى سجن
 حلب قريبا من سبع سنين مع انه برى. واخيرا وجد من لقنه الاقرار
 بجرم السرقة فحكمت عليه المحكمة بالسجن ثلاثة اشهر وذهبت السنون
 الطوال هدرًا .

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) وَقَوْلَهُ تَعَالَى : « فَظَلَمَ مَنْ
الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُمْ » إِلَى قَوْلِهِ : « وَأَكْلَهُمْ
أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ » وَقَوْلَهُ : « وَيَلِ لِلْمُظَفِّفِينَ » وَقَوْلَهُ :

ليت شعري لو كان غنيا اما كانت حاضرة الرشوة المحترمة سببا في
اخلاء سراحه أو على الاقل متى بقي في السجن مدة لا يساعد القانون على
حكمه باكثر منها ان يترك ريشما تتم التحقيقات هـ

بمثل هذه الاساليب يضطر الرجل لتقديم الرشوة التي عمت الى أن
ارتقت الى الامراء فيبيع الشرق بثمان بخس استوفاه المشترون الاستعماريون
في بضعة ايام وبقيت البلاد ومن عليها ربحا ومكسبا هـ
فقاتل الله الرشوة التي كان الشر مقلوب حريفها الاولين وزادت عليه
حتى لم يعد له اسم يذكر فاصابنا ما اصابنا منها ونحن لانأبه لذلك فاننا
لله وانا اليه راجعون *

قوله « واكل ما لا يستحقه » اي من جميع الانواع التي لا يسوغ الشارع تناولها
من أخذ يمين فاجرة او من طريق غش او من طريق رشوة او سرقة او
اي شيء آخر سواها كان بتطفيف الكيل وترجيح الوزن عند الشراء
ونقصانها عند البيع ام كان بطريق الاغفال وخيانة الامانة فكل ذلك ارتكابه
مخالف للايمان والعدول عنه من اعظم شعب الايمان فقد اوعده الله من
ارتكب مثل هذه الموبقات فقال ما ذكره المصنف (ويل للمطففين الذين اذا
اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون) فلهم
العذاب الشديد والنقمة الكبرى والغضب العام ، وكان ظلم بني اسرائيل
واظلم اموال الناس بالباطل سببا في تحريم طيبات كانت حلالا

« وَأَوْفُوا السَّكِيلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ »
 وَحَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي فَقَالَ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ
 وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ » الْحَدِيثُ .

على أسلافهم الصالحين .

قوله « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ » ، أَيْ لَا يَحِلُّ مِنْهَا
 شَيْءٌ وَاكْتَدَ ذَلِكَ حَيْثُ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي أَشْرَفِ الْمَوَاقِعِ وَأَفْضَلِ الْأَيَّامِ
 وَاكْمَلِ الْحَالَاتِ الْعِبَادَةِ حَيْثُ كَانَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحْرُومًا بِحُجَّةِ الْوُدَاعِ فَتَلَا بِذَلِكَ وَتَبَيَّنَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَحْفَلِ الْعَظِيمِ
 إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الدِّينَ لَا يَبِيعُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَحِلُّ الدَّمُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 قَاتِلًا أَوْ زَانِيًا مُحَصَّنًا وَالْمَالُ لَا يَحِلُّ اخْذُهُ إِلَّا اسْتِيفَاءً حَقٍّ وَأَمَّا الْعَرَضُ
 وَهُوَ مَوْضِعُ الْمُدْحِ وَالذَّمِّ مِنَ الْإِنْسَانِ فَلَا يَحِلُّ اتِّهَافُهُ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ
 وَلِذَلِكَ كَانَ تَكْمِلَةُ الْحَدِيثِ تَشْبِيهًا بِمَا لَا يَحِلُّ جَاهِلِيَّةً وَلَا إِسْلَامًا حَيْثُ
 قَالَ « كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا » وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ
 ضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَالْحَاقُّ النَّظِيرُ بِالنَّظِيرِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ
 فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ *

قوله « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ الْخَالِصَةُ » وَأَتَمَّ أَحْرَمَ اللَّهُ بِالنَّصِّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْأَرْبَعَةَ
 لَمَّا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْأَضْرَارِ فَإِنَّ الْمَيْتَةَ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا لَمْ تَمُتْ إِلَّا وَقَدْ زَالَتْ
 عَنْهَا الْمَنْفَعَةُ وَأَصْبَحَتْ ضَرَرًا لِعُرْوَاهَا مِنَ الْمَنْفَعَةِ حَتَّى أَنْكَرَ أَنْ تُعْرَضَ شَيْئًا مِنْ
 الْحَرَمِ عَلَى النَّارِ يَنْكُشُ وَيَتَقَلَّصُ كَحَرَمِهِمُ الْمَذْبُوحَ بِمَا لَا يَخْفَى عَلَى الَّذِينَ يَعْرِفُونَ

(٣٩) وَجُوبُ التَّوَرُّعِ فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْاجْتِنَابِ

عَمَّا لَا يَحِلُّ مِنْهَا ۝

لَقَوْلِهِ تَعَالَى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ

الطَّبِّ وَمَا فَصَلَ فِي مَضَارِ الْمَيْتَةِ وَأَمَّا الدَّمُ فَلأنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعَةِ جَرَائِمِ وَهُوَ مَرْكَزُ الْأَمْرَاضِ وَمَحَلُّ ظُهُورِ الْعِلَلِ وَالْفَسَادُ غَالِبًا يَكُونُ مِنْهُ فَحْرَمَهُ اللَّهُ لِأَجْلِ الْمَصْلَحَةِ إِذْ قَدْ يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ خِلَاصَةُ الْجَسَدِ فَيَقْطَعُ فِيهِ وَتَنْشِبُ فِيهِ الْأَمْرَاضُ الَّتِي كَانَتْ كَامِنَةً فِي الدَّمِ ۝

قَوْلُهُ «لَحْمُ الْخَنزِيرِ» لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنَ الدَّوْدَةِ الْوَحِيدَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْفَتَكِ فِي كُلِّ مَنْ أَصَابَتْهُ وَقَلْبًا يَنْجُو مِنْهَا مِنْ حَصَاتٍ لَهُ وَإِضًا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَظْهَرُ فِيهِ مَادَّةُ غِذَائِهِ وَالْخَنزِيرُ هُوَ أَقْلُ الْحَيَوَانَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ غَيْرَةٌ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَلِهَذَا تَجِدُ غَالِبَ الَّذِينَ يَقْتَاتُونَهُ قَدْ فَقَدُوا الْغَيْرَةَ وَلَا يَهْمُهُمُ الزَّانَا وَلَا كَلِمَةٌ عَرَضُ وَلَا نَحْوُ ذَلِكَ فَحَذَرُ اللَّهُ مِنْهُ مَحَافَظَةً لِلصَّحَّةِ وَالْأَخْلَاقِ وَأَمَّا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ فَلَا يَخْفَى ضَرَرُهُ لِأَنَّهُ اعْتَرَفَ بِكَرَانِ الصَّانِعِ الْحَقِيقِيِّ وَمَنَافٍ لِلتَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ كَافَّةً وَدَعَتْ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّرَائِعِ إِلَّا مَا تَسَنَّخَ وَصَارَ الْعُوبَةُ لِرِجَالِ الدِّينِ التَّابِعِينَ لَهُ فَحَرَّمَ مَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ تَنْفِيرًا مِنَ الشَّخْصِ الذَّابِحِ وَلَكِي تَنْقَطِعَ عِلَاقَةُ الْمَوْجُودِينَ عَنْ غَيْرِهِمْ لِي لَا تَسْرَى عَلَيْهِمْ أَمْرَاضُهُمُ الْإِعْتِقَادِيَّةُ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَسْتَحْسِنُ الْقَبِيحَ إِذَا كَثُرَتْ مَشَاهِدَتُهُ لَهُ فَقَلْعًا لِلشَّرِّ مِنْ أَسَاسِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْإِسْتِفَادَةَ مِنْ ذَلِكَ خَشْيَةً أَنْ تَكُونَ سَبِيلًا فِي إِفْسَادِ عَقَائِدِنَا الَّتِي تَجْتَمِدُ الشَّرِيعَةُ فِي الْمَحَافَظَةِ عَلَيْهِمْ وَأَوْصُونَهَا مِنْ عِبَثِ الْعَاشِينَ ۝

اللَّهُ بِهِ وَالْمُنْخَفَّةُ) الْإِيَّةَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ
مَحْرَمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ
خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّمَا
الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ)

قوله «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه» لأنها من أقمح القبائح ولذلك جعل الشارع قربها حراما ففعلها
بطريق الأولى لأن منع الاجتناب أبلغ من تحريم الشيء نفسه وذلك لأن
التحريم قد لا يمنع المشاهدة التي قد ينخدع الإنسان بها وهذه الأربعة هي
الرجس العظيم لأن الخمر والكبائر وأساس القبائح وأنك لو فحصت
الجرائم تجد معظمها حاصلًا أثناء عريضة السكر وأما الشر والنزاع
فإنه لا يبرح مستفحلا مادامت الخمر مستعملة وهذا ما حدا بالأمريكيين
أن يحرموه ويطاردوا الذين يستعملونه ويجازونهم بأشد الجزاء وانكل
العقاب الرادع نظرا لما تتحملوا من مساويه والعجب أن ديننا يحرمه ونحن
لأنابه لهذا ومن أغرب ما قرأت في الجرائد المصرية أن جمعا طلبوا منع
المسكرات أسوة بأمريكا كأنهم يخجلون أن يقولوا دين الإسلام يحرم
ذلك لأنهم لا يعابون إذا اقتدوا بأمريكا نظرا لأنها قوية والعادة الجارية
أن الإنسان لا يقلد إلا القوي أما الدين الإسلامي فإنه لما فقد من يذب
عنه أصبح لا يصلح للاستشهاد وإقامة الحججة ولو على من يدعون الإسلام
ويزعمون الإيمان ۞

وقوله «والميسر» هو القمار وانه لشر عظيم وبلاء مستطير يحدث اسوء
 الاعمال ويورث اقبح الطباع لا يخلو من مشاحنة وبغضاء اذا عرا عن
 اتجار واغتيال اذا كان كل من اللاعبين طامعا في اخذ مال صاحبه على أن
 النتيجة في الطرفين خسران لأن المستهلك يحصل من المال المجموع
 ولذلك تجد المقامرين بحسب الجمع اموالهم في نقصان لأن نموها غير
 ممكن اللهم الا من السرقة وارتكاب الفظائع وهذا هو الشر الذي
 يجب اجتنابه . تجد المقامر بينما هو لباس أفخر الثياب واذا به عار لا يملك
 خبز يومه ولا قوت ساعته يستعطي الناس وقد يبلغ به الامر الى السعى لأخذ مال
 الغير بلا وجه مشروع فيكون آلة لترويج الشرو و نشر الفساد بين الناس وهذا
 هو الخسران المبين ، واما الكاسب فانه يبذر ماله لانه لم يتعب به فلا يلبس الا اياما
 يسيرة حتى يكون عرضة للضياع والهلاك وقد نكب الشرق بمصيبة القمار
 سواء كان بمسابقة الخيول او برمي الطيور أو بغير ذلك من الالعاب التي اتخذها
 الاجنبي في بلادنا فحالا اختلاس اموال الشرقيين موها بكسب جزئ مع
 انه بالنسبة لما يجمعه ضرورة شيء ضئيل لأن الربح للشركة قطعوا الناس
 غافلون و اموالهم تنسرب الى اعدائهم وهم ينظرون *

وقوله «والانصاب» هو الذبح لغير الله وقد تكلمنا عليه قبل .

قوله «والالزام» وهى عبارة عن عدة اسهم موضوعة فى كنانة يستخرج
 منها سهمان فان كان فيه افعل ففعل وان كان فيه لا تفعل ارتدع وهذا وان
 كان لا يوجد الآن ولكن من نوعه الاشياء كثيرة كالطيرة وعشرة الدابة
 ورؤية الارنب وغير ذلك من الخرافات التي تكون سببا لعدول المسافر
 أو تشاؤمه من سفرته كل ذلك حركات صبيانية اجتنابها من شعب الايمان
 النافعة دنيا واخرى .

الآيَات ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) الْآيَةُ فَأَثْبَتَ فِيهَا الْإِثْمَ وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) حَرَّمَ الْإِثْمَ نَصًّا ، وَيُقَالُ : إِنَّ الْإِثْمَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ وَيُشَدُّهُ

شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي كَذَلِكَ الْإِثْمُ يَذْهَبُ بِالْعُقُولِ

وَلَحْدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبَتَعِ فَقَالَ كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ»

قوله (قل فيهما اثم كبير) لما ينتج عنهما من الشرور والفتن واحداث القلاقل شأن السكران والحسران بقطع النظر عن اضاعه العقل واضرار الجسد في الأول واتلاف المال في الثاني •

قوله (إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن) لأن اصلاح النفس الواحدة مطلوب باصلاح المجموع بل الثانى متوقف على الاول نه ليس الا عبارة عن افراده فالفاحشة حرام فى الظاهر والباطن فلا تحل المحرمات ولو كان الانسان فى وسط بيت مغلوق عليه فان الله رقيب عليه ومطلع على أعماله وأفعاله .

(١) قوله «البتع» بكسر الباء الموحدة وسكون التاء الفوقية نبيذ العسل وهو خمر اهل اليمن فتأمل قول الرسول الأعظم ﷺ «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ» لأن المراد تحريم كل ما يزيل العقل بسكر أى انه يؤدى هذا الفعل عن لذة يجدها الانسان وأما ما يزيل العقل ولو بالنوم فان هذا يؤجر فى جميع

وَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ» وَحَدِيثُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حَرَمَهَا فِي الْآخِرَةِ».

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرَى بِهِ بِأَيْلِيَاءَ بِقَدَحَيْنِ خَمْرٍ وَابْنُ فَظَّزٍ إِلَيْهِمَا ثُمَّ أَخَذَ اللَّبَنَ فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ لَغَوَتْ أُمَّتُكَ».

أنواع المأكولات فإن الإنسان لو أكل كثير من أكل الخبز في مجلس واحد يحس بدوران في رأسه ولا يلبث أن ينام فلا يقال الخبز حرام بل المدار على المسكر الذي يوصل الإنسان إلى حالة يستلذ بها ويتخيل أنه تطور حتى أصبح في مصاف العظماء يقال المنخل يشكرى :
وإذا شربت فانتى رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فانتى رب الشويهة والبعير

وهذا هو السكر بعينه، والخورنق قصر للنعمان بن المنذر اللخمي أحد ملوك العرب، والسدير نهر في الحيرة له أيضا.

قوله «الحمد لله الذي هداك للفطرة» لأنها تحت على النافع وتمنع من الضار واللبن لاشك أنه له منفعة يتغذى به الصحيح والعليل والكبير والصغير ومما انقلب في تطوراته فهو منفعة بحته ويؤدي وظيفة أنواع الأغذية لاشتماله على المواد المغذية والسكرية فهو غذاء وفاكهة ويؤدي وظيفة الارواء وخال عن التسكاف والعناء بخلاف الخمر فإنها مضيعة للعقول ومضرة

وَلَحْدَيْهِ فِيهِمَا «وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرُ الشَّارِبُ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»
 الْحَدِيثُ (١) وَبِهِ أَنَا الْبِيهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ بَنِيذٍ
 إِلَى أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ حَتَّى أَفْسَدَهُ يَعْنِي الْعَقْلَ ، وَقِيلَ لِبَعْضِ الْعَرَبِ
 لَمْ لَا تَشْرَبُ النَّيْذَ؟ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَرْضَى عَقْلِي صَحِيحًا فَكَيْفَ ادْخُلَ إِلَيْهِ
 مَا يُفْسِدُهُ (٢) وَعَنِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ لَهُ يَا بَنِيَّ أَيَّاكَ وَالنَّيْذَ
 فَأَنَّهُ قَتَلَ فِي شِدْقِكَ وَسَلَحَ عَلَى عَقْبِكَ وَحَدَّثَ فِي ظَهْرِكَ وَتَكُونُ ضُحْكَةً

بالأجسام متلفة للمال وهي نفسها تكلف بعملها الذي يحتاج لزمان وبشر بها
 الذي يمتنع منه الإنسان حيث تجرح بحرارتها حلقومه وتلدع فيه فهي
 خلاف الفطرة وينفر منها الذوق السليم .

(١) تقدم البحث في ذلك عند قوله «لا يزني الزاني» الخ في صفحة ١٢٧
 (٢) أي العقل لأنه لا شيء يوازيه في الثمن فهو الكل في الكل وبه
 امتاز الإنسان على غيره ولذلك قال عباد لو كان العقل علقا - أي شيئا نفيسا -
 لتغالى الناس في شرائه فالعجب من أقوام يشترون بأموالهم ما يذهب بعقولهم
 والاعراب أنه أصبح الآن من متممات المدنية يتباهون ويتفاخرون به
 من يرهنون لناعى أن المدنية الحاضرة أساسها الفساد وأركانها الضرر والاضرار
 وانتشار الظلم والبغى وتعميم الشر وايزاء العباد الضعفاء .

(٣) قوله «في شديقك» لأن السكران لا يفارقه القى فشدقه يحتويان على
 هذه المادة القذرة وقوله وسلاح على عقبك لأنه لا يدرى ما يفعل فهو وغالب
 يسلمح على نفسه ويلوث ثيابه حتى تسيل على عقيبته ، وقوله «وحد في ظهرك»

لِلصَّبِيَّانِ وَاسِيرًا لِلدِّيَّانِ * وَعَنْ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ لَا بُنْتَى يَابَنَى مَا
يَدْعُوكَ إِلَى النَّيِّذِ قَالَ يَهْضُمُ طَعَامِي قَالَ وَاللَّهِ بَنَى هُوَ لَدَيْنِكَ أَهْضُمُ
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَدْرِيسَ *

كُلُّ شَرَابٍ مُسْكِرٌ كَثِيرُهُ مِنْ تَمْرَةٍ أَوْ عِنَبٍ عَصِيرُهُ
فَإِنَّهُ مُحَرَّمٌ يُسِيرُهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْ شَرِّهِ نَذِيرُهُ

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّهُ أَنْشَدَهُ أَبُوهُ :

وَإِذَا النَّيِّذُ عَلَى النَّيِّذِ شَرِبْتَهُ أَزْرَى بِدَيْنِكَ مَعَ ذَهَابِ الدَّرْهِمِ
وَأَنْشَدَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ :

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَحْفَظُونَ حَرِيمَهُمْ وَلَيْسَ لِأَصْحَابِ النَّيِّذِ حَرِيمٌ
إِذَا جِئْتَهُمْ حَيَوُكَ الْقَاوِرُ حَبِوَا وَإِنْ غَبَتْ عَنْهُمْ سَاعَةٌ فَذَمِيمٌ

وهو الجلد أربعون الى ثمانين او ثمانون وقوله وضحكة للصبيان لأن شأنهم
أن يجتمعوا على السكران لأنهم يرونه أقل منهم عقلا لذلك يعشون
به لأن عقولهم وان كانت صغيرة فهي على حالها اما هو فانه لا يفرق بين
شيء مطلقا وقد حكى لي من أثق به أن شخصا وقع من سكره فاجاء شاب وشرع
يقول عليه حتى عممه من رأسه الى قدمه فلما أحس بحرارة البول شرع
ينادي انسكب أيها المطر المبارك والناس تضحك منه وقوله «اسير للدبيان»
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار *

أَحَاطُ إِذَا مَا دَارَتْ الْكَاسُ بَيْنَهُمْ وَكُلُّهُمْ رِثَ الْوَصَالِ سَوْومُ
 فَهَذَا ثَنَائِي لَمْ أَقُلْ بِجَهَالَةٍ وَلَكِنْ بِحَالِ الْفَاسِقِينَ عَلِيمُ
 (فصل) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ (١) لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
 أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ
 الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وَقَالَ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا
 مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) وَقَالَ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
 مَا رَزَقْنَاكُمْ) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ (٢) يَمْدِيدهُ إِلَى

(١) قوله «طيب» أي مقدس عن النقائص والافات ومنزه عن العيوب
 والعياهات فلا يقبل من الأعمال إلا الحسن المقبول الموافق لأمره تعالى
 فهو الغنى المطلق منزّه عن الاحتياج في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله لا تنفعه
 الطاعة ولا تضره المعصية وإنما تنفع الطاعة فاعلمها وتؤذي المعصية مرتكبها
 فلا يقبل الله الأعمال الجري وفق أمره ويرفض كل ما جاء منكراً ويرد كل
 صدقة من مال حرام أي أنه لا يقبلها المعطية وأما هي فإنها محفوظة لصاحب المال
 الأصلي إن كان من أهل الخير وذو النية الحسنة لذلك قال (كلوا
 من الطيبات) وقال (ويحرم عليهم الخبائث) *

(٢) وقوله «يطيل السفر أشعث أغبر» الخ أي أن الرسول صلوات الله
 وسلامه عليه وعلى آله يعلمنا كيف يجب أن نحذر الذين يتخذون القيافة

السَّاءَ يَارَبَّ يَارَبَّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَغَدَى
بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يَسْتَجَابُ لَهُ ۝

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ «إِنَّ الْخَلَالَ بَيْنَ
وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَ ذَلِكَ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى
الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِعَرْضِهِ وَدِينِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ
كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْخِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ أَوْ إِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى
وَحِمَى اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مُحَارَمُهُ» (١) ۝

مظهر الزهد والتقوى كي يصطادوا الناس ليكونوا لهم عبيدا أو على الأقل
يكونون دعاة لنشر اسمهم وأنهم يستحقون التقديس والجلال لأن النفوس
مجبولة على حب المدح والاطراء وقوله «فاني يستجاب له» أي لو لم
يظهر وجوده من المال الحرام فينبغي لنا حينئذ إذا رأينا رجلا يظهر بمظهر
الصلاح أو الإصلاح أن نسأل عن ملبسه ومطعمه ومشربه فان رأيناه من
حرام فهو لاخير فيه أصلا بل يجب اجتنابه والتباعد عنه لأن مرضه قد يسرى
الى الاصحاء فيؤثر فيهم فلا يستجاب له وقد تعجب الرسول من استجابة
الله دعاءه لأنه يستهزئ بالله حيث ينهأ عن تناول الحرام فلم يكتف بذلك
حتى جعل العبادة شبكة للصيدف فكانت صلاته أضرم تركها على أنها لا فائدة
فيها ولذلك قال الامام أحمد رحمه الله من صلى في أرض مغصوبة أو ثوب حرام
أو حج بمال حرام فلا يصحان منه وتجب عليه الاعادة مستدلا بهذا الحديث وأمثاله
(١) قوله «الخلال بين والحرام بين» أي لا يخفيان على أحد وبينهما مشبهات

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ إِنَّهُ لَأَنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِي
فَأَجِدُ الثَّمَرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي أَوْ فِي بَيْتِي فَأَرْفَعُهَا لِأَكْلِهَا ثُمَّ أَخْشَى
أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ فَأَلْقِيهَا •

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ
لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ فَجَاءَ
يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ أَتَدْرِي مَا هَذَا ؟ فَقَالَ

لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ وَأَمَّا الْقَلِيلُ فَإِنَّهُ عَارِفٌ بِهَا وَفِي هَذَا رَدٌّ صَرِيحٌ عَلَى الْجَمَاعَةِ
الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ كَلِمَةِ الْبِدْعَةِ وَجَعَلُوا كُلَّ مَا لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبِدْعِ وَغَابَ عَنْ ذَهْنِهِمْ هَذَا الْحَدِيثُ وَلَيْتَ
شِعْرِي مَا مَعْنَى الْمَشْتَبِهَةِ حِينَئِذٍ وَلَوْ نَظَرْنَا إِلَى قَوْلِهِمْ بَعْدَ اعْتِرَافِ بَاقِي الْأَوَّلِ
الْإِثْمَةِ وَالْعِلْمَاءُ الْمَاضِي فَمَنْ يَأْتِيهِ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى « وَلَوْ رُدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ
وَالِى أَوَّلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » ، إِذَا تَسَاوَى النَّاسُ
كَلِمَةً فِيهَا مَا دَامَ فَهْمُهُمْ بِمَنْعِهَا وَهَلِ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَ هُمُ الزَّائِفُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْعَصْرِ
الْحَاضِرِ الَّذِينَ لَا يَفْهَمُونَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ فَضْلًا عَنْ الِاسْتَنْبَاطِ وَأَمَّا الْبِدْعُ مَا لَمْ
يَكُنْ فِي عَصْرِ الرَّسُولِ وَلَا أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَغَيْرِ دَاخِلٍ
تَحْتَ الْقَوَاعِدِ الْعَامَةِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَقَدْ تَكَلَّمَ الشُّوْكَانِيُّ
عَنِ الْمَشْتَبِهَاتِ بِكِتَابِ أَسْمَاءِ كَشَفِ الشَّبَهَاتِ عَنِ الْمَشْتَبِهَاتِ وَقَدْ نَشَرْنَا فِيهِ فَعَلِكُمْ بِهِ
(١) قَوْلُهُ « مِنَ الصَّدَقَةِ فَأَلْقِيهَا » وَهَذَا هُوَ الْوَرَعُ حَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّ بَيْتَ الْمَالِ
حَقٌّ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ لَا يَرِيدُ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِهِ رَغْمَ احتِجَاجِهِ بِأَنْ
يَشْتَرِكَ مَعَ غَيْرِهِ فِي هَذَا الْحَقِّ الْعَامِ

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَكُنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَمَا أَحْسَنَ السَّكْهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ فَلَقِنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ فَهَذَا
الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ قَالَتْ فَادْخُلْ أَبُو بَكْرٍ يَدُهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ ۝

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَرِبَ لَبَنًا
فَاجْتَبَهَ فَقَالَ لِلَّذِي سَقَاهُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا اللَّبَنُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى مَاءٍ
قَدْ سَمَاهُ فَاذَا نَعِمٌ مِنْ نَعِمِ الصَّدَقَةِ وَهُمْ يَسْقُونَ فَحَلَبُوهُ لِي مِنْ
الْبَانِهَا فَجَعَلْتُهُ فِي سِقَاتِي وَهُوَ هَذَا فَادْخُلْ عُمَرُ يَدُهُ فَاسْتَقَاهُ ۝

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي طَيْبٍ مَطْعَمِهِ أَنَّهُ كَانَ يَجَاءُ بِخَبْزِهِ فِي
جَرَابٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ۝

أَبْنَانَا الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ قَالَ يُوسُفُ بْنُ

(٢) قوله «تَكُنْتُ» أي تَسَكَّلْتُ صِنْعَةَ السَّكْهَانَةِ مَعَ أَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهَا
وَالسَّكْهَانُ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَالَمِ بِالْأُمُورِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي لَا يَدْرِيهَا إِلَّا الَّذِي لَهُ قَدَمٌ
رَاسِخٌ فِي الْعِلْمِ وَهُوَ وَالسَّاحِرُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَقَدْ يُلَاحِظُونَ إِلَيْهِ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ وَدَفْعِ
الشَّرِّ وَلِذَلِكَ خَاطَبُوا سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا قَالَ تَعَالَى (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا
السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عِندَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ) وَقَدْ كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ السَّكْهَانَةِ كَثِيرٌ كَشَقٍّ وَمُسْطَحٍّ وَغَيْرِهِمَا ۝

أَسْبَاطُ إِذَا تَعَبَدَ الشَّابُّ يَقُولُ أَبَلِيسُ انْظُرُوا مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ فَإِنْ كَانَ
مَطْعَمُهُ مَطْعَمَ سُوءٍ قَالَ دَعُوهُ لَا تَشْتَغَلُوا بِهِ دَعُوهُ يَجْهَدُوا وَيَنْصَبُ فَقَدْ
كَفَاكُمْ نَفْسَهُ هـ

وَعَنْ حَذِيقَةَ الْمَرْعَشِيِّ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى النَّاسِ يَتَبَادَرُونَ إِلَى الصَّفِّ
الْأَوَّلِ فَقَالَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَبَادَرُوا إِلَى أَكْلِ خُبْزِ الْحَلَالِ (١) هـ
وَعَنْ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَّاضٍ قَالَ سُئِلَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ فَضْلِ
الصَّفِّ الْأَوَّلِ فَقَالَ انْظُرْ كَسْرَتِكَ الَّتِي تَأْكُلُ مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُهَا وَصَلِّ فِي
الصَّفِّ الْآخِرِ هـ وَعَنْهُ أَيْضًا انْظُرْ دَرَاهِمَكَ مِنْ أَيْنَ هُوَ وَصَلِّ فِي

(١) قوله «أن يتبادروا إلى أكل خبز الحلال» لأنه حينئذ يستحق التقدم
فإن الحالم لا يجزأ على الأقدام على حكمة الأمان كان بريئا مطيعا لأمره
وأما المجرم فإنه لا يبرح خجلا من ذنبه والتقدم في الصف الأول معناه
تقدم أخوانه في الحضرة الإلهية لأن الصلاة وصلة بين العبد وربّه فهو في
مسابقته للصف الأول أثبت أن في عقله خللا لأنه ما زال يعتقد بأن الله
عالم بالخفيات كيف يجزأ على هذا ويظهر بمظهر التقى البار فهو قد تمسك
بالظاهر وهو الحث على الصلاة في الصف الأول وما يرى المسكين أن
المراد من ذلك هو التحقق بما يؤهله للوقوف في هذا المركز الخرج ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم عن ابن مسعود «وإني منكم أولوا
الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وهم الذين استعملوا عقولهم
فاطاعوا وأمولاهم وفهموا أما إذا يراد من الصلاة وهو النهي عن الفحشاء والمنكر

الصف الأخير (١) ٥

وَعَنْ سَرِي السَّقَطِيِّ أَنَّهُ كَانَ لَا يَأْكُلُ مِنْ بَقْلِ السَّوَادِ وَلَا مِنْ ثَمَرِهِ
وَلَا مِنْ شَيْءٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْهُ وَيَشْدُدُ فِي ذَلِكَ وَكَانَ غَايَةً فِي الْوَرَعِ (٢) وَمَعَ
ذَلِكَ قَالَ كُنْتُ بِطَرَسُوسَ وَكَانَ مَعِيَ فِي الدَّارِ فَتَيَانٌ يَتَعَبَّدُونَ وَكَانَ
فِي الدَّارِ تَنُورٌ يَخْبُزُونَ فِيهِ فَأَنْكَسَرَ التَّنُورُ فَعَمَلْتُ بَدَلَهُ مِنْ مَالِي
فَتَوَرَعُوا أَنْ يَخْبُزُوا فِيهِ *

ويلزم منه اتباع الأوامر وهؤلاء الذين حقهم المبادرة الى الصف الأول .
(١) قوله «وصل في الصف الأخير» اذا كنت اهلا للتقدم وحائزا على
رضاء الله تعالى ولا تأكل كل الا من الحلال فان تأخر الصورة لا يضر فان
القاعدة العربية إن تأخر الفاعل عن المفعول لفظا لا يضره فقد وقع في
أفصح الكلام قال تعالى : (واذا ابتلى ابراهيم ربه) فامير القوم اذا جلس
في أى محل شاء فان الاعين شاخصة اليه وان المتقى لربه هو أمير طبعا *
(٢) الورع كما قال صاحب النهاية : في الاصل الكف عن المحارم
والتخرج منه يقال ورع الرجل يرع ، بالكسر فيهما ، ورعا ورعة فهو
ورع ، وتورع في كذا ثم استعير للكف عن المباح والحلال ، واختلف القوم في
رسمه على أقوال قال ابن أدهم ، الورع ترك كل شبهة ، وقال يحيى بن معاذ
الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل ٥ وسأل الحسن البصري غلاما
فقال له . ما ملك الدين ؟ قال الورع . قال فما آفته . قال الطمع ، فعجب
(م-١٠ - مختصر شعب الايمان)

وَعَنْهُ قَالَ كَانَ أَبُو يَوْسُفَ الْغُسُولِيُّ يَلْزِمُ الثَّغْرَ وَيَغْزُو فَكَانَ إِذَا
غَزَا مَعَ النَّاسِ وَدَخَلُوا بِلَادَ الرُّومِ أَكَلَ أَصْحَابُهُ مِنْ ذَبَابِهِمْ وَفَوَّاهِهِمْ
وَهُوَ لَا يَأْكُلُ فَيَقَالُ لَهُ يَا أَبَا يَوْسُفَ أَتَشْكُ أَنَّهُ حَلَالٌ فَيَقُولُ لَا فَيَقَالُ
لَهُ فَكُلْ مِنَ الْحَلَالِ فَيَقُولُ إِنَّمَا الزُّهْدُ فِي الْحَلَالِ ۝

وَعَنِ السَّرِيِّ قَالَ رَجَعْتُ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي فَرَأَيْتُ فِي طَرِيقِي
مَاءً صَافِيًا وَحَوْلَهُ عَشْبٌ مِنْ حَشِيشٍ قَدْ نَبَتَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي يَأْسِرِي
أَنْ كُنْتُ يَوْمًا أَكَلْتُ أَكْلَةً حَلَالًا وَشَرِبْتُ شَرْبَةً حَلَالًا فَالْيَوْمَ
فَنَزَلْتُ عَنْ دَابَّتِي فَأَكَلْتُ مِنْ ذَلِكَ الْحَشِيشِ وَشَرِبْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ
فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ سَمِعْتُ الصَّوْتَ وَلَمْ أَرِ الشَّخْصَ يَأْسِرِي بَنَ الْمَغْلَسِ
فَالْتَفَقْتُ الَّتِي بَلَغَتْكَ إِلَى هَهْنَا مِنْ أَيْنَ هِيَ؟ فَقَصَرْتُ إِلَى نَفْسِي ۝

وَرَوَى عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَانَ يَطْلُبُ الْحَلَالَ فَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ فَدَلَّ عَلَى الْحَسَنِ

الحسن منه . وقال بعض السلف لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع
ما لا بأس به حذراً مما به بأس ۝ وقال بعض الصحابة . كنا ندع سبعين
باباً من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام ، وقد جمع النبي ﷺ
الورع كله في كلمة واحدة فقال ، من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه * وترك
ما لا يعنى هو ترك الفضلات كلها وفقنا الله وإياك لذلك ۝

الْبَصْرِيُّ بِالْبَصْرَةِ فَسَافَرَ إِلَيْهِ مِنْ بِلَادِهِ الْبَعِيدَةِ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ أَتَى رَجُلٌ
 وَأَعْظَمُ أَكْلٍ مِنْ هَدَايَا النَّاسِ وَضَيَافَاتِهِمْ لَمْ يَكُنْ أَدْلَكَ عَلَى رَجُلٍ بِبِلَادِ
 سِجِسْتَانَ تَرَاهُ فِي مَزْرَعَتِهِ لَهُ بَقَرَةٌ قَدْ جَعَلَ لَهَا فِي أَحَدِ طَرِيقَيْهَا تَبْنًا
 وَشَعِيرًا وَفِي الْآخِرِ مَاءً أَفَازًا وَصَلَتْ إِلَى التَّيْنِ وَالشَّعِيرِ عَرْضُهُمَا عَلَيْهَا
 وَإِذَا وَصَلَتْ إِلَى الْمَاءِ عَرْضُهُ عَلَيْهَا فَقَالَ فَتَوَجَّهَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ
 كَذَلِكَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَصَّ عَلَيْهِ حَالَهُ فَبَكَى الرَّجُلُ وَقَالَ قَدْ صَدَقَكَ الْإِمَامُ
 أَبُو سَعِيدٍ لَكِنْ زَالَ ذَلِكَ عَنِّي بِسَبَبٍ أَنَّ الْبَقَرَةَ عَبَرَتْ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى
 أَرْضٍ جَارِيَةٍ وَقَدْ اشْتَغَلْتُ عَنْهَا بِصَلَاتِي فَعَادَتْ إِلَى أَرْضِي وَقَوَائِمُهَا
 مُلَطَّخَةٌ بِطَائِفِهَا وَاخْتَلَطَ ذَلِكَ بِطِينِ أَرْضِي فَصَارَتْ شُبْهَةً عُدَّ إِلَيْهِ لِيَذْلِكَ
 عَلَى غَيْرِي وَبَكَى •

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَلَاءِ قَالَ أَعْرِفُ مِنْ أَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ سَنَةً لَمْ
 يَشْرَبْ مِنْ مَاءٍ زَهْمٍ إِلَّا مَا اسْتَقَاهُ بِرُكُوتِهِ وَرَشَائِهِ وَلَمْ يَتَنَاوَلَ مِنْ
 طَعَامٍ جُلِبَ مِنْ مِصْرَ شَيْئًا •

وَعَنْ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ الْحَافِي بْنِ عَلِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ الْمُعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرٍاءَ
 يَقُولُ كَانَ عَشْرَةٌ فِيمَنْ مَضَى مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَنْظُرُونَ فِي الْحَلَالِ النَّظَرَ

الشديد لا يدخلون بطونهم الا ما يعرفون انه من الحلال والا
استفوا التراب (١) ثم عبد بشر. ابراهيم بن ادهم. وسليمان الخواص.
وعلى بن فضيل بن عياض. واما معاوية الاسود. ويوسف بن
اسباط. وهيب بن الورد. وحذيفة شيخا من اهل حران. وداود
الطائي. وعد بشر عشرة. وعن يحيى بن معين المحدث قال
المال يذهب حله وحرامه يوما ويبقى في غد اثمه
وسئل سفيان الثوري عن الورع فانشد:
اني وجدت فلا تظنوا غيره هذا التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان هناك تقوى المسلم
وعن محمد بن عبد الكريم المروزي لما دلى يحيى بن اكرم القضاء
كتب اليه اخوه عبد الله بن اكرم من مرو وكان من الزهاد

(١) قوله «والاستفوا التراب» لعله اراد ما يخرج من التراب وهو العشب
والكلاب الذي يشبه التراب في بئسه والا فان اهل التراب حرام لاضراره
ولان فيه القاء النفس في التهلكة ولم يبح لنا الشارع عند الاضرار الميعة
الا لان التراب ليس معدا للاكل والا لو كان الاقيات منه تمكنا لما قال
الاما اضطررتم اليه قوله «وسئل سفيان» الخ هو زيادة من النسخة النورية.

وَلَقَمَةً بِجَرِيشٍ الْمَانِحِ تَأْظُهُمُ الذُّمُّ مَمْرَةٌ تُحْشَى بِزُبُورٍ
وَأَكْلَهُ قَرِيبٌ لِلْهَلَكِ صَاحِبَهَا كَبَّةُ الْفَخِّ دَقَّتْ عُنُقَ عَصْفُورٍ
وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَشِيمٍ أَنَّهُ اسْتَوْصَاهُ صَاحِبُهُ لَهُ عِنْدُودَاعِهِ فَقَالَ
أَوْصِيكَ أَنْ يَكُونَ عَمَلُكَ صَالِحًا وَتَأْكُلَ طَيِّبًا ۝

لَيْسَ التَّقِيُّ بِمَتَّقٍ لِأَهْلِهِ حَتَّى يَطِيبَ شَرَابَهُ وَطَعَامَهُ
وَيَطِيبَ مَا تَحْوِي وَتَكْسِبُ كَفَّهُ وَيَكُونَ فِي حُسْنِ الْحَدِيثِ كَلَامَهُ
نَطَقَ النَّبِيُّ لَنَا بِهِ عَنْ رَبِّهِ (١) فَعَلَى النَّبِيِّ صَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ
(٤٠) تَحْرِيمُ الْمَلَابِسِ وَالزِّيِّ وَالْأَوَانِي وَمَا يُكْرَهُ مِنْهَا
لِحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ « مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا
فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الْآخِرَةِ (٢) » ۝

(١) يشير إلى ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة وذكره المصنف رحمه الله تعالى صفحة ١٤٠ أرجع إليه إن أردت

(٢) وفي الباب أحاديث كثيرة منها ما رواه عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » متفق عليه فالأحاديث تدل على تحريم لبس الحرير لما فيها من النهي وتعليل ذلك بأن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، والظاهر أنه كناية عن عدم دخول الجنة . ولذلك قال ابن عمر ، والله لا يدخل الجنة واستدل

وَحَدِيثُ حُذَيْفَةَ « لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيَابَجَ وَلَا تَشْرَبُوا فِي
 آتِيَةِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صَحَافِهَا ، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ
 لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ » .

وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « أَنَّ اللَّهَ

على ذلك بقوله تعالى (ولباسهم فيها حرير) . ويشهد له أيضا ما رواه الشيخان عنه . إنما يلبس الحرير في الدنيا من لاخلق له في الآخرة . والخلق كما في شروح الحديث وكتب اللغة - النصيب . وقد أجمع المسلمون على التحريم ، وهذه الأحاديث إذا لم تفد التحريم فليس في الدنيا محرم ، ولم تنحصر الزينة عند أبناء الدنيا على الحرير فالهم ان يتزينوا بالجوخ والصوف والكشمير وغير ذلك من المباح النفيس ، ولا تلتفت الى قول في المذهب او رأى لبعض العلماء فان ذلك من اتباع الهوى ، ودسائس الشيطان ، والعادات القومية المخالفة للشريعة المحمدية ، واصرح منه في الدلالة على المنع مطلقا ما رواه البيهقي بسنده عن ابي اسحق قال دخلنا على عبد الله بن عمر وهو بالطحما ، فقلنا يا ابا عبد الرحمن ان ثيابنا هذه قد خالطها الحرير وهو قليل . قال اتركوا قليله وكثيره ، وبدل على صحة هذا ما روى عن علي رضي الله عنه قال : أهدى الى النبي ﷺ حلة سداها من حرير ولحمتها سيرة فارس بها الى فقلت ما صنعت بها ألبسها قال اني لا رضى لك ما لا ارضى لنفسى اجعلها خرا بين فاطمة امك وفاطمة ابنتي ، والسيرة هو من السيراء برود اليمن وهذا بالنسبة للذكور دون الاناث لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « أحل الذهب والحرير للاناث من أمي وحرم على ذكورها » رواه احمد والنسائي والترمذي ، وصححه وأبيح أيضا لعله الحكمة كما في كتب الفقه .

جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكَبِيرُ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ وَغَمَطَ النَّاسَ (١) *
 وَحَدِيثُ أَبِي بُرْدَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ ه قَالَ أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ
 كِسَاءً مُلْبَدًا وَازَارًا غَلِيظًا (٢) فَقَالَتْ قَبِضْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَيْنِ *

(١) البطر الطغيان عند النعمة . وهو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيدِهِ وعبادته باطلا : او يمنع عن الحق فلا يقبله * والغمط الاستهانة والاستحقار ووقع في الأصل اللبر بطر الحق وغمط الناس على حذف منه (٢) قوله كساء ملبدأ وازار أغليظا ليعلم أمته ان اللباس ليس هو عبارة عن الانسان الكامل المدرك بل جعل ذلك اللباس لوقايته من الحر والبرد ولا تأثير له على ما يحتويه الجسد ومن الحماقة المفاخرة في الالبسة واعتبار صاحبها لأن المرء يعلو بادراكه وعلو همته وشرف نفسه وكرم اخلاقه فان قيمة اللباس تزيد وتنقص بحسب دفعه البرد ووقايته الحر ومع أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان له في الدنيا كل ما يشاء ولكن ما كان يختار اللباس والغذاء الا الذي يوافق حالة الفقير متباعدا عن الكبر والخيلاء واتصافا بمعنى الانسانية المحضة وان الانسان لا ينبغي له التعاطف فان البشر ابناء شخص واحد ولا فضل لاحد منهم على الآخر الا بالعمل الصالح والناس مدينون لبعضهم فليس الامير غير محتاج الى احقر عاقل لأن الكناس لو لم يكنس داره للزم أن يكنسها بنفسه فاذا هو مدينون له لا يحق له التكبر وكيف يتكبر من خرج من مجرى البول مرتين وهو في حياته لا يبرح حاملا للعدرة والنجاسة ومصيره جيفة قدرة فمن أين يجيء اليه الغرور والكبرياء ؟ أم يلبسه أم مما يحمله في جوفه ؟ أم يفخر بمصير جسده في اللحد ؟ الكبرياء لله وحده

وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِيهِمَا «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا» *

(٤١) تَحْرِيمُ الْمَلَاعِبِ وَالْمَلَاهِي الْمُخَالَفَةِ لِلشَّرِيعَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :
(قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ) *

وَلِلْحَدِيثِ سَلِيمَانَ بْنِ بَرِيدَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
«مَنْ لَعِبَ بِالزَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمٍ خنزِيرٍ وَدَمِهِ (٢)»

(١) قوله «لا ينظر الله تعالى يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاً» لانه اعتقد انه فوق مرتبة البشر واستحق من كرمه تعالى ولم يعرف لنفسه قدراً لما ذكرنا سابقاً فان عمله هذا اعراض عن عبيد الله الذين هم اشرف المخلوقات فكان الجزاء من جنس العمل حيث لا ينظر الله اليه أعنى نظر رحمة فينال ما استسبه من الغرور والحقاقة (٢) قوله «من لعب بالزردشير» هو الزرد وهو اسم أعجمي معرب على ما قاله ابن الاثير وشير بمعنى حلو والمعروف في العصر الحاضر بالطاولة واستنادا الى هذا الحديث افنى معظم الفقهاء بحرمة اللعب فيها والحق الحنفية بالزرد الشطرنج وقالوا بانه مكروه تحريماً الا ابا يوسف فانه قال لا بأس به ولذلك يقول صاحب الوهبانية ولا بأس بالشطرنج وهي رواية عن الجبر قاضي الشرق والغرب توثر وأما الشافعية فقالوا بجواز لعب الشطرنج للعب كثير من سلف الأمة فيه لانه مبنى على التمرينات العقلية ويشبه ترتيب الحروب المطلوب تعلمها وتعلم كل ما يفيد فيها وكذلك كل الالعب العقلية بخلاف الزرد فانه مبنى على الصدق

(٤٢) الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل لقوله تعالى : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) ٥

تطلب عددا فيأتيك آخر ذلك قالوا انه مكروه تحريما ، وقوله «ثانيا صبح يده في لحم خنزير» وفي نسخة «فكانما غس» قال النووي في حال اكله منهم وهو تشبيه لتحريمه بتحريم اكلها به ويحتمل أن يكون تنقيرا من التضمخ بالنجاسة في حيوان حرم أكله بالنص القطعي والتضمخ بالنجاسة حرام مطلقا فكيف بمن هو أسوأ حالا من الكلب الذي جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة «إذا ولغ السكل في اناء احدكم فليغسله سبعا»

(١) قوله «الاقتصاد في النفقة» أي الاعتدال فيها فلا يسرف فيكون فقيرا باثسا عالة على الناس يتكففهم ولا يقتتر فلا ينفع الناس ولا يستفيدون من أمواله فيكون ضررا عليهم بالمسكين وذلك لأن كلا منهما يضايق الناس باخذ قسم من أموالهم الاول للصرف والاخر للجمع والكنز ، ولذلك قال تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك» فلا تصرف شيئا كأن يدك لا تصل الى الاموال . ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا» شاخصا بصرك إلى ما يمنحك به الناس من فضلات الصدقات وقد ورد في مسند احمد وسنن أبي داود عن جد عمرو بن شعيب قال قال رسول الله ﷺ «كل واشرب وتصدق من غير سرف ولا مخيلة» أي كبرياء فاباح الشارع الاعتدال والصرف ولكن بالطرق المشروعة وبشكل لا يجعله عالة على الغير فالاعتدال في كل أمر محمود وهو الذي قضت الشريعة

وَلَحْدِيثُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « نَهَى
عَنْ ثَلَاثٍ قِيلَ وَقَالَ (١) وَإِضَاعَةُ الْمَالِ وَالْخَافِ السُّؤَالِ » *

به في احكام الدين كافة عباداتها ومعاملاتها *

(١) قوله ونهى عن قيل وقال بالتنوين وفي رواية بغير تنوين حكاية
للفظ الفعل ورواية البخارى «وكره لكم قبيلا وقالا» على النقل من الفعلية
إلى الاسمية وهو الاكثر والمراد به نقل الكلام الذى يسمعه فاذا كان
مقصوداً لذاته أو لم يدر القائل بعينه قال قيل كذا وإذا أراد فاعلا بعينه
قال قال فلان كذا. فنهى النبي ﷺ عن ذلك لأن كثرة نقل ذلك تورث الزلل
إذا لم يكن النقل نفسه كبيرة كالغيبة والنميمة والأعمال المذمومة التى تورث
الفساد والتفرقة أو تسبب اللذنب الذى لعن الله قائله وهذا زجر منه
تعالى عن كل ما يحتمل أن تنجم عنه خطيئة أو يحصل منه ذنب أو عمل
يغضب البارئ تعالى ما وقوله « وإِضَاعَةُ الْمَالِ » هذا هو الشاهد للباب وذلك
بصرفه على غير الوجه المرغوب فيه شرعا لافرق بين أن يكون دينيا أو
دنيويا ولذلك وضعت الشريعة الحجر على المبدزين لإضاعتهم أموالهم
صورة وإلا ففي الحقيقة أنها أموال جميع المسلمين ولذلك خاطبنا بقوله تعالى
(وَلَا تَوَدُّوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالُكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ) فالله سبحانه
وتعالى كفنا عبادته وفي الوقت نفسه أمرنا بالعمل في الدنيا وعلمنا أنها مزرعة
الآخرة لا غنى لها عنها ولذلك جاء في آية الدعاء «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» إن دين الاسلام يبحث على الدنيا
كما يبحث على الآخرة إلا أن الفرق بينهما أن هذه لذاتها وتلك لغيرها ولذلك
فإن الشغل والعمل يعد عبادة وجهاداً في الحياة ليحفظوا للإسلام عزه
ولا يصح إضاعة المال بل يجب أن يسعوا ليكون لدى المسلمين أضعاف

مالدى الكفار كى لا يحصل اعتقاد فاسد فى نفوس ضعفاء المسلمين من قبل دسائس الاعداء من أن الاسلام لا يسمح للعمل ولا يبيح الثروة والصنائع ولهذا حذرنا الله من ذلك وعلمنا على طريق الدعاء فى قوله « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا » فقول المسلمين أنه فتنة يسبب احتقار المسلمين وقد وقع حتى أصبح أبناؤه يفرون من كل ما جاء به إذا لم يوافق أذواق الغربيين حتى أنهم ينكرون كتاب الله إذا لم يسلمه أعداء الدين . والاعراب أن بعض من يزعم الاسلام وأنه من حماته ينكر الجن لأن الفن لم يؤيده ولأنه لم يره ولا ندرى بعد أن نشرت المجلات الانكليزية قبل سنة وجود الجن واستدلّت بحادثة البنتين اللتين كانتا فى واد ، هل يصحح رأيه ويقول رجعت إلى كلام الانكليز لا إلى كلام رب العالمين ؟ أم يبقى مصرأ على عناده ولو أثبتته العلم الحديث . وهذا هى الحماقة بعينها حيث يعترف أن العلم فى تقدم فيؤول ويحرف كلام الله على الذوق الحاضر المعروض للتغير فى كل لحظة وهكذا شأن المغلوب تقليد الغالب فى كل شىء . *

وقوله « والخاف السؤال ، أى الاحاح فيه والتزامه فان ذلك حرام لأنه قد يسوقه إلى صدور ذنب أو ان الحدة يسوقه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى فيكون المالحف سبب الاثم وعليه الوبال والعقاب والاحلاف مذموم فى كل شىء حتى ولو فى النصيح والارشاد فقد قال تعالى لموسى وأخيه عليهما السلام حينما ارسلهما الى فرعون « فقل لاله قولنا لعلنا نذكر أو نخشى » *

وقد شرعت الدولة المصرية قريبا قانون منع التسول والقبض على كل متسول وزجه فى السجن معتقدة أنها جارت الدول الأوروبية فى ذلك وغفلت عن أن هذا هو الدين الاسلامى وباليها نسبت هذا القانون

(٤٣) تَرَكَ الْغُلَّ وَالْحَسَدَ (١) وَنَحَوَهُمَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى :
 (وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) •

الى القواعد الشريعة الاسلامية وتفاخر بذلك الدول الاوربية في أنه
 الدين الاسلامي •

(١) الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول وتكون له
 دونه فالحسد حسدان محمود ومذموم فالمحمود أن ترى عالما عاملا فقتشهى
 أن تكون مثله أو زاهدا فقتشهى مثل فعله وهو المسمى غبطة وقد تقدم
 والمذموم أن ترى عالما عاملا أو فاضلا أو تنظر الى ذى مال أو جمال أو
 جاه أو عافية فقتشهى أن يموت أو يزول ما فيه من الأوصاف •
 فالماؤن يغبط والمنافق يحسد وهو خلق ذميم مضر بالبدن مفسد
 للدين وهو مركوز في طباع البشر لأن الانسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه
 في شيء من الفضائل والناس على أقسام في ذلك فمنهم من يسعى في زوال
 نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل ومنهم من يسعى في نقل ذلك الى
 نفسه ومنهم من يسعى في ازالة نعمته عن المحسود فقط نسأل الله العصمة،
 فالحسد هو من أقبح الاوصاف لأنه يورث التفرقة والاختلاف مع أن
 تعاليم الدين الاسلامي أساسها أن يكون المسلمون كجسد واحد فالحاسد
 أتعب نفسه فيما لا يعود عليه من نفع لأن التمنى لا يكون سببا لاىصال المرء
 الى ما ربه فلم يحصل الا على العناء ومرض القلب وعصيان الرب وتعيب
 الجسد واشغال القلب وقد يستطيل عن العمل لما يجيش في نفسه بما يسبب

وَحَدِيثِ أَنَسٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» ٥

وَحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ «لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ يَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي

مرضه هذا اذا لم يسقه الحسد الى اعمال اخرى منكرة كالكذب والافتراء والتزوير وارتكاب جناية القتل فيكون قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، وما أحسن ما قاله بعضهم :

ألا قل لمن كان لي حاسدا أتدرى على من أسأت الادب
أسأت على الله في ملكه اذا انت لم ترض ما قد وهب
وقال بعضهم .

وأظلم خلق الله من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب

قوله «لَا تَبَاغَضُوا» لأن البغض يفرق كلمتكم ويطمع فيكم عدوكم ويوهن عزمكم ويضعف قوتكم ولا تحاسدوا فإنه يسبب لكم اضرارا يزيد على التباغض بل قد يكون سببا في اتلاف نفس الحاسد ولا تدابروا بأن يعطى كل شخص دبره أى ظهره لآخيه كأنه لا يعرفه مع أن بينهما المعرفة التامة والصلة القرية التي هي صلة الايمان قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا) بين أخويكم وكونوا عباد الله إخوانا) ينصرون بعضهم بعضا على الحق ولا تتركون يدأ غريبة تعبت بكم ؛ بقوله ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق

يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ « (١) »

وَبِهِ أَنْبَأَنَا الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) قَالَ هُوَ أَوَّلُ ذَنْبٍ كَانَ فِي السَّمَاءِ ، وَعَنْ الْأَحْنَفِيِّ بْنِ قَيْسٍ خَمْسَ هُنَّ أَقْوَالٌ لِأَرَاخَةَ لِحُسُودٍ وَلَا مَرُوءَةٍ لِكَذُوبٍ

ثلاث ليال « إشارة الى ان المرء اذا شغله عمله في نهاره فان الليل يذكركه بأن له صديقا أخلص له وهو اخوه في الله فلا بد ان يذكره خلال ليال ثلاث ليصلح معه اما مشافهة او مكاتبة لتزول الشحناء والبغضاء ، وفيه تحريم الهجران فوق ثلاثة أيام بالنص . ويباح في الثلاث بالمفهوم وحكمة ذلك أن الأدمى مجبول على الغضب ، فسومح بذلك القدر ، ليرجع ويذول ذلك عنه ، وهذا فيمن لم يحن على الدين جنانية . وأما من جنى عليه وعصى ربه وارتكب المخالفات . وتلبس بالبدع والسيئات فجاءت الرخصة في عقوبته بالهجران على الثلاث كالثلاثة المتخلفين عن غزوة تبوك فامر الشارع بهجرانهم فبقوا خمسين ليلة حتى نزلت توبتهم ، ولبعضهم : ياهاجرى فوق الثلاث بلا سبب خالفت شرع المصطفى أزكى العرب هجر الفتى فوق الثلاث محرم مالم يكن فيه لمولانا سبب (١) وقوله وخيرهما الذى يبدأ بالسلام « لأنه فهم معنى الأخوة الإسلامية فرجح العواطف والعصية ولم يكثرث بالعوائد والتقاليد فهو خيرهما ان رضى الطرفان لأنه البادى . والا فيكون افعال التفضيل على غير بابه ويبقى الخير منحصرا فيه وحده هذا فى المسائل الدنيوية واما فى الدين فالهجر يدوم ويجب دوامه حتى يرعوى ويتوب توبة صادقة »

(٢) قوله « لاراحة لحسود » لأنه يجد فى فؤاده شعلة نار تتاجج فهو متعب

وَلَا وَفَاءَ لِمُلُوكٍ وَلَا حِيلَةَ لِبَخِيلٍ وَلَا سُودَّ لِسِيٍّ الْخَلْقِ ۝

وَعَنِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ (١) مَنْ حَاسِدٌ لَهُ
نَفْسٌ دَائِمٌ . وَعَقْلٌ هَائِمٌ . وَحُزْنٌ لَازِمٌ . وَعَنْ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ الْحَافِي
الْعَدَاوَةُ فِي الْقَرَابَةِ وَالْحَسَدُ فِي الْجِيرَانِ وَالْمَنْفَعَةُ فِي الْأَخْوَانِ ، وَعَنِ
الْمُبَرِّدِ أَنَّهُ أَنْشَدَ :

الفكر والقلب حتى يسرى الى جسده ولا مروءة لكاذب لانه لا يستحي
من الله والناس ليستحي من الناس وحدهم والمروءة تتعلق بهم وحدهم
فهو لا يهتم بها ولا يبالي ، ولا وفاء للملوك لانهم يقدسون المنصب فهم
يتوهمون من كل شيء فالشبهة القليلة من اعز اصدقائهم تخيل اليهم
انه يريد اضراراً بعرشهم فيقبلون له ظهر المجن او يتلفون حياته
لانهم لا يرون فوقها مرتبة وغاب عن ذهنهم ان الملك هو خادم الرعية
والخدمة لا تستحق هذا النزاع الا اذا كان على ضرر بين بصيب المخدوم وهو
الرعية ، ولا حيلة لبخيل لان الحيلة قد تحتاج لدفع مال فهو لا تساعد نفسه على
بذل شيء لذلك لا يقدر عليها ولا على غيرها من الاعمال خشية على ماله من
الضياع او لاحيلة لبخيل في ازدياد ماله اذا أمسكه ولا سودد لسبيء الخلق لان
الناس تنفر منه ولا تريد مجالسته فكيف ترضى بسيادته ؟ قال تعالى لرسوله
(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم
وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله) ۝

(١) قوله ما رايت ظالما اشبه بمظلوم لما يصيبه من المضار والبلاء كما

عَيْنُ الْحَسُودِ عَلَىكَ الدَّهْرَ حَارِسَةً تَبْدَى الْمَسَاوِي وَالْأَحْسَانَ تَخْفِيهِ
يَلْقَاكَ بِالْبَشْرِ يُدِيهِ مُكَاشَّرَةً وَالْقَلْبُ مِنْكُمْ فِيهِ الَّذِي فِيهِ
إِنَّ الْحَسُودَ بِلَا جَرَمٍ عَدَاوَتُهُ وَلَيْسَ يَقْبَلُ عَذْرًا فِي تَجْنِيهِ

(٤٤) تحريم أعراض (١) النَّاسِ وَمَا يَجِبُ مِنْ تَرْكِ الْوَقِيعَةِ

فِيهَا لَقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ (١) فِي الَّذِينَ
آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ

جاء بعد ذلك في تفصيله من قوله نفس دائم لان الحسود يبقى يتنفس
الصعداء فهو لا يبرح نفسه يجرى بصورة غير اعتيادية كأنه ينفخ في شيء
وهذا آتوب غير يسير هـ

وقوله وعقل هائم لانه لو كان مدر كالعلم ان هذا العمل لا ياتيه بفائدة ولكن
هام أعز ما عنده فارتكب اقبح ما يقدر عليه وحزن دائم لان مجرد نمئيه
لا يزيل نعمة الآخر فالحزن ملازم له مادام المحسود حيا او مادام الحاسد
في قيد الحياة اى قبل ان يقيم الحسد عليه قانون العدالة فيبدأ به فيقتله هـ

(١) الأعراض جمع عرض بكسر فسكون وهو كما قال ابن الاثير موضع
المدح والذم من الانسان سواء كان في نفسه أو في سلفه أو من يلزمه أمره
وقيل هو جانه الذى يصونه من نفسه وحسبه ويحامي عنه أن يقتص ويثلب اهـ
(٢) قوله إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا الآية الفاحشة
والفحش والفحشاء كما قال الراغب: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال
ولإشاعة الفاحشة انتشارها وحب الفاحشة ولو بدون إشاعة لها قبيح

يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ (١) .

ولفاعل ذلك عذاب اليم تجاه هذا الحب المنافي للاداب الاسلامية والشرعية المحمدية فان الدين حثنا على حب بعضنا بعضا فقد روى الامام أحمد . والبخارى . ومسلم في صحيحيهما عن أنس ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولا شك أنه لا يجب أن تشيع الفاحشة في نفسه فاذن قد أراد لأخيه خلاف ما يرضاه لنفسه فلم يعمل بمقتضى التعاليم الدينية فاستحق العذاب الاليم في الدنيا لكل من علم فعله هذا المخالف للشروع والدال على انقطاع حبل الاخوة الدينية وفي الآخرة من العذاب الشديد . وهذا ابلغ من الزجر على الاشاعة لان المنع عن حب الشيء أمتع لفعله بالاولى فايحترز المؤمن على إقدام مثل ذلك ولكن مع الاسف إنها فعلة شنيعة قد عمت وانتشر بلاؤها فاصبحت لا يخجل منها مرتكبها ولا يعيبه الغير عليها لانهللال عرى الرابطة والجامعة ، فانا لله ولنا إليه راجعون .

(١) قوله «إن الذين يرمون المحصنات» الآية . المحصنات جمع محصنة العفيفة من الحرائر المتزوجات فمن أقبح العيوب وأشنع الفعال رمى العفيفات وذلك لانه يجوز أن ينخدع أحد المغفابين بقوله فيصدق في المؤمنة الغافلة ويسرى القذف إلى أبنائها فاراد الله أن يذوق بلاء ما جناها فامر بحده ثمانين جلدة وأن لا تقبل له شهادة أبدا لتكون ذكرى لعمله القبيح ولتكون ردها من احتمال بقاء القذف في مخيلة من ليس واقفا على القضية ولم يحضر إقامة (م-١١- مختصر شعب الايمان)

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَاحِبِ مُسْلِمٍ « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَسْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ » *

وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ « لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسْقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا وَارْتَدَّتْ عَلَيْهِ أَنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَهُ كَذَلِكَ » .

(٤٥) أَخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (١) وَتَرَكُ الرِّيَاءَ لِقَوْلِهِ

الْحَدِّ مَعَ اللَّعْنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِيَدُونَ بَعِيدًا عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِمَا افْتَرَفَ وَعَمَلٌ حَيْثُ ارْتَكَبَ ذَنْبًا قَدْ يَتَجَاوَزُ أَنْاسًا كَثِيرِينَ وَقَدْ يَحْدُثُ فِتْنَةٌ لَا تَسْكُنُ إِلَّا بَارَاقَةَ دِمَاءٍ كَثِيرَةٍ أَوْ تَوْجِبُ فَرْقَةً يَشُقُّ التَّائِمَهَا وَاجْتِمَاعَهَا *

(١) قَوْلُهُ « أَخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى » أَيُّ أَنَّهُ يَقْصِدُ بِطَاعَتِهِ أَنْ لَا يَشْرَكَ مَعَهُ أَحَدًا فَلَا يَفْعَلُ شَيْئًا لِأَجْلِ أَحَدٍ وَلَا يَتْرَكُ شَيْئًا مَرَاعَاةً لِأَحَدٍ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ هَذِينَ مِهْلَكَ وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمُ الْعَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ وَتَرَكُ الْعَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ كُفْرٌ وَالْإِخْلَاصُ أَنْ يَعْافِيكَ اللَّهُ مِنْهُمَا *

وَقِيلَ الْإِخْلَاصُ هُوَ أَفْرَادُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْقَصْدِ فِي الطَّاعَةِ وَتَصْفِيَةِ الْفِعْلِ عَنْ مِلْحَظَةِ الْمَخْلُوقِينَ ، فَالْمُخْلِصُ لِرِيَاءِ لَهُ ، وَالصَّادِقُ لِإِعْجَابِ لَهُ ، وَلَا يَتِمُّ الْإِخْلَاصُ إِلَّا بِالصِّدْقِ . وَلَا الصِّدْقُ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ

تَعَالَى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ (١) نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

ولا يتمان إلا بالصبر

روى أبو داود والنسائي بسند جيد عن أبي امامة قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله ﷺ لا شيء له فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله ﷺ لا شيء له ثم قال إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه، والله جل جلاله ينظر إلى اخلاص القلب وطهارته لا إلى ظاهر الجسم وحسن صورته لكن إذا كان الجسم والصورة في نظافة وجمال تبعاً لنظافة القلب وطهارته يكون أكل وأسعد، أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «ان الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»

وقوله «وترك الرياء» الخ وهو ترك الاخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه فترك الرياء شعبة من الشعب التي تبرهن على قوة الايمان وأنه لا يخشى عليه من التزعزع والتغير ذلك لانه فهم نفسه وأدرك معنى البشرية واستطاع أن يعقل علو رتبة مقام الربوبية فلم يره دل على أنه ملاحظ الذات العلية وهذا هو المطلوب بل هو عين الاخلاص الذي حث عليه الشارع

(١) قوله «من كان يريد حَرْثَ الْآخِرَةِ» أي أنه لا يريد أن تكون ثمرات أعماله غير ثواب الآخرة فإن الله سبحانه وتعالى يزيد له في حَرْثِهِ

وَزَيَّنَتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ
لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ، (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) ٥ وَلَحْدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ، فَمَنْ عَمَلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ
غَيْرِي ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ (١) وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ ٥ وَلَحْدِيثُ جَنْدَبِ رَضِيَ

لِيَكُونَ الثَّمَرُ وَقْتُ حَصَادِهِ عَظِيمًا حَيْثُ شَبِهَ الْأَعْمَالُ بِالْحَرْثِ الَّذِي هُوَ
الْقَاءُ الْبَذَرُ فِي الْأَرْضِ لَتَنْبِتَ أَضْعَافَهُ ، وَلَمَّا كَانَ اللَّهُ وَعَدَ عَلَى الْحَسَنَةِ جَزَاءَ لِي
سَبْعِمِائَةٍ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ يَضَاعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ أَيْ أَكْثَرَ مِنَ الْعَدَدِ الْمَذْكُورِ قَالَ
تَعَالَى نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ لِيَحْصِدَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الرِّضْوَانِ الْإِلَهِيِّ وَالْإِنْعَامَاتِ
الرَّبَّانِيَةِ فِي دَارِ الْخُلْدِ وَعَدَا مِنَ اللَّهِ حَقًّا . وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ حَرْثَ الدُّنْيَا نَوْتَهُ
مِنْ دُنْيَاهُ الَّتِي لَا تَسَاوِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ فِي التَّوْزِيعِ وَلَكِنَّهُ يَبْقَى
فِي الْآخِرَةِ مَحْرُومًا مِنْ نَصِيبِ النُّوَابِ وَهَذِهِ الْآيَةُ تَرُدُّعُ الْمَرْءِ الْعَاقِلِ عَنْ أَنْ
يَجْعَلَ الدُّنْيَا مَقْصُودَةً لِدَانِهَا فَيَقْصُرَ طَلِبُهُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهَا وَأَمَّا يَطْلُبُهَا لِكُونِهَا
وَسِيلَةً وَالطَّلَبُ الْمَقْصُودُ يَكُونُ مَحْصُورًا بِالْآخِرَةِ ٥

(١) قَوْلُهُ «أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ» لِأَنَّ اللَّهَ غَفَى عَنِ الْعَالَمِ وَعَنْ
عِبَادَتِهِمْ فَلَمَّا أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ فَأَمَّا لِعَقْدَانِهِ بِاحْتِيَاجِ اللَّهِ إِلَى الشَّرِيكِ وَهَذَا هُوَ
الْكُفْرُ وَأَمَّا أَنْ يَرَى أَنَّ الْغَيْرَ مَسَاوِيٌّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهَذَا هُوَ الشُّرْكَ فَلَا يَقْبَلُ
اللَّهُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ لِمَحْضِ الْعِبَادَةِ *

اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ « مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ يَرَانِي يَرَانِي
اللَّهُ بِهِ (١) » •

(١) قوله « من سمع » الخ يفتح السين المهملة والميم الثقيلة والثانية مثلها وقوله : « ومن يراني » بضم التحتية والمد وكسر الهمزة والثانية مثلها وقد ثبتت الياء في آخر كل منهما أما الأولى فللاشباع وأما الثانية فلذلك أو التقدير فإنه يراني به الله ووقع في رواية وكيع عن سفيان عن مسلم « من يسمع يسمع الله به » ومن يراني يراني الله به ، وفي الزهد لابن المبارك « من سمع سمع الله به ومن رامى رامى الله به ومن تناول تعاطا خفضه الله ومن تواضع تخشعا رفعه الله » ، وتعريفهم — ع — ع — ع تعريف الرياء لما ذكرناه في نفس هذا الباب الا ان السمعة تتعلق بالسمع والرياء يتعلق بالبصر أى من سمع في الدنيا فان الله يوم القيامة يسمع الناس ما نواه في دنياه فيفضحه ومن يراني يرى الناس ما كان عليه فيشهره ليكون عذابه ابلغ وعقابه اشد ، روى مسلم في صحيحه والنسائي والترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه عن ابى هريرة • قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان اول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لان يقال فلان جرى • فقد قيل ثم امر به فمسح على وجهه حتى القى في النار ورجل تعلم العلم وعلمه الناس وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت لي قال عالم وقرأت القرآن لي قال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى في النار ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت

أَبَانَا الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ « أَنَّ أَبَا عُمَرَ سُئِلَ عَنِ الْإِخْلَاصِ فَقَالَ
 مَا لَا يُحِبُّ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » * وَعَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 لَا يَعْرِفُ الرِّيَاءَ إِلَّا مُخْلِصًا ، وَلَا النِّفَاقَ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا الْجَهْلَ إِلَّا عَالِمًا
 وَلَا الْمَعْصِيَةَ إِلَّا مُطِيعًا (١) .

وَعَنْ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ كُلُّ مَا لَا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ يَضْمَحَلُّ وَعَنْ
 الْجُنَيْدِ لَوْ أَنَّ عَبْدًا أَتَى بِإِفْتِقَارِ آدَمَ وَزُهْدِ عِيسَى وَجَهْدِ أَيُّوبَ وَطَاعَةِ
 يَحْيَى وَاسْتِقَامَةِ إِدْرِيسَ وَوُدِّ الْخَلِيلِ وَخُلُقِ الْحَبِيبِ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ
 لَغَيْرِ اللَّهِ فَلَيْسَ اللَّهُ فِيهِ حَاجَةً * .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ يَسْرِىٍّ أَنْ يَكُونَ لِي فِي كُلِّ شَيْءٍ نِيَّةٌ حَتَّى فِي الْأَكْلِ
 وَالشُّرْبِ وَالنَّوْمِ (٢) * .

من سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفق في مالك : قال كذبت ولكنك
 فعلت لي قال هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار
 (١) قوله « لا يعرف الرياء الا مخلص » لبعده عنه فهو أدرى الناس به
 بخلاف من وقع فيه فهو لا يستطيع المشاهدة لاشتغاله فيه او انه اصبح
 يظنه هو الاخلاص وكذلك يقال في النفاق والجهل . حفظنا الله منهما
 (٢) قوله « حتى في الاكل » اي انه لا يجعل شيئاً في الدنيا مقصوراً لذاته
 وانما يعد كل ما في الدنيا آلة للآخرة فالأكل مثلاً للتقوى على عبادة الله

وَعَنْ سَفِيَّانٍ كُلِّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، قَالَ مَا أُرِيدُ بِهِ وَجْهَهُ (١)
وَعَنْ هَلَالِ بْنِ يَسَارٍ . قَالَ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِذَا
كَانَ يَوْمَ صَوْمٍ أَحَدُكُمْ فَلْيِدْهُنْ لَحِيَّتَهُ وَلْيَمْسَحْ شَفْتَيْهِ وَيَخْرِجْ إِلَى النَّاسِ
حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ بِصَائِمٍ وَإِذَا أُعْطِيَ يَمِينَهُ فَلْيَمْخُفْهُ عَنْ شِمَالِهِ وَإِذَا صَلَّى
أَحَدُكُمْ فَلْيَسْدِلْ سِتْرَ بَابِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْسِمُ الثَّنَاءَ كَمَا يَقْسِمُ الرِّزْقَ .
وَعَنْ ذِي النُّونِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَا أَخْلَصَ الْعَبْدُ لِلَّهِ إِلَّا أَحَبَّ
أَنْ يَكُونَ فِي جَبِّ لَا يَعْرِفُ * وَعَنْ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ عَنِ الْفَضِيلِ بْنِ
عِيَّاضٍ لَأَنْ أَكُلَ الدُّنْيَا بِالطَّبْلِ وَالْمِزْمَارِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُلَهَا
بِالْيَدِ (٢) * وَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِي أَسْتَاذِي رَبِيعَةُ
الرَّائِي يَا مَالِكُ مِنَ السَّفَلَةِ ؟ قُلْتُ مَنْ أَكَلَ بَدِينَهُ فَقَالَ مِنَ سَفَلَةِ السَّفَلَةِ
قَالَ مَنْ أَصْلَحَ دُنْيَا غَيْرِهِ بَفْسَادِ دِينِهِ قَالَ فَصَدَّقَنِي .

واللباس لحفظ البدن كى لا يمرض فلا يقوى على العبادة او لستر العورة
التي نهى الله عن كشفها والزواج كى يخرج منه ذرية سالحة تعبد الله
وحده وهم جرا وهذا هو الذى كان عليه السلف الصالح رحمهم الله .
(١) اى كل شىء اريد به وجه الله تعالى فهو باق وثابت وما اريد به غيره
فهو هالك وفان .

(٢) قوله ولان اكل الدنيا بالطبل والمزمار الخ لانه لم يغش أحدا ولم يفعل

وَعَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَخْسَرُ الْخَاسِرِينَ مَنْ أَبْدَى لِلنَّاسِ صَالِحَ أَعْمَالِهِ
وَبَارَزَ بِالْقَبِيحِ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝

وَعَنْ سَفِيَّانَ يَامَعْشَرَ الْقُرَاءِ ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ لَا يَزِيدُ الْخُشُوعَ
عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ فَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ
وَلَا تَكُونُوا عِيَالًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ۝

وَعَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ خُوفُوا الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْمُنَافِقِينَ بِالْسلْطَانِ
وَالْمُرَائِينَ بِالنَّاسِ

شيئا لم يخدع به احدا ولم يراء الناس بخلاف من ياطها بالدين فذلك قد جعله
مصيدة وشبكة وباطنه بخلاف ما هو عليه وأراد الله منه فاجيب بنفي أن تكون
احب على بابها إلا أن يريد بالدين أجره التعليم حيث أن زمانه استأثر فيه
ولادة الأمر على بيت المال ولم يبق لأهل العلم سهم فاصبحوا يتقاضون
الأجرة لأجل احتياجهم وإلا فإن الخداع بالدين لا يقول أحد بأنه يوازي
شيئا بل هو انقص النقائص واقبح العيوب ۝

(١) قوله «واجملوا في الطلب ولا تكونوا عيالا على المسلمين» يقال اجمل في
طلب الشيء تأدوا اعتدل فلم يفرط قال الشاعر الرزق مقسوم فأجمل في الطلب أي
اعملوا كما عليه قلوبكم ولا تخذعوا الناس وتجعلوا الملكم أن رزقكم لا يكون الا
من الصدقات والأوساخ بل ان القارىء يجب ان تكون همته ارفع
وعزيمته امضى فلا يدهن الناس ويجهد في ان لا يحتاج اليهم ليبقى معزز أمكر ما ۝
(٢) قوله «خوفوا المؤمنين بالله» لانهم لا يخافون سواه وخوفوا المنافقين

(٤٦) السُّرُورُ بِالْحُسْنَةِ وَالْإِغْتِمَامُ بِالسَّيِّئَةِ (١) لِحَدِيثِ جَابِرِ
ابْنِ سَمُرَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ «وَمَنْ
سَرَّهُ حُسْنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مَوْمِنٌ» *

(٤٧) مُعَالَجَةُ كُلِّ ذَنْبٍ بِالتَّوْبَةِ (٢) لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَتُوبُوا إِلَى

بِالسُّلْطَانِ لِأَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ أَذْرَ مِنْهُ . وَالْمَرَاتِينِ بِالنَّاسِ لِأَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ
سِوَاهُمْ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْ اللَّهِ قُوَّةً وَنِعْمَةً وَالْأَمَّا عِبَادُوا لِأَجْلِهِمْ
فَجَدِيرٌ بِأَنْ يَخُوفَ كُلِّ مَنْ الثَّلَاثَةُ مَا ذَكَرَهُ الْبَعْضُ رَحِمَهُ اللَّهُ *

(١) قوله «السُّرُورُ بِالْحُسْنَةِ» السُّرُورُ ضِدُّ الْحُزْنِ وَهُوَ لَذَّةٌ تَقَعُ فِي
الْقَلْبِ بِأَدْرَاكِ الْمَحْبُوبِ وَنِيلِ الْمَشْتَهَى فَيَتَوَلَّدُ مِنْ أَدْرَاكِ هَذِهِ الْحَالَةِ تَسْمَى سُرُورًا
كَمَا أَنَّ فَقْدَ الْمَحْبُوبِ يَتَوَلَّدُ مِنْهُ هَذِهِ الْحَالَةُ تَسْمَى الْحُزْنَ وَالْغَمَ . فَسُرُورُ الْعَبْدِ
بِالْحُسْنَةِ لِأَنَّهُ بَرَهَانَ عَلَى احْتِرَامِهَا وَإِنَّمَا مَحْبُوبَةٌ فِي نَظَرِهِ . مَبْجَلَةٌ لَدَيْهِ
وَعَلَى قَدْرِ تَعَلُّقِهِ بِالشَّيْءِ يَعْرِفُ مَقْيَاسَ حُبِّهِ ، وَالْإِغْتِمَامُ بِالسَّيِّئَةِ لِأَنَّهُ
دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا مَكْرُوهَةٌ لَدَيْهِ يَنْفَرُ مِنْهَا وَلَا يَرِيدُهَا فَيَغْتَمُّ لَهَا . كَمَا
يَغْتَمُّ لِمُصِيبَةٍ عَظِيمَةٍ وَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ الصَّادِقُ لِأَنَّ حُبَّ الشَّيْءِ يَبْعَثُ عَلَى
الْإِكْتِسَارِ مِنْهُ وَمُلَازِمَتِهِ أَوْ اتِّبَانِ أَفْضَلِ أَنْوَاعِهِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ
وَحَسَنِ خُلُقٍ وَكَرَاهَةِ الشَّيْءِ تَسُوقُ إِلَى النُّفْرَةِ وَالْبَعْدِ عَنْهُ فَيَجْفَلُ مِنْهُ
حَتَّى لَا يُمْكِنَ أَنْ يَغْشَى فِيهِ فَيَكْرَهُ كُلَّ الْمَوْبِقَاتِ مِنْ تَرْكِ الْعِبَادَاتِ وَمِنْ
الْحَسَدِ وَالْقُلِّ وَقَوْلِ الزُّورِ وَالسُّلْطَانِ وَالْفِتْنَةِ وَالْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ *

(٢) قوله «مُعَالَجَةُ كُلِّ ذَنْبٍ بِالتَّوْبَةِ» وَهِيَ إِتَابَةُ الْعَبْدِ إِلَى مَوْلَاهُ وَرَجُوعُهُ
إِلَى سَيِّدِهِ وَمَالِكِ أَمْرِهِ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ دِينِهِ فَيَقْلَعُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ أَرْتِكَابِ
الْمَعَاصِي أَوْ اجْتِنَابِ الطَّاعَاتِ مَعَ الْعَزْمِ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى تِلْكَ الْحَالَةِ
الْمَاضِيَةِ الَّتِي تَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا وَإِتَابٌ . لِمَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي السَّنَنِ أَنَّ رَسُولَ

اللَّهُ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَعْلَمُكُمْ نَفْلَحُونَ) «تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا»
«وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُوا إِلَهُ» الْآيَاتِ *

* وَلِحَدِيثِ أَبِي بَرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنِ الْأَغْرِي الْمُرْنِيِّ
فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ . وَسَمِعْتُ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرَهُمَا أَنَّهُ لَيَغَانُ . عَلَى قَلْبِي (١)
وَأَنِّي لَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ *

اللَّهُ ﷻ قَالَ «التوبة من الذنب أن لا يعود إليه أبداً» وعلامة صدق
التوبة من العبد أن يكون بعدها أحسن حالاً قبلها وإلا فلا معنى لها مادام
حاله لم يتحسن ومعاييه لم تنقص وطاقاته لم تزد بل هو يستخر بالدين
ويجعله العوبة لما روى مصنف الأصل فيه عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله ﷺ «التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر
من الذنب وهو مقيم عليه كالمستزىء بربه»

(١) قوله «انه ليغان على قلبي» الخ أى يحصل لقلبي غشاوة وذلك عند
انصرافه عن الحق الى الخلق لرؤية مصالح الامة وتدبير شئونها فيرى ذلك
انه غير الكمال الذى يتطلبه في وجوده بحضرة الانس القدسية فيرى ذلك
ذنبا لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين فيخشى ان يكون أضاع
من وقته ولو يسيراً والافان هذا الانصراف عين العبادة وفيه رضاء الله
ووظيفة الرسول التي ميزه الله بها «قل إنما انا بشر مثلكم يوحى الى» أى
بتبليغ الأحكام الالهية فاحتمال التقصير بحيث أن في امكانه أن يقوم بأكثر
مما أداه يجعله يخاف مقام ربه ويعد ذلك ذنباً فهو يستغفر الله من مثل
هذا في اليوم الواحد مائة مرة وإليه الإشارة في ثنائهِ ﷻ سبحانه

(٤٨) الْقَرَّائِينَ وَجُمَلْتُهَا الْهُدَى وَالْأَضْحِيَّةَ وَالْعَقِيقَةَ
 لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (فَصَّلْ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ - وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ
 اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ - وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَأَنَّهُ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)
 الْآيَاتُ (١) *

لأحصى ثناء عليك أنت كما ائثنت على نفسك . وهذا منه ﷺ تعلمنا لنا
 بأن الانسان ينبغي له أن لا يغتر بعمله فان الرسول الذي بشره الله تعالى
 بقوله « ووضعا عنك وزرك الذي انقض ظهرك » أى مما تراه وزرا وان لم
 يكن فى الحقيقة وزراً ولقوله تعالى « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
 وما تأخر » يخاف ربه هذه الدرجة فغيره ينبغي ان يكون أكثر واعظم خوفاً
 فىرى نفسه لم يكن شيئاً مذكوراً ويظهر بمظهر العبودية والتواضع
 والاخلاص لله تعالى .

(١) قوله « القرابين » جمع قربان وكان قربان الأمم السالفة ذبح
 البقر والغنم والابل ، وهى تقديم كل ما يتقرب به لله تعالى من الأنعام
 ولها أنواع كثيرة منها ما يكون لتحصيل الطاعة كما ذكره المصنف من
 هدى الحج والأضحية والعقيقة ومنها ما يكون توبة من الذنب وطهارة له
 كالذبح فى صيد المحرم والصيد فى الحرم أو لأجل الوطء فى أثناء الاحرام
 وكان اول قربان وقع هو مثلاً لبني آدم كما قصه الله علينا فى سورة المائدة
 بقوله « اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر » الآية فاذن
 هو من الشرائع القديمة التى جاء الاسلام به موافقاً لها لان شرع من قبلنا
 ليس شرعاً لنا . وقوله « الهدى » هو ما يسوقه الحاج من ابل او بقرا وغنم ليزبحه
 بعد رمى جمرة العقبة وكما فعل النبي ﷺ حيث ساق مائة من الابل ذبح

وَلَحْدِثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحَابِيِّينَ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُضْحِي بِكَبْشَيْنِ أَقْرَيْنِ أَمْلَحَيْنِ (١) وَلَقَدْ
رَأَيْتُهُ يَضَعُ رِجْلَهُ فِي صَفَاحِهِمَا وَيَسْمِي وَيَكْبِرُ . وَفِي رِوَايَةٍ وَلَقَدْ
رَأَيْتُهُ يَذْبَحُهُمَا بِيَدِهِ (٢) .

(٤٩) طَاعَةُ أُولَى الْأَمْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) قِيلَ هُمْ أَمْرَاءُ السَّرَايَا وَقِيلَ هُمُ الْعُلَمَاءُ
يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَامًّا لِهَئَانِ كَانَ خَاصًّا فَبِأَمِيرِ السَّرَايَا أَشْبَهُ (٣) .

منها ثلاثا وستين وامر سيدنا عليا كرم الله وجهه ان يذبح البقية ومعه
هدى وهو انه يذبحه المتمتع بالعمرة الى الحج كما ذكره الله بقوله : فما
استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم
تلك عشرة كاملة ، ومثال المتمتع القارن وهو الذي احرم بالحج والعمرة معا
وقوله « والاضحية » هي اراقه دم من النعم في يوم عيد الاضحية
في ايام التشريق الثلاث عند الشافعي وعند مالك واني خفيفة تمتد يومين
بعد العيد وهي سنة عند جميع الائمة الا ابا حنيفة فانه قال بوجوبها على
مالك النصاب ، وقال مالك سنة واجبة يقتل على تركها أهل البلاد اذا تركها جميعهم
وقوله « والعقيقة » هي ما يذبح يوم سابع ولادة المولود فابعد وشروطها
كشروط الاضحية من حيث السن والعيب وكذا من النعم لكن هذه الاولى
فيها الطبخ وتلك توزع نيئة (١) قوله بكبشين تذنية كبش والاقرن هو الذي له قرنان
والاملاح الابيض الخالص وقيل الذي يخالط بياضه شيء من السواد
(٣) قوله « طاعة اولى الامر » لان فيها جمع كلمة المسلمين وعدم اعطاء

وَلَحْدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ ۝ مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ يَطْعُمِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِ
الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي (١)

بجبال للتفرقة التي هي سبب تمزق شمل الامة وتسيطر العدو عليها فان
الاختلاف اذا حصل في جيش غالب ينقلب مغلوبا وما انقسم جماعة الا
ضعفت قوتهم ووهن عزهم وطمع فيهم عدوهم وكانت الدسائس قدما
ما تحاك بالمسلمين ليحصل ذلك وقد وقع فاصبحوا العوبة بيد غيرهم مستعبدين
في الارض وهذا هو الخسران العظيم . لكن الطاعة مقرونة بما ليس
معصية اما المنكرات فلا تجوز فيها الطاعة . روى الامام احمد في مسنده عن
عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »
وفي الصحيحين . وسنن ابى داود . والنسائي عن علي كرم الله وجهه قال قال رسول
الله ﷺ لا طاعة لمخلوق في معصية الله انما الطاعة في المعروف ، فاذن
الطاعة مقيدة بما لا يخالف المشروع والمقصود من اولى الامر هو الذي
يدبر امر العامة وينظر في شؤونها ورضيت الامة به اميراً عليها
فصلته قيادها ۝

(١) قوله « ومن يعص الامير فقد عصاني » حيث قد شرط الشارع طاعة
الامير في غير معصية فاذن انه عبارة عن لسان الشريعة المتكلم بها فعصيان
عصيان للشريعة . وهذا ما قاله ابوبكر : اطيعوني ما اطعت الله ولان المسلمين
لا امير عندهم حقيقة وانما هو صوري موهوم ولهذا قال تعالى (فان تنازعتم
في شئ فردوه الى الله والرسول) فالحاكم الحقيقي هو الشرع ولذلك جعل
الشارع طاعة الامير طاعة رسوله وطاعة الله لانه لا يأتي من عند نفسه بشئ
فالخارج على الامام لغير غرض شرعي غايته اضعاف المسلمين وتغلغل

وَلَحْدِيثُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا يَا أَبَا ذَرٍّ اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ
عَبْدًا حَبَشِيًّا مَجْدَعِ الْأَطْرَافِ (١) *

الفساد والشقاق فيهم أو لأجل أن يسيطر عليهم عدوهم وهذا هو النفاق بعينه
أو لأجل أن ينال زعامة وهذا هو الضلال لأنه كان يجب أن يكون عوناً لأميره
مادام يمثل الاسلام . اما وقد عصى فهذا هو الغنى والخسران لأنه تبع هوى
نفسه وأراد اضرار المسلمين وكلا الخصلتين مذموم صاحبه مؤاخذ عند الله
تعالى . اللهم وفق ولاة امور المسلمين لطريق الصواب . اللهم أرهم الحق حقاً
وارزقهم اتباعه وأرهم الباطل باطلا وارزقهم اجتنابه وألغ في قلوبهم ادراك
دسائس الغرب وما ينوي به من العدا للمسلمين والقضاء على البقية الباقية لقد
استفحل أمره بالفساد والافساد ولم يبق لنا ملجأ الا قدرتك يا غياث المستغيثين
(١) قوله «ولو مجدع الأطراف» غاية فيما لورأى الأمير تولية عبداً سودود ولاية
يرجى منه ان يؤديها بصدق فتجب طاعته حيثئذ لان طاعته طاعة للأمير . ولكن
هذا منتج الاضرار وتمزيق شمل المسلمين الاحرار الان هذه كالفرضيات
لضرورة قد تحصل نادرا لا بمعنى أن يكون أمير المؤمنين والافان تفريق
كلمة المسلمين لاظهار الغناء والفساد وبيان الصافي خير من هذه الامارة التي
تدل على ان المسلمين لم يبق فيهم خير يرجى والاستسلام لمثل ذلك هو الضلال
وبسوء فهم مثل هذه الاحاديث التي هي عبارة عن فرضيات محضة استغلها الامراء
ولاسيما في الدور العباسي ففقد المسلمون عزة النفوس وأضاعوا الالباب والشمم
وأصبحوا كما تراهم لا يحجمون عن الذلة ولا ينفرون عن الاهانة كما أنهم ليسوا
أبناء أولئك الاسلاف الامجاد الحماة الذين دوخوا العالم واخضعوا كل
معاند ولم يقف امام تيارهم قوة مهما جلت وعظمت فسبب جان من يغير ولا

(٥٠) التمسك بما عليه الجماعة لقوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (١) *

ولحديث أبي هريرة في صحيح مسلم « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية » (٢) *

يتغير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم *

(١) قوله « التمسك بما عليه الجماعة » فان الخروج عن طريقهم مروق من الدين فقد قال تعالى : (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً آتت منهم في شيء) ومن الغريب ان الدسائس لعبت في المسلمين حتى اصبحوا يسعون أنفسهم بالفرقة عن طريق الدين ظناً منهم ان هذا من الدين وان الله تعالى يرضى عنه. ولكن هذا ينشأ غالباً من دعاة السوء اعوان الغرب وايديه العاملة واما من الجهل فيلعب به أولئك السفلة لتفريق قوى المسلمين فيتنازعوا بينهم فيضعف امرهم ويظهروا دخائلهم ويضطر احدهم بحكم الانتصار للنفس لى يغلب خصمه ان يستعين بعدو آخر فيقع الاثنان في شبكته وتكون له صفقة رابحة وغنيمة باردة وقد حصل ذلك ولا تزال الايام تنهض بهذه الحوادث وهي كل يوم في ازدياد انا لله وإنا اليه راجعون

(٢) قوله « فقد مات ميتة جاهلية » لانه لم يرض بما عليه المسلمون ولم يقبل تحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله فهو اتبع عصيته وحميته ونفخ الشيطان في أذانه فصار يستحق غيره وهذه هي الجاهلية بعينها فحقه ان يموت عليها كما كان المشركون قبل الاسلام لان الرسول قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد كما رواه البخاري فاذا رام جعله اجساداً وافرأداً فقد خالف الرسول ينبغي بذلك ان تضحل قوى الاسلام ويتغلب عدوهم عليهم

وَحَدِيثَ عَرَفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الْجُهَنِيِّ فِي مُسْلِمٍ أَيْضًا «سَتَكُونُ بَعْدِي
هَنَاءٌ وَهَنَاءَةٌ فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ يَفْرُقُ أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاقْتُلُوهُ
كَأَنَّا مِنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ»

(٥١) الْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (١) «وَإِذَا حَكَمْتُمْ

بَخْرُوجِهِ عَنِ الطَّاعَةِ حَيْثُ فَتَحَ الْبَابَ لغيرِهِ فَيَكْثُرُ الْفَسَادُ وَيَنْتَشِرُ الزَّعَاوُ
وَالْخِصَامُ فَيَصْبَحُ الْمُسْلِمُونَ فَوْضَى كَمَثَلِ جَسَدٍ وَلَا رَأْسَ لَهُ فَهَلْ تَرْجُو لَهُ
الْحَيَاةَ أَوْ يَأْمَلُ أَحَدٌ مِنْهُ عَمَلًا وَقَوْلُهُ (مِيتَةٌ) بِكسر الميم هـ
(١) قَوْلُهُ «فَاقْتُلُوهُ كَأَنَّا مِنْ كَانَ» لِأَنَّهُ سَوَاءٌ نَبِيَّتُهُ قَدْ تَحَقَّقَتْ عَمَلِيًّا فِي إِظْهَارِ
الشُّرُورِ وَالْفِتَنِ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا الشَّارِعُ بِقَوْلِهِ : هَنَاءٌ وَهَنَاءَةٌ فَلَا جَزَاءَ لَهُ إِلَّا
الْمَوْتُ لِأَنَّهُ فَسَادُهُ بَالِغٌ دَرَجَةٍ يَشُقُّ مَعَهَا الْإِصْلَاحُ فَاتْلَافُهُ اسْتِكْثَانٌ لِقَتْنِ
وَفِيهِ مَنْفَعَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ كَيْ لَا يَقْتَدُوا بِعَمَلِهِ الْمُهْلِكِ وَصَلَاحٌ لَهُ أَيْضًا
لِأَنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ دَارِ التَّسْكِينِ كَيْ لَا تَكْثُرَ سَيِّئَاتُهُ لِأَنَّ أَنْوَاعَ الْمُطَهَّرَاتِ
أَفْضَلُهَا السَّيْفُ لِأَنَّهُ لَا يَتْرُكُ مَجَالًا لِبَقَاءِ الْجَرَائِمِ الْقَاتِلَةِ وَالسُّمُومِ الْمُتَلَفَةِ
فَهُوَ الْعِلَاجُ النَّافِعُ *

(٢) قَوْلُهُ «وَالْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ» لِأَنَّ الْحَاكِمَ قَوَامُ الدُّنْيَا وَالْقَضَاءُ
رُكْنُ الدَّوْلَةِ فَإِذَا فَقِدْتَ الْعَدْلَ أُمَّةٌ فَقَدْ أَصْبَحَتْ عَرْضَةً لِلْفَسَادِ وَالْفِتَنِ
وَالْفَوْضَى وَصَارَ أَعْرَاضُهُمْ وَأَمُورُهُمْ لَهَا
الَّذِي يَرُدُّ أَرْبَابَ الْفَسَادِ عَنْ نَوَايَاهُمْ الْخَبِيثَةِ هُوَ عَدْلُ السُّلْطَانِ فَإِذَا زَالَ
فَلَا مَلْجَأَ لِلضَّعِيفِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَحْتَ رَحْمَةِ الْقَوَى وَهَنَّاكَ تَفْسِيكَ عَرَى
النِّظَامِ وَتَسْوَدُ الْفَوْضَى لِأَنَّ الْمَظْلُومَ إِذَا كَانَ غَيْرَ وَائِقٍ مِنْ عَدَالَةِ الْقَضَاءِ
فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ مَرَاجَعَتَهُ لِكَيْ يَنْتَصِفَ لَهُ مِنْ تَعْدِي عَلَيْهِ أَوْ يَسْتَحْصِلَ حَقَّهُ الْمَهْضُومَ

مِينَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ (وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيًّا)
(وَأَقْسُطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الْآيَاتِ هـ

وَلَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ
رَجُلًا آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ وَآخَرًا آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً
فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعْلِمُهَا» هـ

(٥٢) الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ (١) لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

وَالظَّالِمَ آمَنَ عَلَى نَفْسِهِ إِذَا اسْتَحْضَرَ الْوَسَائِطَ الْإِلَازِمَةَ مِنْ تَشْرِيكَ فِي
الْمَحْصُولِ أَوْ بَذْلِ مِنَ الْأَمْوَالِ أَوْ مَسَائِلَ أُخْرَى أَدْرَى النَّاسَ بِهَا الَّذِينَ
مَارَسُوا الظُّلْمَ وَعَرَفُوا كَيْفَ يُسْتَبَدُّ بِأَمْوَالِ النَّاسِ بِلِ النَّاسِ أَنْفُسَهُمْ
إِلَى أَنْ صَارَتِ الْأَمَّةُ عَرْضَةً لِمَا وَقَعَتْ فِيهِ لِأَنَّ الْأَمَّةَ الَّتِي فَقَدَتْ حُكْمَهَا
الْعَدْلَ فَهِيَ لَيْسَتْ صَالِحَةً لِلْبَقَاءِ وَإِنْ طَالَ أَمَدُ حُكْمِهَا إِنْ الْأَرْضَ يَرْثُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ الَّذِينَ لَا يُضِيعُ الْحَقَّ بَيْنَهُمْ وَلَا يَشْدُونَ أَرْزَاقَ الظَّالِمِ مَعَهُمَا كَانَ
قَوِيًّا وَيَنْصُرُونَ الظَّالِمَ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا بِأَنسَا هـ

(١) قَوْلُهُ «الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» . وَذَلِكَ لِأَنَّا قُلْنَا إِنْ
الْإِنْسَانُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْشِيَ مُنْفَرِدًا بَلْ لَا يَدُلُّهُ مِنَ الْاجْتِمَاعِ ضَرُورَةٌ لِتَوْقُفِ
نَجَاحِ أَعْمَالِهِ عَلَى الْمُسَاعَدَةِ وَقَدْ تَسَوَّقَ النَّفْسُ الْأَمَارَةَ صَاحِبِهَا إِلَى أَنْ
يَرْتَعِ فِي ارْتِكَابِ الْمَوَاقِفِ وَالْمَجَاهَرَةِ بِالْمَحْرَمَاتِ غَيْرِ مُلْتَفِتٍ إِلَّا إِلَى مَا يَحْصُلُ
لَهُ مِنَ اللَّذَّةِ مُنْدَفِعًا بِسُكْرِ الْغَالِبَةِ أَوْ ثَمَلًا بِخُمرةِ الظُّفْرِ وَالْقُوَّةِ لِأَنَّ مِنْ

(م-١٢) - مختصر شعب الإيمان

(وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وَقَوْلُهُ : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) وَقَوْلُهُ

المعلوم أن الناس متفاوتون في العقول والادراكات والاجسام والقوة
والضعف فلولم يجد له رادعا يمنعه عن غيه وزاجراً يحول دون أن يشط
في طريق الضلالة والاضرار بالناس فان كل ما يحول بخاطره من المنكرات
لا يتأخر عن عمله لافتحاح باب الفوضى على مصراعيه فهذه المضار التي
ذكرناها لا يكفل دفعها الا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانه الزاجر
الذي يمنع الجاهل عن ركوب سبل الغواية وبسيه تزول عقبات الشرور
في الدنيا ولا يصيب أولئك القوم غضب الله تعالى مادام الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر موجودا راجحاً هـ

لو أمعنا النظر في ذلك لوجدنا أن حالة المسلمين اليوم ما وصلت الى هذا الحد
الا لما لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فقد روى الترمذي وأبو داود
عن أبي بكر الصديق قال يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية « يا أيها الذين
آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » واني سمعت رسول الله ﷺ
يقول « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم
الله بعقاب من عنده » اهـ هـ

وروى الأصمباني عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لا تزال
لا اله الا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها
قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها قال يظهر العمل بمعاصي الله
فلا ينكر ولا يغير » اهـ * هـ

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ) إِلَى قَوْلِهِ : (الْأَمْوَالُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّأْهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ) الْآيَاتِ هـ وَقَوْلِهِ : (لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لِبَسِّ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (وَالْقُرْآنُ مُشْحُونٌ بِهِمَا) *
 هـ

وروى الحاكم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ انه قال « اذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم » اهـ . وقد ذكر الله من أسباب خيرية هذه الأمة قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وكان سبب لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ما قاله تعالى : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبس ما كانوا يفعلون » وقد أصبحنا في مثل هذه الحالة يفاخر العاصي بذنبه والجاني بجرمه ومامن معارض ولا منازع بسبب اسم الحرية والترقي كي لا تكسر عواطف من يرتكب تلك الفعل الشنعاء اما الطعن في الدين فانه لا ينافي الحرية لأن المؤمنين او المتدينين لاحق لهم في هذه الحياة وكسر عواطفهم وإهانة معتقداتهم لا تعد جريمة ولا ذنبا تواخذ عليه القوانين الحاضرة فانا لله وانا اليه راجعون *
 وللصحابة رضوان الله عليهم أجمعين اليد الطولى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أذكر لك نموذجا منه لتقتدى بهم وتسير على منهاجهم هـ

قال حذيفة بن اليمان : دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فرايته مهموما حزينا فقلت: ما بهمك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم تعظيما لي فقال له حذيفة: والله لو رأيتك خرجت عن الحق لتهينك فإن لم تنته ضربتك بالسيف قال: ففرح عمر وقال الحمد لله الذي جعل لي أصحابا يقوموني إذا اعوججت *

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول: لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليسلطان الله عليكم سلطانا ظالما لا يحل كبركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم *

وقال الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه: من نهى عن المنكر وشأن الفاسقين وغضب اذا انتهكت حرمان الله غضب الله تعالى له، وعنه أيضا كرم الله وجهه قال: سيأتى على الناس زمان يكون منكر المنكر فيه أقل من عشر الناس ثم يذهب العشر بعد ذلك فلا يبقى أحد ينكر منكرا * وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه: سيأتى على الناس زمان يكون صالحهم فيه هو من لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر فيقول الناس ما رأينا منه الاخير الكون لم يغضب الله تعالى *

وعلى كل انسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى الاشياء التى يستوى فيها العالم والجاهل كالزنا وشرب الخمر والربا والغيبة والنميمة والكذب والحلف بغير الله وصفاته والاعتماد على غير الرازق تعالى وأذى الناس واعانة الظالم وترك الصلاة والزكاة والحج الى غير ذلك مما شاع عليه لكل فرد سواء نفعت الذكرى أم لم تنفع وعليه حمل (ان) فى قوله تعالى: (وذكر ان نفعت الذكرى) على معنى (قد) وقد أجاب سفيان الثوري رحمه الله تعالى حينما سئل يا أمر الرجل من يعلم أن لا يقبل منه فقال نعم ليكون ذلك معذرة له عند الله تعالى، وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول: ذهب المعروف يبكى وجاء المنكر يضحك ثم يفسد:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنسكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلاف يزكى بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور
فانظر أيها القارئ الى هذه الصفات الحميدة وما كان عليه السلف من
الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعرض صفات العلماء والوعاظ
المرشدين في هذا العصر — الذي ارتقى الوعاظ فيه الى أوج الكمال على
زعمهم — على ما سمعت لتعرف هل هم ممن ينكر المنكر إذا رآه أو سمعوا
به حقيقة أولا؟ وهل هم ممن يحبهم الله تعالى أولا، وهل نصرُوا شريعة نبيهم
المعظم محمد رسول الله ﷺ أو أعرضوا عنها وهل هم ممن أناط نظره
بالدعوة الى مصالح المسلمين عامة بقطع النظر عن المسائل المذهبية ومشارب
رؤساء الصوفية لكونهم يزعمون انهم من الدعاة الى الله تعالى بحكم النيابة والوراثة
النبوية . وليتهم فعلوا مثل ما يفعل الاجانب من الدعاية للحزب والعقيدة
كما هو واقع الآن في ألمانيا واسبانيا وإيطاليا وروسيا . ولصديقنا الأستاذ المحب
الخطيب مقالة هنا تكتب بما اذهب احببت أن أسردها حرصا على المنفعة العامة قال
إن نجاح الوعاظ الاسلامي منوط بسعة نظره الى الاسلام ، وإدراكه
جليل أغراضه واستيعابه الصورة التي يريد بها الاسلام للامة التي تنتمي
اليه وتسلك سبيله .

هل سمعت بوزارة الدعاية في دولة النازي التي أسسها هتلر؟ انها أهم
وزارة في دولته، ويعتبرونها قوام حياة الألمان وصخرة نجاتهم . والقائمون
بها — من الوزير الى الألوف من رجاله وأعيانه — هم الذين فهموا
الشكل الذي يراد إفراغ الامة به ، ودرسوا الاساليب التي تتبع في توجيه
الجمهير نحو غاياتها العليا، وقد بدأوا بانفسهم فآمنوا بما يدعون اليه وكانوا اقوة
للناس في تفاصيل ذلك لا يخرجون عنه في شيء من ظواهر أحوالهم وبواطنها .
ان الوعاظ في الاسلام هم القائمون له بمثل ما تقوم به وزارة الدعاية
ورجالها لدولة النازي في أيامنا .

أ لبر غلطة ارتكبتها بعض المنتمين الى الصوفية من الوعاظ ربطهم

الناس بالاشخاص لا بالمبادئ ، فصار أتباعهم . ومن سرت اليهم عدواهم يعرفون الحق بالرجال وكان يجب ان يعرفوا الرجال بالحق ، انقادوا للرجال يسرون من ورائهم أصابوا ام اخطأوا ، ولو عودهم السير وراء المبادئ ومع من ينزل على احكامها لبقينا كما كنا في الصدر الاول اهل قوة ومنعة واستقامة ، لان الرجال يعترضهم التغير ويقعون في الخطأ . وأما المبادئ الصحيحة فانها لا تتغير ولا تخطئ . والاسلام لا يعرف العصمة الا للانبياء فيما يبلغون عن الله لان الله عز وجل لما ناط بهم الامانة العظمى اسبغ عليهم حلة الكمال الانساني صيانة لها . اما العلماء والشيوخ والمرشدون فانهم عباد الله يخطئون ويصيبون . فما وافقوا به نصوص الاسلام ومبادئه التي قررها الشارع ﷺ ودعا الامة اليها فعلى المسلمين اتباعهم فيه . وما خالفوا فيه النصوص الصحيحة الظاهرة . والمبادئ الثابتة الواضحة . فعلى الامة ان تكون مع المبادئ والنصوص تأخذ بما وافقها وتعرض عن خالفها .

ومن اهم واجبات الواعظين في الاسلام تعليق آمال الناس بالخالق دون الخلق في جميع المعاني . فمن اعتقد ان النفع والضرر بيد الله يستحيل عليه ان يطيع مخلوقا في معصية الخالق . ومن اعتقد ان النفع والضرر بيد الله يستحيل عليه ان يستخذى لمستعمر . ومن اعتقد ان النفع والضرر بيد الله يستحيل عليه ان يضحي شيئا من الدين لشيء من الدنيا . والامة المسلمة اذا استطاع الواعظون ان يجعلوا هذا خلقا من اخلاقها كانت بذلك خيرا مما تعمل وزارة الدعاية في دولة النازي على توجيه الامة الالمانية له . ولكن الشرط الاساسي لنجاح الواعظين في حمل الامة الاسلامية على هذا الخلق ان يبدأ الواعظون بانفسهم فيحملوها على التخلق به ، فان لم يفعلوا فان اقوالهم المعسولة في تحسينه للناس لا تجدى نفعا والناس يتعظون

من طريق أبصارهم أكثر مما يتعظون من طريق أسماعهم .

ومن اهم واجبات الواعظين في الاسلام مقاومة العصبيات الحزبية والاقليمية والجنسية وتوثيق الاخوة المحمدية بين المسلمين ، ورياضة نفوسهم على السخاء في سبيل ذلك بالنفس والمال حتى يؤمن الاغيار بأن المسلمين عادوا — كما كانوا — كأنهم البنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . ويجب أن يكون الوعظ في هذا الموضوع عن ايمان به ويقين ، لاسترسالا مع أساليب الصنعة . وقد وجدنا الايمان بهذا المعنى معينا لمخرجى المدارس المدنية من أعضاء مؤسسات شبان محمد ﷺ على اقناع الناس به بأسر مما يقتنعون به بوعظ الوعاظ . ولقد فعل اولئك الشباب في نشر دعوتهم الطاهرة باقصر مدة مالم يفعله الواعظون في دهر طويل .

ومن اهم واجبات الواعظين أن يجعلوا الامة امة صدق وانصاف . فان اصح العقائد واجمل العبادات اذا اتصف بها المسلمون ولم يكونوا في بيوتهم واسواقهم وسياساتهم واعمالهم امة صدق وانصاف ، فانهم يظنون حجة على الاسلام في نظر من يحمله من غير المسلمين .

اما اذا عادوا الى الصدق والانصاف فجعلوهما من اخلاقهم الدينية وعلم الاغيار ان ذلك اثر من آثار الاسلام في اخلاق اهله . فان دعوة الاسلام تنتشر بذلك بين غير المسلمين أكثر مما تنتشر بالمناظرات المعلة والجدل العقيم . ومما لا شك فيه ان الصدق والانصاف اللذين اتصف بهما المسلمون الاولون كان لهما من الاثر في انتشار الاسلام وذبوع لغة القرمان مالم يكن لاي مؤثر آخر . ولقد كانت الامم تدخل في دين الله لما ترى من اثر هذا الدين في اخلاق اهله . اما الجدل فكان المسلمون في الصدر الاول ابعد الناس عنه لانه اخو المراء وقد دلت التجربة على انه يصد عن الحق أكثر مما يقرب اليه .

وَلَحْدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُتَّكِرًا
فَلْيُغَيِّرْهُ يَدَهُ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ
أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» (١) *

وبعد فإن الواعظ حكيم الامة : يتحرى مواطن ضعفها ويبدأ بنفسه
فيجردها عن اسباب ذلك الضعف . ثم يدعو الى ذلك بسيرته اولا وبايقاظ
الامة بعد ذلك الى ما يترتب على استجابتها لدعوته من مصالح لها في دنياها
ودينها . ولو كنت واعظا الرسمت في ذهني ما يجب ان تكون عليه الامة الاسلامية
بين الامم . ولحاوت ان اجعل من نفسي نموذجا للرجل في تلك الامة وان
امة يكثر فيها الائمة والواعظون على هذه الشاكلة لا تلبث ان تاتم بهم في
اخلاقا كما تاتم بهم في صلاتها ومن عادة الله في المسلمين اذا كونوا كيانهم
على الاخلاق ان يجعلهم ائمة للامم في اقرب وقت واوجزه وتلك من
معجزات دينهم التي لا يعرفها التاريخ لغيرهم .
اللهم وفق علماءنا وامرانا الى ازالة المنكر والذب عن حياض
الشريعة المطهرة .

(١) قوله « فان لم يستطع فبقلمه » وذلك لانه يدل على انه كاره له
ولكن ليس عنده من النفوذ ما يزيله ولا من القوة ان يتكلم فيه ومعنى
بقلمه ان يتقاعد عن فاعله ويتخلى عنه ولا يقربه ولا يجالس له الا فاما معنى
الكرهه ؟ مادام معه موافقا له بالصورة الظاهرة التي عليها مدار احكام
الشريعة الغراء بل ان الانتقال الى المرتبة الثالثة لا يصح الا بعد عدم تمكنه
من اداء الاولى فالثانية فلا يظن احد ان مجرد الكراهة وهو جالس في وسط
المنكر يجدي فيه فعلاً فمعاذ الله ان يصح ذلك بل لابد من مغادرة المجلس

وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِيهِ أَيْضاً «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي
 أُمَّتِهِ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ فِي أُمَّتِهِ حَوَارِيْرُنَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ
 وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا
 يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ
 جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ
 ذَلِكَ مِنَ الْإِيْمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ (١) » *

وترك صحبة أهله والانسحاب عنهم لا تقطاع العلاقة الحقيقية ولا سبواؤه
 لا يقدران بتفوه معهم ببيان ما هم عليه من المعاصي فيمثل هذه الحال تجب النفرة
 منهم زجرا لغيرهم وتاديباً لهم عسأهم يتوبون بما يقتربونه من الذنوب
 والآثام وينبغي ان يكون النصيح بما يلائم حالة العاصي من لين وشدة فقد
 قال تعالى يعلم موسى عليه السلام كيفية الارشاد في دعوة فرعون «فقلوا
 له قولاً ليناً لعله يتذكر او يخشى» فاذا كان اللين يكفي فالشدة لا تجوز
 واذا كان السر يكفي فالجاهرة غيبة او ذم محرم ولهذا قال الامام الشافعي
 من وعظ اخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد ذمه وشانه
 والحديث أخرجه أيضاً احمد والنسائي والترمذي وابن ماجه عن ابي سعيد
 (١) قال الراغب في مفرداته : الحواريون أنصار عيسى عليه السلام قيل
 كانوا قصارين وقيل كانوا صيادين ، وقال بعض العلماء انما سموا حواريين
 لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم المشار اليه بقوله
 تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)
 قال وانما قيل كانوا قصارين على التمثيل والتشبيه وتصور منه من لم

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ
عُرْوَةَ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ حَبِيبَةَ عَنْ أُمِّهَا أُمِّ حَبِيبَةَ عَنْ
زَيْنَبَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ «اسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَوْمِهِ حَمْرًا وَجْهَهُ
وَهُوَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَبَلَ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ
فَتَمَحَّ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ (١) مِثْلَ هَذَا وَحَلَقَ حَلَقَةً بِأَصْبَعِيهِ
الْأَبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا قَالَتْ زَيْنَبُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَهَلَكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ

يَتَخَصَّصُ بِمَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ الْمُهَنِ الْمَتَدَاوِلَةِ بَيْنَ الْعَامَةِ قَالَ وَأَمَّا كَانُوا
صَيَادِينَ لِأَصْطِيَادِهِمْ نَفُوسَ النَّاسِ مِنَ الْخَيْرَةِ وَقَوَّاهُمْ إِلَى الْحَقِّ قَالَ ﷺ :
الزَّيْبَرُ بْنُ عَمْتَى وَحَوَارَى ، وَقَوْلُهُ ﷺ : لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارَى وَحَوَارَى
الزَّيْبَرُ قَشِيهِ بِهِمْ فِي النَّصْرَةِ حَيْثُ قَالَ : (مَنْ أَنْصَارَى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) *

وَقَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْأَثِيرِ الْحَوَارِيُّونَ أَصْحَابُ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْ
خُلَصَائِهِ وَأَنْصَارُهُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ التَّحْوِيرِ التَّيْبِيزُ قِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَصَارِينَ
يَحْمَرُونَ الثِّيَابَ أَيْ يَبْيِضُونَهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَالْخُلُوفُ — بَضْمُ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةُ — جَمْعُ خَلْفٍ — بِاسْكَانِ اللَّامِ —
وَهُوَ الْخَالْفُ بَشَرٌ وَأَمَّا بِفَتْحِهَا فَهُوَ الْخَالْفُ بِخَيْرٍ هَذَا هُوَ الْأَشْهَرُ فَاذْكُرْهُ
النُّوَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى *

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ . الْخُلْفُ بِالْتَحْرِيكِ وَالسَّكُونِ كُلٌّ مِنْ يَجِيءُ بَعْدَ مَنْ
مَضَى الْأَنَّهُ بِالْتَحْرِيكِ فِي الْخَيْرِ وَبِالْتَّسْكِينِ فِي الشَّرِّ اهـ (١) يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
مِلَّتَانِ عَظِيمَتَانِ هَمَانَسَعَةُ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ عَلَى مَا حَكَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا *

قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ» (١) *

وَبِهِ أَنْبَأَنَا الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ
(وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)
فَإِذَا الْيَوْمَ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ وَحْيٍ مِنَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ *

وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ بِقَرْيَةٍ أَنْ تُعَذِّبَ فَضُجَّتِ
الْمَلَائِكَةُ وَقَالَتْ إِنْ فِيهِمْ عَبْدُكَ فَلَنَا قَالَ أَسْمَعُونِي مِنْهُ صِيحَةً فَإِنَّ
وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ يَوْمًا غَضِبًا لِمَحَارِمِي (٢) * وَرَوَى ذَلِكَ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ

(١) قوله « نعم إذا كثر الحبث » وذلك لأنه دليل على أن الفساد قد
عم فأصبح الصالح غير مرئى ولا باستطاعته أن يقوم بالأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر في الأحوال الثلاث لأن السكراة بالقلب معناها النفرة
من ارتكاب تلك القباحة فإذا اعتزله المؤمنون فإنه يتألم أما إذا كثر الحبث
فإن المسلمين تقل حينذاك ولا يتأثر من أبعادهم وحدهم فيحصل الهلاك وإن
كثر الصالحون قال الله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)
والحبث — بفتح الحاء المعجمة والباء الموحدة — قال النووي وفسره
الجمهور بالفسوق والفجور ، وقيل المراد الزنا خاصة وقيل أولاد الزنا
والظاهر أنه المعاصي مطلقا اهـ ، واقتصر ابن الأثير على قول الجمهور
(٢) قوله « فإن وجهه لم يتمعر يوما غضباً لمحارمي » مما يدل على أنه
يرجع الدنيا على الآخرة فهو وإن كان لم يرض بالأعمال المنكرة إلا أنه

صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ *

وَعَنْهُ أَيْضًا اصْطَلَحْنَا عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا فَلَا يَأْمُرُ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَلَا يَنْهَى بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَلَا يَذَرُنَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا فَلَيْتَ شِعْرِي أَى عَذَابٍ يَنْزُلُ ۝

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: كَانَ يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعْذِبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ وَلَكِنْ إِذَا عَمِلَ الْمُنْكَرُ جَهَارًا فَلَمْ يَنْكُرُوهُ اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ كُلَّهُمْ (١) ۝

ليس عنده من الايمان ما يجعله يذكر على من خالف المشروع او ينفر منه فان اصحاب السبت لم ينج منهم الا من امر بالمعروف ونهى عن المنكر أما الفريق الذى لم يرض بالمنكر ولم ينه عنه فانه غير ناج بدلالة قوله تعالى: «وَاذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون فلما عتروا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فترى ان البارئ تعالى لم ينج منهم الا الذين ينهون عن السوء لانهم المؤمنون حقاً العاملون بايمانهم اعتقاداً وقولاً وعملاً *

(١) قوله « فلم ينكروه استحقوا العقوبة كلهم » ذلك لان ما علم من الدين بالضرورة لافرق فى المسؤولية عنه بين العالم والجاهل والخاصة والعامة لانه لا يحتاج الى علم فالعقوبة تشمل الجميع ولا تستثنى أحداً ماداموا متفقين على عدم انكار المنكر *

(٥٣) التَّعَاوُنُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (١) •

وَلَحْدِيثِ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرْهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا فَقَالَ مَنَعَهُ مِنَ الظُّلْمِ فَذَلِكَ نَصْرُكَ لِإِيَّاهُ » (٢) •

(١) قوله «التعاون على البر والتقوى» لأنه ينتج عن معرفة الإيمان ووحدة المؤمنين فإذا صدقوا بما اعتقدوه فلا بد لهم من التعاون الذي يمثل الاتفاق والصداقة أو فناء الفرد في ضمن المجموع ولكن أن يكون على البر والتقوى ليدل على أن هذا السعي المتحد غاية رضا الباري تعالى والا فان مجرد الاتفاق ولو على الباطل فانه يمثل الطمع والغايات الدنيئة أو المنافع الذاتية ولكن البر والتقوى هو الوسيلة لحصول رضا الباري تعالى ويحق للعامل به أن يسمى المؤمن حقاً فهو يساعد أخاه اذا ظلم برده عما ارتكبه وباستحصال حقه اذا كان مظلوما كما قال الرسول الأعظم ﷺ وكل أمة فقدت التعاون فان زوالها مقرر والحكم عليها بالاعدام لا ريب فيه أصلاً وان عز الاسلام لا يكون بمكن الاعادة الا متى تعاون المسلمون على البر والتقوى ليكون الحاسم للنزاع شرع الله وكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة رسوله الذي من أطاعه فقد أطاع الله • (٢) بين مسلم في صحيحه سبب ورود هذا الحديث قال «اقتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنأدى المهاجري بالمهاجريين ونأدى الأنصاري بالأنصار فخرج رسول الله ﷺ فقال ما هذا دعوى أهل الجاهلية قالوا يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما

(٥٤) الْحَيَاءُ ۝ حَدِيثُ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَعْظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ (١)» ۝

الآخر فقال لا بأس ولنصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً فإن كان ظالماً فلينبهه فإنه له نصر وإن كان مظلوماً فلينبهه ۝

(١) «الحياء» هو انقباض النفس من شيء وتركه حذراً من اللوم فيه وقيل حقيقته خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق وهو نوعان نفساني وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة والجماع بين الناس، وإيماني وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفاً من الله تعالى قاله السيد الشريف وطبعاً فإنه يختلف بحسب قوة الإيمان وضعفه ولكن في غير ما لا يحمد فيه الحياء كتحصيل العلم فإن الحياء سبب في استتباب أمر الجاهل وعدم رواج سوق العلم بين الجماعة الذين يأفكون من الجلوس لأجل العلم أو يسأل من يعتقد أنه دونه أو يخشى أن يسمع الناس أنه لا يعلم أو يخجل من السؤال ۝

روى البخاري في صحيحه عن مجاهد «من استحيا في طلب العلم كان عليه قريناً قليلاً» وفي صحيح البخاري أيضاً قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه «تفقهوا قبل أن تسودوا» . ومعناه أحرصوا على اتقان العلم والتمكن في تحصيله وأنتم شبان لا أشغال لكم لا راسة ولا شيء يعقب بطريقكم فانكم إذا كبرتم وصرتم سادة متبوعين امتنعتم من التفقه والتحصيل، وهذا نحو ما قاله الشافعي رضى الله عنه تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه اهـ . كلام الامام النووي في بستان العارفين المطبوع حديثاً في ادارتنا للطباعة المنيرية، والحياء المطلوب قد جمعه الحديث الذي رواه الترمذي عن عبد الله بن

وَحَدِيثَ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا «إِنَّ الْحَيَاءَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ» ٥

وَحَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا أَيْضًا قَالَ «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ (١)» ٥

وَحَدِيثَ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأَوَّلَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْ

مَسْعُودٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ قَالَ قُلْنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنَا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَاوَعِي ، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى وَلِتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» ٥

(١) العذراء - بالمد - جمعه عذارى - بفتح الراء وكسرها الجارية البكر التي لم يمسه رجل ، والخدر - بكسر الخاء المعجمة وإسكان الدال المهملة - ناحية في البيت يترك عليها ستر فتكون فيه الجارية البكر خدرت فهي مخدرة وجمع الخدر الخدور أفاده ابن الأثير وسميت عذراء لبقاء عذرتها وهي جلدة البكارة أولضيقها من قولهم تعذر الأمر إذا ضاق ، ولا شك أن العذراء التي تربي فيه أشد حياء من التي تخالط غيرها أو تكون داخلة خارجة وقوله «وكان إذا كره شيئا» الخ لأن وجه الرسول ﷺ كالشمس والقمر

فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ * (١)

(٥٥) بِرِ الْوَالِدَيْنِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (٢) (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

فاذا كره شيئا لم يصرح بكرهه لشدة حياته .
ولكن يظهر في وجهه أثر كراهيته له كالغيم على النيرين كما أن المخدرة يعرف أثر رضاها وكراهتها في وجهها ولا تحتاج الى التكلم بذلك بحضرة الناس ، وفيه ان الحياء من الاوصاف المحمودة المطلوبة ، واستشكل بعضهم قوله ان الحياء لا يأتي الا بخير بأن الحياء قد يفرض بصاحبه حتى يمنعه من القيام بحقوق الله تعالى ومعلوم أن هذا لاخير فيه وأجيب بان هذا ليس بحياء حقيقة وانما هو خور ومهانة .

(٢) قوله « فاصنع ما شئت » فانك الآن في الدنيا قد منحت عقلا وادراكا وارادة واختيارا بحيث تستطيع معرفة طريق الخير والشر وايدت بما جاء من الشرائع بواسطة الانبياء من الاحكام التي تساعدك على سلوك الخير » فلك ان تفعل ما تشاء وهذا تهديد ومعناه ان مردك الينا وما دام الحياء لم ينفعك بشيء فسوف ترى ماذا يحل بك من الغضب الالهي والنقمة التي ستحل بك حيث لم تخش الله ولم تتقه وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .

(٢) قوله « بر الوالدين » وذلك لانهما سبب حياته فالبر على الاقل يكون تجاه ما قاما به من الحل كرها والوضع كرها والتعب والترية والسرير والعناء الطويل والنفقات فان ذلك لا يقابل بشيء من البر ولا سيما وكنا يعملان ذلك ويتمنيان لك الحياة والسعادة بحيث يفرحان لفرحك ويحزان لحزنك ويمرضان لمرضك فانت لو فعلت مثل ما فعلا فانك تريد موتهما لتسريح من تعبهما وحيث تعارضا فالوالدة تقدم لأن حقها ثابت بتعيين

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا
أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا
وَاخْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرًا) الْآيَات *

وَلَحْدِيث عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ قَالَ:
« سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيَّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ
لَوْ قَهَرْتُ قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَالَ حَدَّثَنِي بِهِ وَلَوْ اسْتَزِدَّتْهُ لَزَادَنِي » (١) *

والوالد مظلون ومو كول الى ثقة والدتك ودرجة امانتها ودينها ولذلك
لما نزلت آية يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال عبد الله بن سلام اني لا اعرفك
اكثر من ولدي لاني لا ادري ماذا تفعل امه واما انت فان الله حافظك
ولانها اضعف جانباً وأعجز عن الكسب غالباً فحقها مقدم ولحديث
« الجنة تحت أقدام الأمهات » نقله السيوطي في الجامع الصغير ورواه القضاعي
والخطيب عن أنس، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال « قال رجل يا رسول الله من
أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك »
(١) فيه دليل على ان احب الاعمال الى الله عز وجل الصلاة في وقتها
المحدد لها شرعا ومعنى احب افضل واقرّب وهذا لا ينافي ما جاء بان افضل
الاعمال ايمان بالله عز وجل لان كلا بحسبه فالإيمان من الاصول التي لا تقبل

(٥٦) صَلَّةُ الْأَرْحَامِ (١) لَقَوْلُهُ تَعَالَى (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢) هـ

الفروع كالصلاة وغيرها الإبه وذلك بالنسبة للأشخاص لذلك فالشجاع الأفضل له بعد أداء الواجبات الجهاد وهكذا نال الله الهداية

(١) قوله : «صلة الأرحام» جمع رحم وهم الأقارب ويقع على كل من يجمعك وإياه نسب من جهة الذكور أو من جهة النساء وهي في الصحيحين عن عائشة عن النبي ﷺ قال : «الرحم متعلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله» ، فصلة الرحم واجبة وقطيعتها عدا عن الحرمة إذا لم يكن لسبب مشروع فإن فيه دلالة على مروق الفاعل من الانسانية لأنه إذا كان لا يعطف على أقاربه فقسوته على الأباعد لا يصفها قلم أصلا بل أن ما يظهر منه من الألفة للغريب عبارة عن خداع ومكر يغش بها الناس وإنما قلنا ذلك لأن الإنسان يتمرن على الشفقة والوصلة بالأقارب فالجيران فالأصدقاء فإخوان الوطنية فإخوان الدين ، وأما الشفقة الانسانية فالتحقق فيها لغير الأنبياء ضرب من الخيال فإن النبي ﷺ لما عاد من الطائف بعد أن آذنته ثقيف وقريش لم يدع عليهم بل قال : «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» هـ

(٢) قوله : «فان عسيتم إن توليتم» الآية أي إن تأمرتم وجعل الأمر بيدكم ولم تعملوا وفق الشرع الاسلامي الا انور أن تفسدوا في الارض

وَلَحْدِثِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فِي الصَّحِيحِينَ «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْطَلَ لَهُ
فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يَنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» ٥

باطلاق العنان لأنفسكم وارتكاب الموبقات تروى بالمشهورات والهوى
تقطعوا أرحامكم حيث تغرم الولاية ولا يوجد لديكم دين يردعكم
ولا يسلم من شركم أحد لأن من لا يصل رحمه لا يرحم البعيد أصلاً فكيف
بمن يقطعه وأتى به من باب التفعيل ليفيد التكرار لأنه لا وازع يصد عنه
عمله فهو يظن نفسه أن قد خرج عن نطاق الإنسانية وأصبح ممتازاً عن
البشرية لهذا يتكبر أولاً على عائلته ويقطع الاتصال بقرابته فمع الغرابة
أكثر ولذلك أن نجح الظالم فلا يلبث إلا يسيراً ثم يزول ويضمحل فإن
الظلم لا يدوم والحق باق وإن استضعف وإن تصادف فلا يقدر الباطل على
أقل صدمة تحصل من جانب الحق والحقيقة «وقل جاء الحق وزهق
الباطل إن الباطل كان زهوقاً» ٥

(١) قوله «وإن ينسأ له في أثره» الخ أى يؤخر أجله قال في النهاية
الأثر الأجل وسمى به لأنه يتبع العمر قال زهير :

والمرء ماعاش محدود له أمل لا ينتهى العمر حتى ينتهى الأثر
وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له أثر ولا يرى
لأقدامه في الأرض أثر اه ٥

ولاشك أن التأجيل المراد به هنا هو أن تحصل في عمره بركة بحيث يراه
طويلاً ويستفيد منه في الأعمال الخالدة التي لا ينقطع ثوابها كما في حديث
مسلم في صحيحه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إذا مات
الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع
به أو ولد صالح يدعو له» ولا شك أن من وفقه الله تعالى لأحد هذه الثلاثة
المذكورة فإن عمره قد طال مادام الصدقة جارية يأتيه ثوابها تبعاً وإلا

وَحَدِيثُ جَبْرِ بْنِ مُطْعَمٍ فِيهِمَا أَيْضًا عَنْ أَبِيهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ ، قُلْتُ وَلَا فَرَقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ بَرًّا أَوْ فَاجِرًا (١) ۝

(٥٧) حَسَنُ الْخُلُقِ (٢) وَيَدْخُلُ فِيهِ كَظْمُ الْغَيْظِ وَلَيْنُ

فان زيادة الأجل منافية لصريح قوله تعالى (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وأما مسألة القضاء المعاق والمبرم من الآجال بحسب صحف الملائكة فان هذا لا تأثير له على الحقيقة كما لا يخفى ۝

(١) قوله «لا يدخل الجنة قاطع» لأن من لم يرحم أقاربه فهو لا يرحم الناس بالأولى كما قلنا فعليه لا يستحق الرحمة لأن الجزاء من جنس العمل وقوله قلت لا فرق بين أن يكون باراً أو فاجراً هذا بحسب الصورة نسب إلى البر وإلا فإنه أبعد الناس عنه لأنه لم يبر بأقاربه كيف يبر بالناس؟ ولذلك لا يكون إلا فاجراً وظهوره في مظهر البر والصلاح خديعة ومكر أراد بها غير وجه الله تعالى وإلا فلو أراد مرضاة الله تعالى لاتبع أمره ولو كان في قلبه حنات لصرفه على أقاربه فمثل هذا يكون جزاؤه الحرمان من دخول الجنان إلا بعد عذاب أليم تطهيراً لما ارتكبه في الدنيا من الخطايا بقطع الأرحام ۝

(٢) قوله «حسن الخلق» الخاق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً وان كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر

الْجَنَابِ وَالتَّوَاضُّعُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَئِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وَقَوْلُهُ
تَعَالَى : (وَالسَّكَاطِ مِنَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ) ٥

خلقنا سيئاً وانما قلنا انه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على
الدور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه وكذلك
من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال خلقه الحلم وليس
الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال
أو لما نفع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء قاله السيد
الشريف، والأفعال الجيلة لا يمكن حصرها تفصيلاً وانما هي اجمالاً الاتساع
لذوى العقول القاصرة وعدم الاضرار صريحاً ولا تلويحاً وأن لا يتأخر عن
عمل معروف يؤديه بالمقال أو المال أو البدن *

فاذن هي عبارة عن اختيار الفضائل والتحقيق بها وكراهة الرذائل
والتجنب عنها وجماعها قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض
عن الجاهلین » ٥

وقد مدح الله رسوله ﷺ بحسن الخلق حيث قال تعالى « وانك
على خلق عظيم » فلم يمدحه بعبادة كصلاة ونحوها لأنها وان كانت مقصداً
فهى فى الحقيقة دليل على المقصد وان شئت قل هى بحسب الأمر مقصد
وبحسب ما ينتج عنها وسيلة لقوله تعالى « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر » وقال أيضاً خطاباً لرسوله الأعظم « ولو كنت فظاً غليظ القلب
لا نفذوا من حولك » وقال تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه

ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»

وفي مسند الامام أحمد وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال :
 « بعثت لأتم مكارم الاخلاق » أى لانها عبارة عن الامة ومقاييسها
 الذى يستبان به أمد حياتها وهل هى فى عنفوان الشباب أو أنها فى دور
 الانحطاط أو حالة الاحتضار ، فكل أمة علت أخلاقها وحسنت مزاياها
 وكملت طباعها فان الشرف يحفها والنصر يحوطها والرفعة لاتتجاوزها
 وتصبح قدوة لغيرها من الامم التى هى دونها فى كل ما تفعله لان الضعيف
 شأنه تقليد القوي وطمع المغلوب اتباع أثر الغالب ظنا منه أن انتهاجه
 ذلك الطريق يعيد له ما كان فقداه مع أنه لو علم وادرك الحقيقة لبازله ان
 المغلوبية حصلت له بسبب نقصان أخلاقه لانه المحور الاساسى الذى تدور
 عليه حركة سير الامة واساس يبنى عليه آمالها ويحسن انتظامها فحسن
 الاخلاق هو سبب نهوض الامم وتقدمها وانتشاره يمنع الجرائم ويحول
 دون وقوع الحوادث ويمنع حصول الشر لانه لو ادى كل انسان ما عليه
 من الحقوق لزال مؤنة ابهة كثير من لواحق الدولة وزال النعب عن القضاء
 وزالت الدسائس والفتن واصبح الناس اخوانا يعيشون فى سعادة ومودة
 لان البيئة عبارة عن الافراد والقرى مجموع بيئات والمدن والامصار قرى
 عظمت او اتصلت والدولة هى امصارها وبلدانها فاذا حسن
 اخلاق الافراد فقد حسنت اخلاق الامة وكملت سعادتها وتم لها الهناء
 والظفر والتوفيق فلذلك تجد اخلاق مجموع الامة غالباً تابعة لاميروا قائدها فتمتى
 انصف الملك او الامير او القائد بصفات الانسانية الحقيقية وتحلى بسمات الدين
 الخفيف فالامة تقتبس منها وتتأسى به وتنهج منهاجه لذلك نرى مليكنا المحبوب
 فاروق الاول متحلياً باداب الدين والدنيا والامة متجهة نحوه مقبلة عليه صاغية لما
 يصدر عنه من المكارم والمزايا الدينية فتجد صفوف الامة وينشرب قلوبهم حبه »

وَلَحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَقَالَ : إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنُكُمْ اخْلَاقًا
 وَفِي رَوَايَةٍ « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ اخْلَاقًا » (١) .

وَلَحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا أَنَّهَا قَالَتْ :
 « مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَالَمْ يَكُنْ إِثْمًا
 فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ
 إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا » (٢) .

(١) قوله « لم يكن فاحشاً ، ولا متفحشاً » بكسبه ومعاذ الله ان
 يكون كذلك وهو العفو والصفح بحيث لم يكن يغضب الا الله تعالى
 اى حين انتهك حرمة الله فلم يكن قلبه معلقاً بالدنيا بل كان يعطى عطاء من
 لا يخاف الفقر *

ومن المعلوم ان قول الفحش يدفع اليه الطمع الدنيوى والنفع
 الذاتى والرسول عليه وعلى اله افضل الصلاة والسلام لم يكن فيه عرق
 يعيل الى هذا *

(١) قوله « ان احبكم الى احسنكم اخلاقاً » لان علامة الحب الطاعة
 وبما ان الرسول ﷺ كان اكمل خلق الله خلقاً فبحسن خلق المرء دلالة
 على صدق حبه لرسول الله حتى نهج طريقه واقضى أثره فهو حقه ان
 يثبت له الحب مؤكداً بان الموضوع لنا كيد الخبر كما هو معلوم لدى ارباب فن البلاغة
 (٢) قوله « وما انتقم » الخ لانه متحقق بالعبودية المحضة التى أتى

وَبِهٖ اَنْبَاَنَا اَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ قَالَ: وَمَعْنَى حَسَنِ الْخَلْقِ سَلَامَةُ النَّفْسِ
نَحْوَ الْاَرَفَقِ الْاَحْمَدِ مِنَ الْاَفْعَالِ وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى
وَقَدْ يَكُونُ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ
مُنْشَرَحَ الصَّدْرِ بِاَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَوَاهِيهِ يَفْعَلُ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ طَيِّبَ
النَّفْسِ بِهِ سَلْسَا نَحْوَهُ ، وَيَنْتَهِي عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ رَاضِيًا بِهِ غَيْرَ مُتَضَجِّرٍ
مِنْهُ وَيَرْغَبُ فِي نَوَافِلِ الْخَيْرِ وَيَتْرُكُ كَثِيرًا مِنَ الْمُبَاحِ لَوَجْهِهِ تَعَالَى
وَتَقْدَسَ إِذَا رَأَى اَنْ تَرَكَهُ اقْرَبَ إِلَى الْعِبَادَةِ مِنْ فَعْلِهِ مُسْتَبْشِرًا لِذَلِكَ

عليه الله بها في قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده) الآية فهو لا يرى
نفسه الاليفتكر فيها فضلا عن أن ينتقم لها وإنما كان قلبه معلقاً بالحق وبدنه مشغولاً
بالحق وبدنه مشغولاً باداء أعباء الرسالة وهداية الناس إلى صراط الله
القويم إلا إذا انتهكت حرمت الله فيكون الانتقام لله تعالى لاله ﷻ
وذلك ليعلمنا ان الحياة الدنيا لا تستحق خصاماً الى درجة انتقام بعضنا
من بعض الا أن يكون قد خرق حرمة الشرع الشريف الأنور فان النفس
لم يبق لها علاقة بل أصبحت لوجه الله تعالى فالانتقام يكون عبادة وهو
سبب الجهاد دفاعاً عن الدعوة الدينية اذا وقف في وجهها ضال
أو كافر لأن الدين لله والبغض لله والحب لله وهذا هو منتهى السكال لمن
تحقق به .

غَيْرَ ضَاجِرٍ مِنْهُ وَلَا مُعَسَّرٍ بِهِ وَهُوَ فِي الْمُعَامَلَاتِ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ
 سَمَحًا لِحَقُّوقِهِ لَا يَطَالِبُ غَيْرَهُ بِهَا وَيُوفِي مَا يَجِبُ لغيرِهِ عَلَيْهِ مِنْهَا فَإِنْ
 مَرَضَ وَلَمْ يَعُدْ أَوْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَلَمْ يَزِرْ أَوْ سَلِمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَوْ ضَافَ
 فَلَمْ يَكْرَمْ أَوْ شَفَعَ فَلَمْ يَجِبْ أَوْ أَحْسَنَ فَلَمْ يَشْكُرْ أَوْ دَخَلَ عَلَى قَوْمٍ
 فَلَمْ يَمْكُنْ أَوْ تَكَلَّمَ فَلَمْ يَنْصِتْ لَهُ أَوْ اسْتَأْذَنَ عَلَى صَدِيقٍ فَلَمْ يُؤْذِنْ لَهُ
 أَوْ خَطَبَ فَلَمْ يَزُوجْ أَوْ اسْتَمَهَلَ الدِّينَ فَلَمْ يَمَهِّلْ أَوْ اسْتَنْقَصَ مِنْهُ فَلَمْ
 يَنْقُصْ وَمَا شَبِهَ ذَلِكَ وَلَمْ يَغْضَبْ وَلَمْ يَعَاقِبْ وَلَمْ يَتَنَكَّرْ مِنْ حَالِهِ حَالٌ
 وَلَمْ يَسْتَشْعِرْ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ جَنِيَ وَأَوْحَشَ وَأَنَّهُ لَا يُقَابِلُ كُلَّ ذَلِكَ إِذَا
 وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ بِمَثَلِهِ بَلْ يَضْمُرُ أَنَّهُ لَا يَعْتَدُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَيُقَابِلُ
 كُلًّا مِنْهُ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ وَأَقْرَبُ إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاشْبَهَ بِمَا
 يَحْمَدُ وَيَرْضَى ثُمَّ يَكُونُ فِي إِيقَاءِ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ كَهْوٍ فِي حِفْظِ مَا يَكُونُ
 لَهُ فَإِذَا مَرَضَ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ عَادَهُ وَإِنْ جَاءَ فِي شَفَاعَةِ شَفَعَهُ وَإِنْ
 اسْتَمَهَلَ فِي قِضَاءِ دَيْنِ أَهْلِهِ وَإِنْ أَحْتَاجَ مِنْهُ إِلَى مَعُونَتِهِ أَعَانَهُ وَإِنْ
 اسْتَسْمَحَهُ فِي بَيْعٍ سَمَحَ لَهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى أَنَّ الَّذِي يُعَامِلُهُ كَيْفَ كَانَتْ

مَعَامَلَتُهُ إِيَّاهُ فِيمَا خَلَا وَكَيْفَ يُعَامِلُ النَّاسَ إِنَّمَا يَتَّخِذُ الْأَحْسَنَ
 إِمَامًا لِنَفْسِهِ فَيَنْحَوِي نَحْوَهُ وَلَا يَخَالِفُهُ، وَالْخُلُقُ الْحَسَنُ قَدْ يَكُونُ غَرِيزَةً
 وَقَدْ يَكُونُ مُكْتَسَبًا (١) ۝

وَإِنَّمَا يَصَحُّ اكْتِسَابُهُ مَنْ كَانَ فِي غَرِيزَتِهِ أَمْثَلُ مِنْهُ فَهُوَ يَضُمُّ
 بِاِكْتِسَابِهِ إِلَيْهِ مَا يَتِمُّهُ وَمَعْلُومٌ فِي الْعَادَاتِ أَنَّ ذَا الرَّأْيِ يَزْدَادُ بِمُجَاسَاةِ
 أَوْلَى الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ رَأْيًا وَأَنَّ الْعَالَمَ يَزْدَادُ بِمُخَالَطَةِ الْعُلَمَاءِ عِلْمًا وَكَذَلِكَ
 الصَّالِحُ وَالْعَاقِلُ بِمُجَاسَاةِ الصَّالِحَاءِ وَالْعُقَلَاءِ فَلَا يَنْسَكِرُ أَنْ يَكُونَ ذُو
 الْخُلُقِ الْجَمِيلِ يَزْدَادُ حَسَنَ الْخُلُقِ بِمُجَاسَاةِ أَوْلَى الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ
 وَبِاللَّهِ التَّرْفِيقُ *

(١) مَازَهَبٌ إِلَيْهِ مَنْ أَنَّ الْخُلُقَ مِنْهُ مَا هُوَ طَبِيعِيٌّ وَمِنْهُ مَا هُوَ كَسْبِيٌّ
 هُوَ الصَّوَابُ ، وَهُوَ رَأْيُ الْأَكْثَرِ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَالْفَلَسَفَةِ ، وَيَدُلُّ لَهُ مَا جَاءَ
 عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ لِأَشْجَعِ عَبْدِ الْقَيْسِ . إِنْ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يَحْبِبُهُمَا اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ الْحِلْمُ وَالْإِنَاءَةُ . فَقَالَ اخْلُقَيْنِ تَخْلُقْتَ بِهِمَا أَمْ جَبَانِي اللَّهُ عَلَيْهِمَا .
 فَقَالَ بَلْ جَبَلَكُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا . فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلْقَيْنِ يَحْبِبُهُمَا
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ . فَافَادَ أَنَّ مِنَ الْخُلُقِ مَا هُوَ طَبِيعَةٌ وَجَبَلَةٌ . وَمَا هُوَ مَوْهَبٌ
 وَمُكْتَسَبٌ . وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دَعَاءِ الْاسْتِفْتَاكِحِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ
 الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَأَصْرَفَ عَنِّي سَبِيلَهَا لَا يَصْرَفُ عَنِّي

(٥٨) الإحسانُ إلى المماليك (١) لقوله تعالى (وَاعْبُدُوا اللَّهَ
وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ
وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

سَيِّئُهَا إِلَّا أَنْتَ فَأَعَادَنِي بِأَنَّ بِطَرِيقِ الْكَسْبِ إِذَا وَفَّقَ لِذَلِكَ . وَيَكْتَسِبُ الْخَلْقُ
بِالتَّادِيبِ وَالتَّعْلِيمِ . وَالْوَعْظِ . وَالْإِرْشَادِ وَبِمَصَاحِبَةِ الْأَخْيَارِ وَأَوَّلِي النَّهْيِ .
وَالنَّاسِ لَيْسُوا فِي ذَلِكَ سِوَاءٍ فَهُمْ مِنْ يَقْبَلُ التَّادِيبَ . وَيَتَحَرَّكُ إِلَى الْفَضِيلَةِ
بِسُرْعَةٍ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْبَلُهُ وَيَتَحَرَّكُ إِلَى الْفَضِيلَةِ بِإِبْطَاءٍ . وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَتَحَرَّكُ
أَصْلًا وَذَلِكَ فِيمَا إِذَا كَانَ شَرِيرًا بِالطَّبْعِ بَلْ يَزْدَادُ شَرًّا بِمَخَالَطَةِ أَهْلِ الشَّرِّ
وَالْفُسُوقِ حَمَاةً مِنَ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ ۝

(١) قوله «الإحسان إلى المماليك» لأنهم لا ينقصون عنكم في الخلقة
وإنما لما ارتكبوا من الجهالة في الوقوف أمام نشر دعوة الإسلام أو أن
أسلافهم فعلوا ذلك فسرى إليهم تأديبا لغيرهم كما بينا كي لا يظن أحد من
أعداء الإسلام أن الرق قاصر عليه إذا وقع أسيراً وشاء الإمام رقه بل أن
الرق يتجاوز نسله من بعده ليكون زاجراً له ولغيره ممن هو على رأيه هذا
فمادام على هذا فينبغي الإحسان إليه لأن الله يكره الظلم ويكره الظالم وإن
أمهله فإنه لا يهمله وإنما يؤجله حتى إذا أخذه لم يفله فيأخذه أخذ عزيز
مقتدر ولأن النبي ﷺ وصى بهم وبالمراة كثيراً بل كانت آخر وصاياهم
كما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أنس فاذا اقتضى الإحسان جهتين
كونه إنساناً مثلك ووصية نبيك فيه ومهما كان الإنسان قاصر الإدراك

وَلَحْدِيثِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُؤَيْدٍ فِي الصَّحِيحِينَ قَالَ رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ^{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ} الْغَفَّارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلَيْهِ حَلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ حَلَّةٌ مِثْلَهَا فَسَأَلْتَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا فَشَسَّكَانِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعِيرْتَهُ بِأَمِهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوْلَكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مَا يَأْكُلُ وَلْيَلْبِسْهُ مَا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّمُوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ» (١)

(٥٩) حَقُّ السَّادَةِ عَلَى الْمَمَالِكِ وَهُوَ لَزُومُ الْعَبْدِ سَيِّدِهِ

فَلَا بُدَّ أَنْ يَلَاحِظَ الْجِهَةُ الْأُولَى وَلَا يَرِيدُ أَنْ يَخَالَفَ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَرِمُ وَصِيَّةَ صَدِيقِهِ وَقَرِيبِهِ فَكَيْفَ بِوَصِيَّةٍ مِنْ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُنَا حَتَّى يَكُونَ أَحَبَّ الْيَنَامِ مَالَنَا وَوَلَدَنَا وَأَنْفُسَنَا وَمَنِ النَّاسُ أَجْمَعِينَ؟

(١) قَوْلُهُ «وَأَنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوْلَكُمْ» أَيُّ إِخْوَانِكُمْ بِدِينِ الْإِسْلَامِ خَوْلَكُمْ أَيْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ عَبْدٍ وَأَمَةٍ فَهُمْ يَسَاوُونَكُمْ وَلَكِنْ لِأَسْبَابٍ مُشْرُوعَةٍ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَيَجِبُ مَلَا حِظَتَهُمْ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ وَأَنْ لَا يَكْلَفَ عَمَلًا لَا يَقْدِرُ عَمَلُهُ بَلْ يَحْرَمُ عَلَيْهِ أَنْ يُطْلَبَ مِنْهُ مِثْلُ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يُسَاعِدَهُ بِمَا يَخَفُفُ الْعَبْدَ عَنْهُ بِحَيْثُ يَكُونُ مُقْدُورًا لَهُ بِلَا مُشَقَّةٍ وَعِنْدَئِذٍ لَا مَانِعَ مِنَ التَّكْلِيفِ .

وإقامته حيث يراه له ويأمره به وطاعته له فيما يطيقه *

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ قال إن العبد إذا نصح لسيدته وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين» *

وفي مسلم من حديث جرير بن عبد الله «أما عبد أبى فقد برئت منه الذمة» *

وفي سنن أبى داود من حديثه أيضاً «العبد لأبى لا يقبل الله منه صلاته حتى يرجع إلى مواليه» (١)

(٦٠) حقوق الأولاد والأهلين وهي قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه لقوله تعالى : (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) قال الحسن :

(١) قوله «لا يقبل الله منه صلاته» الخ لأنه خالف أمر الله تعالى ولم يرض بحكمه فهو لا يقبل منه عمله لأن صلاته حينئذ إما عادة وهذه لا قيمة لها وإما لغير ذلك فتكون للرياء والله أغنى من أن يقبل عبادة أشرك العابد فيها معه غيره ولأن ظاهر الحال يكذبه فلو كانت صادقا لاستسلم للحكم الإلهي ورضى بقسمته حتى إذا رجع إلى مواليه دل على توبته وهو الذي يقبل التوبة عن عباده .

أَيُّ مَرْوُومٍ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَعَلْمُوهُمُ الْخَيْرَ وَقَالَ عَلَى عَلْمُوهُمُ أَدَبُوهُمُ .
 وَلِحَدِيثِ أَنَسٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ
 يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ هَكَذَا وَضَمَّ أَصْبَعِيهِ (١)

(٦١) «مُقَارَبَةُ أَهْلِ الدِّينِ ، وَمَوَدَّتِهِمْ وَأَفْشَاءُ السَّلَامِ يَبْنِيهِمْ»

(٢) قوله «من عال جاريتين» قام بمؤنتهما وتربيتهما غير طامع في شيء منهما ولا مان عليهما بما فعل فلا يريد منهما جزاء ما بذله ولم يستخدمهما في مصالحه تجاه ما صرفه عليهما بل قصده بذلك وجه الله متحملا ذلك من صغرهما مراعيًا حالهما وما يلزم لهما مع ملاحظة المشقة من تادية التربية والصيانة لأن الاتي عورة أقل شيء يلوث سمعتها ويمس بشرفها حتى إذا بلغا وتمكنا من الاستعداد للدخول في عائلة أخرى بواسطة الزواج فانه يكون مع النبي ﷺ لانه اما غريب

وقد فعل هذا العمل العظيم واما والد وقد حارب نفسه على احتقار الاتي وأدى لها واجبها بعد ان كان اسلافه يثدونها حية في التراب حتى تموت فهذا قد احيا نفسين وأحسن تربيتهما طامعا في الثواب ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا فكيف بمن احيا اثنتين وأجاد تربيتهما وصبر عليهما حتى بلغا سن السكال ؟

(٢) قوله «مُقَارَبَةُ أَهْلِ الدِّينِ» لان الطبع يسرق من جليسه مادو عليه فمن خالط أهل الدين فانه لا بد ان يكتسب من خصالهم ويتعود على اتباع خطاهم وهذا شيء تشهد به الفطرة ولا ينكره أحد ولو مكابرا قال طرفة الجاهلي :

وَالْمُصَافِحَةُ لَهُمْ . وَنَحْنُ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ تَأْكِيدِ الْمَوَدَّةِ ، لَقَوْلِهِ تَعَالَى
 (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) ٥
 وَلَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ . وَالَّذِي
 نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَوُثِّمُوا وَلَا تَوُثِّمُوا حَتَّى تَحَابُّوا . أَوَلَا
 أَدُلِّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ . أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ (١) ٥

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
 ثم يرتقى من ذلك الى المودة بان يتحابا ليدخلا في ضمن السبعة الذين
 يظلمهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله الخ كما رواه البخارى في صحيحه
 وقد علمنا الشارع كيف تتوصل الى ذلك حيث جعل لمثل ذلك مفتاحا هو
 السلام الذى يقرب بين المسلمين وبه يصعد الانسان الى مبادئ المودة
 وهى المصافحة فتقارب الاجساد وتسرى الكهرباء بينهما فيتأثر حسب
 حبه في مخالطته الى اهل الدين فيكون ذلك سببا لسعادته وتوفيقه *
 (١) قوله افشوا السلام بينكم لانه مقدمة التعارف ومنه ينتقل الى
 الاعمال النافعة وهو الاشارة الوحيدة بين المسلمين ليستعملوها ولا فرق بين
 من تعرفه ومن لا تعرف لان الجامعة الاسلامية ازالَت عصبية الجاهلية
 وأحلت محلها اخوة الايمان فانه لا يقال لك كيف تسلم على أخيك وأنت
 لا تعرفه؟ لان الاخوة أرقى من المعرفة فلا يكون عدم المعرفة علة لدفع
 السلام بين الاخوان ولأن المؤمنين كجسد واحد فلا يعاب العضو إذا
 رافق عضواً آخر وساعده ٥

فافشاء السلام شعار المسلمين ولكن مع الأسف تغلغت الدسائس

وَحَدِيثُ قَتَادَةَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، قَالَ قُلْتُ لَأَنْسَ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ كَانَتْ الْمُصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ فَقَالَ نَعَمْ .
وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي مُسْلِمٍ ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَالْيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَصْرُوهُ عَلَى مَنْ يَعْرِفُونَهُ خِلَافَ تَعَالِيمِ الرَّسُولِ ﷺ زَوْمِ افْتِشَاءِ السَّلَامِ عَلَى مَنْ تَعْرِفُ وَمَنْ لَا تَعْرِفُ وَأَنْ مَنْ يَبْخُلُ بِالسَّلَامِ وَيَزْعُمُ بَأَنَّهُ يَرِيدُ مَصْلَحَةَ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ مَا يَقْرِبُهُ مِنْهُمْ لِلتَّخَاطُبِ فَانْه لَا يَفْعَلُ غَيْرَهُ أَصْلًا فَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ وَأَبْخَلَ النَّاسَ مِنْ بَخْلٍ بِالسَّلَامِ . وَأَنْ خَيْرَ الْمُتَلَاقِينَ مَنْ يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ » *

رَوَى أَبُو دَاوُدَ . وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي إِمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« إِنْ أَوَّلَى النَّاسُ بِاللَّهِ مِنْ بَدَاهُمْ بِالسَّلَامِ » . وَالسَّلَامُ عِنْدَ الْمُلَاقَاةِ سُنَّةٌ وَعِنْدَ الْإِنْفِصَالِ كَذَلِكَ .

فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ . وَالتِّرْمِذِيُّ . وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيَسْلَمْ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيَسْلَمْ فَلْيَسْلَمْ الْأَوَّلَى أَحَقُّ مِنَ الْآخِرَةِ » . وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقُولَ قَدْ لَا يَرُدُّونَ السَّلَامَ فَقَدْ كَفَانَا جَوَابًا عَنْ هَذَا مَا رَوَاهُ الْبُزَارِيُّ وَطَبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « السَّلَامُ أَمُّهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَضَعَهُ فِي الْأَرْضِ فَافْشَوْهُ بَيْنَكُمْ فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ إِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلٌ دَرَجَةٌ بِتَذَكُّرِهِ إِيَّاهُمْ السَّلَامُ فَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ » اهـ .

أَيُّ الْمُتَحَابِّينَ بِجَلَالِي أَظْلَمُهُمْ فِي ظُلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» (١) *
 (٦٢) رَدُّ السَّلَامِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا
 بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) (٢) *

(١) قوله في ظلي . أي في ظل عرشي كما جاء التصريح بذلك في غير
 رواية مسلم عن أبي هريرة «سبعة في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله» وفي
 كتاب الأسماء والصفات للبيهقي عن أبي هريرة أيضا «سبعة يظلمهم الله تحت
 ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» الحديث *
 والظاهر أنه ظل حقيقي يحفظ المتحابين من الحر والشمس، ووهج الموقف
 وانفاس الخلق، وازدحام الناس، ويحتمل أنه كناية عن حفظه من
 المكروه، وإكرامه وجعله في كنفه وستره، ومنه قولهم : السلطان ظل
 الله في أرضه .

والمعنى والله أعلم أن الله عز وجل يعافيههم يوم القيامة من هول ذلك
 اليوم العظيم وحره بظله المديد ورحمته الواسعة، والكيفية لأجل للعقل
 فيها لأن الآخرة يصدق بها ولا يتعرض لكيفيتها جعلنا الله وإياك بمن
 آمن بالآيات والأحاديث التي من هذا النحو وفوض معناها إلى الله
 تبارك وتعالى *

(٢) قوله «رد السلام» لأنه واجب بدلالة الآية التي ذكرها المصنف
 ونقل حافظ المغرب ابن عبد البر وغيره إجماع المسلمين على أن ابتداء السلام سنة
 ورده فرض فإن كان واحدا وجب عليه بعينه وإن كانوا جماعة ورده بعضهم سقط
 عن الباقيين وحكمة وجوب الرد لأنه شعار الإسلام فالأعراض عن شعار الشيء
 أعراض عنه ولأن البادى بالسلام دليل على أنه يريد التعارف معه فعدم

وَلَحْدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي
الطَّرَفَاتِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بِدُ نَتَحَدَّثُ فِيهَا فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَيْتَمَّ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ (١) قَالُوا وَمَا

الرد برهان على ارادة الانقطاع والانفصال وهذا هو الذي ذمه الدين
وحذر منه المسلمين ولا يستحق الانسان السلام فان من لا يؤدى الصغير
حقه ولا يكثر به فهو بالكبير اقل مبالاة واكثر اهمالا ولأن الجليل يجب
ان يقابل بمثله لأن الاعراض لا يصلح ان يقابل اللقى وارادة المودة المحبة
في الشروع بمفتاح التعارف الذي هو السلام، فمن لم يرد السلام
فقد اعرض عن قاعدة من قواعد الدين فهو عاص او استخف بها فهو كافر
عدو للاسلام، والتحية — قال الراغب — : أن يقال حياك الله أى جعل
لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء ويقال حيا فلان فلانا تحية إذا قال
له ذلك ، وأصل التحية من الحياة ثم جعل ذلك دعاء تحية ليكون جميعه
غير خارج عن حصول الحياة او سبب الحياة اما فى الدنيا واما فى الآخرة
والآية تدل على ان الرد يكون بأحسن تحية بأن يزيد عليها أو بمثلها ان لم يزد
والاولى اكمل وأطلب هداانا الله وإياك للاكمل

(١) قوله « فاعطوا الطريق حقه » لأنه حق للعموم فلكل فرد من
البشر الاستفادة منه والجلوس فيه مناف لهذا الحق فلا ينبغي استباحته الا
بعد اخذ موافقة جميع الناس وهذا غير ممكن فاذن عليه ان يقوم بالمنافع
العامة فيكون قد تجرد من الغايات الذاتية وبهذا أصبح امة لخلوه عن
نفسيته لان غرض البصر يجعله فى حلم غير الجالس وقدمه لان أغلب الشرور
تحدث بسبب النظر ولذا قال بعضهم فى ذلك شعرا :

حَقَّ الطَّرِيقُ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ۝

(٦٣) عِيَادَةُ الْمَرِيضِ حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فِي الصَّحِيحَيْنِ وَسَنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهَا «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعِ

كُلِّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ وَمَعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْفَرِ الشَّرِّ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يَقْلِبُهَا فِي أَعْيُنِ الْغَيْرِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
يَسِرُّ نَازِلَهُ مَاضِرُ خَاطِرِهِ لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ
وَكَفُّ الْأَذَى مِثْلُهُ وَخَيْرُ مَنْهُ، وَرَدُّ السَّلَامِ أَرْضَاءُ لِلدِّسْلَمِ وَتَعَارُفٌ مَعَهُ وَمَعْظَمُ
أَعْمَالِ الدِّينِ الْإِسْلَامِي مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّعَارُفِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ
هِيَ الْمَقْصُودُ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ
وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا وَزَادَ عَلَيْهِمَا أَبُو دَاوُدَ أَرْشَادُ ابْنِ السَّيْلِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ
إِذَا حَمَدَ اللَّهَ وَزَادَ الْبِزَارُ وَالْإِعَانَةُ عَلَى الْحَمْلِ وَزَادَ غَيْرُهُ وَإِعَانَةُ الْمَلْهُوفِ
وَإِعَانَةُ الْمَظْلُومِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ الْعَامَّةِ النَّافِعَةِ لِلنَّاسِ فَإِنَّهُ إِذَا
اشْتَغَلَ بِهَا تَخَلَّصَ مِنَ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَرِافِقُ جُلُوسَاءَ الطَّرِيقِ لِأَنَّ مَنْ
يَعْمَلُ بِمَا أَمَرَ الشَّارِعَ لَا يَتِمَكَّنُ الشَّيْطَانُ مِنْ أَفْسَادِهِ خُصُوصًا إِذَا كَانَ مِنَ
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ذِكْرًا ۝

(١) قَوْلُهُ «عِيَادَةُ الْمَرِيضِ» بِلَا تَفَرُّقٍ بَيْنَ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ لِتَكُونَ خَالِصَةً
لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ الْأَمَلَ مَعْقُودٌ عَلَى الْإِحْيَاءِ فَإِنْ مِنْ أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ
فَإِنَّهُ وَإِنْ جَازَ أَنْ يَشْفِيهِ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا يَقَعُ غَالِبًا لَكِنْ لَمَّا كَانَتِ الْوَفَاةُ مَلْحُوظَةً
بِجَانِبِهِ أَكْثَرَ مِنَ الصَّحِيحِ فَالْعِيَادَةُ أَنْ يَبْرَهَنَ عَلَى إِخْلَاصِهِ مَعَهُ وَأَنْ غَايَتُهُ
رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْ الْحُبُّ كَانَ لَوَجْهِهِ وَالْإِفَانَةُ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ لَا يَعُودَهُ

وَنَهَانَا عَنْ سَبْعِ أُمُورٍ بَعَادَةَ الْمَرْضَى ، وَاتَّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَرَدِّ السَّلَامِ
وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ وَإِجَابَةِ الدَّاعِي ،
وَنَهَانَا عَنْ حَلَقَةِ الذَّهَبِ أَوْ قَالَ خَاتَمِ الذَّهَبِ وَآنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ

وان شفى فالمعاذير كثيرة ولا سيما في البلدان الكبيرة ۞

وقوله واتباع الجنائز لانها تذكر الموت ولان فيها دليلا على ان
المسلمين يكرمون امواتهم كما يهتمون باحيائهم عدا عن ان فيها جبرا
لخاطر اقرباء الميت فقد يكون التشيع سببا للتعارف والمودة والمحبة
وقوله وابرار القسم احتراما لاسم الله الكريم ولان خلفه فيه اهانة
له مع الكذب الذى قال الله فى حقه (انما يفترى على الكذب الذين لا يؤمنون)
ولكن هذا فيما يغلو عن المفسدة او الاضرار والافان ابرار القسم اذا
حلف او استحلفه احد بان قال له آخر اقسمت عليك بالله فلا يلبنى طلبه
حينئذ لانه لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام ۞

وقوله ونصر المظلوم باستخلاص حقه او بشد ازره على الظالم ولو
بمقاطعة الظالم وهجره على الاقل حتى يرتدع ويتوب

وقوله واجابة الداعى اعم من ان يكون مظلوما يستصرخ او غريقا
او حريقا او غير ذلك بل يشمل نداء المؤذن ايضا

وقوله ونهانا عن خاتم الذهب لانه اشارة الكبرياء وفيه تضيق على
النقد الذى هو المقياس الحقيقى لمعاملات العالم فان الورق النقدى اليوم
اذا لم يدعمه الذهب المخزون فى المصارف فانه لاقيمة له ولا اقوى دليل
على ذلك من ورق روسيا والمانيا الصادر بزمان قصير بهما فقد اخرب بيوت
اناس من التجار كثيرين حيث فقد الكفالة وهكذا يقال عن آنية الذهب

وَالْمَيْثِرَةَ وَالْقَسَى وَالْأَسْتَبْرَقَ وَالْحَرِيرَ وَالْدِّيْبَاجَ *

وَحَدِيثُ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ «عَائِدُ الْمَرِيضِ فِي خُرْقَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ» (١) قُلْتُ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ بَرًّا أَوْ فَاجِرًا لَكِنْ يَنْبَسِطُ إِلَى الْبَرِّ وَيَنْقَبِضُ عَنِ الْفَاجِرِ *

والفضة بالاولى لانا منعنا الخاتم الصغير فلا شبهة اذن في تحريم الاواني، والاحاديث في هذا الباب كثيرة ولكن اسلوبنا اقتاع ابناء العصر الخاضر بالطرق المعقولة الخادمة للنقل .

وقوله «والميثرة» خاص بعد عام لانها داخله في الحرير اذ هي وطاء يعمل من الحرير ليجلس عليه الراكب وكذلك القسي فانها داخله في الحرير . لانها ثياب أكثر خيوطها الحرير ترد من القس وهي قرية على ساحل البحر الاحمر، وأما الاستبرق فانه ما غلظ من الحرير والديباج مارق منه، فهذه كلها من أنواع الحرير حكمها حكمها إلا ما أباحه الشرع من التطريز الذي لا يتجاوز أربع أصابع أو الذي كان الحرير فيه قليلا فهذا لا بأس به .

(١) قوله وفي خُرْقَةِ الْجَنَّةِ الخ هو ما يخترف من النخل حين يدرك ثمره أي يجتنى ولا شك ان السير في نخل اعطى ثمره يكون لذينا ولا سيما وقد استعد لمنح الفائدة وهي ثمرته الرطب الجنى

وعيادة المريض سنة بالاجماع ولا فرق بين من يعرفه ومن لا يعرفه الا أن القريب أولى وما أكد، وقد ورد في فضل العيادة أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي بسند حسن عن علي كرم الله وجهه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يعود مسلما غدوة الا وصلى عليه سبعون

(٦٤) الصَّلَاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رُدُّ السَّلَامِ
وَعِيَادَةُ الْمَرَضِيِّ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ (١)»
وَحَدِيثُ ثَوْبَانَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قَبِيرَاطٌ (٢)»

ألف مائة حتى يصبح وكان له خريف في الجنة» والخريف الثمر المأخوف
أي المجتني

(١) قوله الصلاة على من مات من أهل القبلة وهو من كان يظهر
الإيمان ولم يحصل منه ما ينافية وإن كان عاصياً وانها فرض كفاية اذا فعلها
البعض سقطت عن الباقيين وهي الوداع الأخير للبرء يسلم فيه الميت الى
ربه كي يلقى عمله فينبغي الصلاة عليه كي يساعدوه بالدعاء له بالتثبيت وخفة محنة
السؤال ولأن من كمال أخوة الدين ان يوصلوه الى حفرة القبر يستتر فيها
كي لا يبقى مطروحا معرضا للتفسيخ وايتاء الأحياء بالرائحة وغير ذلك مما
يخالف قواعد الصحة واران الشرف والغيرة والانصاف

(٢) قوله من صلى على جنازة فله قيراط لانه أدى الصلاة التي هي دعاء
لأخيه المسلم وصدقة عليه بالدعاء له كما قلنا ولا سيما اذا كان قد شئى معها
وحملها لينال من ذلك اجرا اذ ان المسلمين لم يعهدوا ان الجنازة يحملها
باجرة اناس مخصوصون فيجوز ان يكون الميت فقيراً ليت شعري هل
يبقى بلا دفن أم يرمى في الأرض؟ لأن الناس إذا ألفوا عدم حمل الجنازة
فانهم يرونه مخالفاً للعادة فيحسبون انه عاراً مع أنه السنة التي كان عليها صدر
الاسلام بل وآخره إلا في بعض البلدان التي أهملت هذه
السنة المحترمة، والجنازة بكر الجيم وفتحها والفتح أفصح كما قاله النووي *

وَمَنْ شَهِدَ دَفْنَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ الْقِيرَاطُ مِثْلُ أَحَدٍ ۝

(٦٥) تَشْمِيتُ الْعَاطِسِ لِحَدِيثِ أَبِي بَرْدَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ
عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمْتُوهُ وَإِذَا
لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ فَلَا تَشْمَتُوهُ» (١) *

وقوله «ومن شهد دفنها له قيراطان» لأن مشاهدته للقبر وكيفية الدفن
يذكره بما يصير إليه فيكون قد اعتبر رغبا عنه ودعا لأخيه بالتثبيت كما
كان يفعله رسول الله ﷺ وجبر خاطر أولياء الميت بمشاركته لهم في
الدفن وإكمال ما ابتدأوا به وبين القيراط وهو أنه مقدار جبل أحد العظيم
الواقع قرب المدينة وهذا كناية عن أن له أجرا جسيما ۝

(١) قوله «تشميت العاطس» التشميت - بالشين المعجمة والسين
المهملة - يقال شمت العاطس وسمته وهو أن يظهر له المودة بالدعاء له
المنافية للشتمات وهي السرور بالمصيبة وهو سنة مؤكدة عند معظم الأئمة
وقال الإمام مالك فرض كفاية ولم يقل بوجوبه إلا الظاهرية وذلك بأن
يقول له يرحمك الله وذلك بعد أن يحمد الله تعالى وجوابه كما في صحيح
البخاري أن يقول يهديكم الله ويصالح بالكم ۝

وقال النووي : كما ثبتت هذه الصيغة ثبتت صيغة يغفر الله لنا ولكم
رواها الطبراني فلاحجر عليه فله استعمال أيهما شاء ۝
وقوله «إذا عطس فحمد الله فشمتوه» لأن العطاس منفعة بسبب
خروج ما احتقن في الدماغ من الأبخرة فاذا حمد الله على هذه النعمة
استحق أن يدعو الله له بالرحمة ومن أعرض عن ذلك وأهمل ما أمر به
فهو مستغن عن الدعاء لهذا نهى الرسول ﷺ عن تشميته ۝

(٦٦) فِي مُبَاعَدَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُفْسِدِينَ وَالْعَاطِلَةِ عَلَيْهِمْ (١) لِقَوْلِهِ

ويشرح التشميت ثلاثا اذا تكرر العطاس من الشخص ولا يزداد عليها فان زاد العطاس على الثلاث دعى له بخير لما رواه أبو داود بسنده عن أبي هريرة مرفوعا واذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فان زاد على ثلاث فهو من كوم ولا يشمت بعد ثلاث

(١) قوله «في مباعدة الكفار والمفسدين» وذلك لأن المخالطة تجلب حسن الاعتقاد والثقة فيضطر إلى الاعتقاد عليهم فتسرى فيه روحهم الخبيثة فيقلدهم فيما هم عليه ويفعل مثل فعلهم كما هو حاصل الآن لآبناء عصرنا الحاضر فيكون سببا في اضرار أمته ودينه من حيث لا يدري ذلك لكنه يدري أنه سيصل الى هذا من أول الأمر ولذلك نهى الله عن مخالطتهم فهو شبيه بمن يعلم أن المسكر يزيل عقله ويشربه حتى اذا فقد شعوره ارتكب منكرات واحداث أموراً وزعم أنه لا يملك عقله مع أنه هو الذي أضاع عقله عندما سلم نفسه لهواه وانقاد الى عمل امره الله باجتنابه *

أضف الى ذلك ما يترقبه الكافر من الايقاع بالاسلام والمسلمين كما نبهنا الله تعالى بقوله ولا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون» فهو بعد هذا لا شك أن يملك اليهم لا يجعلهم يردون منفعتك فان الثعبان شأنه الاضرار ولا يمكن أن ينقلب طبعه فهو وان فرضنا أنه يعرف مريه ولا يؤذيه تجاه أمله بأنه المكلف بنفقته فانه لا يرحم غيره من بني جنسه . وان أعظم دسيسة دخلت على الاسلام هي أنهم يقولون الدين لله والوطن للجميع وقد خدعوا والله بهذه الكلمة فان الخصم الذي يزعم ذلك لماذا يعاديك؟ لا شك لأنك لست على دينه اذن الدين هو ذو المدخل في كل الأمور ولكننا لم نتنبه لذلك رغما عن ان الله تعالى حذرنا منه .

تَعَالَى (لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ (١) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا) * وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى

(١) قوله « لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ » نهي الله تعالى عن موالاة الكفار واتخاذهم أولياء واصدقاء من دون المؤمنين لأن ذلك دليل على ترجيح الكفر على الإيمان وهذا لا يجوز بل قد يسوق فاعله إلى ما هو أعظم من الحرمة كما قلنا ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء لأنه عصا مولاة وهجر اخوانه المؤمنين إلا أن تتقوا منهم تقاة أما لا كتفاء شرهم بينما يستعد ويهيئ قوى الخصام والافاز دوام التقية هي الجبن والاستسلام المتنافية للجهاد الذي مر أنه من أعظم شعب الإيمان إذا لم نقل أنه أعظمها بعد توحيد الله تعالى ولأن الممارسة على شيء تجعله حسنا وهذا ما جعل سلاطين آخر الزمان يرضون الاجانب بمنح البلدان الاسلامية يزعمون أن ذلك أهون من الجهاد إلى ان أصبحت البلدان الاسلامية كافة تحت سلطة أو نفوذ الغرب لانهم جرؤا علينا ونحن هبناهم فجنح لاتساعدنا قوانا المعنوية على المخاصمة فضلا عن المحاربة وهم لم يعودوا يبالون بنا ولم يخشوا باسنا مع وجود كثرتنا التي أصبحت كما أشار إليها الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود ومنه « هل تغلب من قلة يومئذ يارسول الله قال لا بل من كثرة ولكن غناء غناء السيل » فأذن التقية ليست على اطلاقها بحيث يبقى عمراً أو تنتقل من الاباء إلى الابناء معاذ الله أن يكون ذلك وانما هي فرصة لكي يستعد المسلمون لاتمام ما نقصهم واكمال ما فقدوه والغناء بالضم والمد ما يجي فوق السيل مما يحمله من الوسخ وغيره وقوله « وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ » وذلك لان الغلظة تبعث على النفرة فلا يحصل

(وَقَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) وَقَوْلُهُ
تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّيْكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ
إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَأَيَّاكُمْ أَنْ تَقُولُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي
وَأَتَّبَعَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ) (١)*

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ
أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ) (٢) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ ۝

اختلاط فيحفظ المسلمون بأدبهم وعوائدهم وتقاليدهم ولا يطلع الأجنبى
على دخائلهم وما هم عليه وما يضررونه ولكننا لما عصينا أمر الله انعكس
الأمر علينا فأصبحوا يغلظون علينا القول ونحن نلين أو نعد ذلك فخراً
فانا لله وانا إليه راجعون

(١) قوله «لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّيْكُمْ أَوْلِيَاءَ» بأن تجدوا لهم في قلوبكم
مواقع يشغلونها فإن ذلك مناف للتوحيد ومخالف لقواعد الإسلام ولكن
ليس معناه ترك المعاملة فإنها قد وقعت من الرسول الأعظم ﷺ وبقي
المسلمون في عز رغم تفرقهم ماداموا متمسكين بهذه الآية الكريمة فلما
خالفوا ومدوا يد الإخلاص للكفار الشعوب المستعمرين وقع ما وقع وحصل
ما حصل وكان أمر الله قدراً مقدوراً

(٢) قوله «لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ

وَلَحْدِثَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَاحِبِ مُسْلِمٍ إِذَا لَقِيتُمُ
 الْمُشْرِكِينَ فِي الطَّرِيقِ فَلَا تَبْدُوهُمْ بِالسَّلَامِ وَأَضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهَا
 وَحَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ «لَا يَأْكُلُ
 طَعَامَكَ إِلَّا تَقَى وَلَا تَصَاحِبَ إِلَّا مُؤْمِنًا» (١) .

وَلَهَجَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خَلَفُوا خَمْسِينَ يَوْمًا إِلَى أَنْ تَابَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ فَنَابَوْا ، وَهُمْ كَعَبُ بْنُ مَالِكٍ . وَمَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ . وَهَلَالُ بْنُ
 أُمِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

على الايمان» وذلك لان الدين اقرب القرابات فان الدين لا يوازيه شيء
 فاذا كانت قرابة الجسم رفضت الدين فان قيمتها بقدر قيمة الجسد الفاني
 فلا ينبغي اتخاذهم اولياء بل لا بد من هجرهم على الاقل اذا لم يشهروا سلاحا على
 المسلمين اما اذا فعلوا ذلك فلا مانع من سفك دماهم
 ولذلك لما قتل أبو عبيدة عامر بن الجراح والده يوم بدر استحسن
 عمله الرسول الاعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم سماه الرسول امين الامة وحق له ذلك
 لانه لم يبال بالقرابة ورجح الدين على كل قريب وغال وعزير فهو أمين
 على دينه

(١) قوله «لا ياكل طعامك الا تقي» اي لان المؤمن لا يكون غالبا
 الا بعد الحب فليكن حبك محصورا بالانقياء لتعمل منهم وتعد في سلوكهم
 ولا تصاحب الا مؤمنا وهذا عموم بعد خصوص فينبغي ان تكون
 المصاحبة العامة محصورة للمسلمين لان الانسان يتأثر بطبع جليسه حتى انه

(٦٧) اِكْرَامُ الْجَارِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى . (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ) (١) *

قِيلَ فِي تَفْسِيرِ ذِي الْقُرْبَى الْجَارُ الْمُلَاصِقُ وَالْجَارُ الْجُنُبُ الْبَعِيدُ غَيْرُ الْمُلَاصِقِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ الرَّفِيقُ فِي السَّفَرِ .
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَجَاهِدٍ . وَقَتَادَةَ . وَالسَّكَلِيِّ . وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانٍ
وَمُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَالْجَارُ ذِي الْقُرْبَى الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ
وَالْجَارُ الْجُنُبُ الْأَجْنَبِيُّ عَنْكَ وَالصَّاحِبُ بِالْجُنُبِ الرَّفِيقُ فِي السَّفَرِ
وَزَادَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ فَقَالَ فِي الصَّاحِبِ إِنَّهُ الرَّفِيقُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ .

ليقلده ولا يدرى انه فعل ذلك، وقوله ولهجره عليه السلام الثلاثة زيادة من بعض النسخ الخ
(١) قوله «اكرام الجار» لانه اقرب ما يكون اليك من اخوانك المؤمنين فاذا فكر كل واحد باكرام جاره فان المملكة تصبح عبارة عن عائلة واحدة لان كل واحد يصدق عليه انه جار اما رأساً واما بالواسطة ولان الجار هو محك الذين يزعمون التصديق وحسن الخلق وكرم النفس فانه اذا لم يفعل ذلك مع جاره فهو مع الغريب لا يفعل ذلك الاتجاه طمع او لغرض في نفسه والاولو كان مخلصاً لكان جاره اولى به وقدوصى النبي صلى الله عليه وسلم حتى كاد بعض الصحابة يظن انه سيجعله وارثاً .
ولان فيه الانتقال من العائلة بالنوسع الى الجيران حتى اذا اكمل

وَعَنْ عَلِيٍّ . وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ . وَإِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 فِي الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ أَنَّهَا الْمَرْأَةُ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي رَوَايَةٍ كَذَلِكَ
 وَفِي رَوَايَةٍ عَنْهُ أَنَّهُ الرَّفِيقُ الصَّالِحُ ۝

وَلَحْدِيثٍ عَائِشَةَ فِي الصَّاحِبِينَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ
 مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِيَنِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ ۝ (١)

ذلك يصعد الى ما هو ارفق حتى يرى صالح المؤمنين صالحه وما يضرهم
 يضره قطعاً *

وقد بلغ من اثر الدسائس ان اصبحت العداوة تكاد نارها لا تطفأ
 بين الجيران وذلك لجهلهم بأمر دينهم لى توهن قواهم لان من لا يتفق
 مع جاره فهو مع الغريب أشد تنافراً وأشد تنافراً
 وهذا كله حق الجار الذى لم يكن بينك وبينه حقوق غير المجاورة اما
 اذا اجتمعت معه امور اخرى كالقربة وغيرها فان الحق يزداد ويطلب
 الاكرام اكثر طبعاً وسيأتى تقسيم الجار الى ثلاث قريبا *

(١) قوله ۝ حتى ظننت انه سيورثه ۝ لان علة الارث هي القربة وقد
 وجدت فكان امراً مظلوماً اى راجحاً كاد يكون امراً واقعياً لان الجار
 اقرب ما يكون اذ هو الذى يكون عوناً لك فى السراء والضراء وهو الذى
 يستطيع أن يلجى نداءك اذا استغثت به وهو الواقف على دخائل أحوالك
 والذى لا يخفى عليه شئ من أمورك فليس بكثير ان يكون وارثاً
 بعد ما ذكرناه ۝

وبه أنبأنا البيهقي أبو عبدالله الحافظ في مرآة حق الرفيق ثنا
 أبو العباس الأصم ثنا شعبة بن عثمان التنوخي ثنا محمد بن شمال ثنا
 عبدالرزاق عن معمر عن الزهري قال قال عبدالله بن عباس رضي
 الله عنهما ثلاثة لا يكافئهم عني إلا رب العالمين رجل فسح له في مجلسه

والجار له ثلاثة احوال جار له حق ، وهو المشرك ، له حق الجوار ، وجار
 له حقان وهو المسلم ، له حق الجوار ، وحق الاسلام ، وجار له ثلاثة
 حقوق . جار مسلم له رحم . له حق الاسلام ، والرحم ، والجواره
 فحفظ حق الجار من الايمان ، والاضرار به من الكبار : لقوله عليه السلام
 في بعض الروايات ، « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »
 وانظر الى أبناء زماننا كيف منعوا الجار حقه ، واستبدلوا الاكرام
 بالايذاء ، والاحسان بالاساءة ، حتى أصبح أقرب الناس جواراً أشدهم
 عداوة لجاره واعظمهم ضرراً ، واسرعهم تنكيلاً به ، واحرصهم على هتك
 عرضه ، ولا سيما إذا كان بينه وبين جاره رحم وقرابة فان الايذاء له يرداد
 ويتعاضد ، وكل ذلك من الجهل بالدين ، وعدم انتشار آداب الاسلام ،
 وتساهل العالمين بالاحكام نسال الله ان يوفق علماءنا الاعلام ، وامراءنا
 الكرام الى استدراك الخطب قبل استفحاله ، وقطع عرقه قبل سريانه ،
 بنشر التعليم بين المسلمين عامة ، وتخريج وعاظ ومرشدين قادرين على
 تفهيم العوام امر دينهم ، وبيان حقوق الافراد والجماعات ، وما ينشأ عن
 الجهل ، وترك الدين ، وتقليد الأجانب في الامور المخلّة ، والمفاسد
 المؤثرة في الهيئة الاجتماعية ، من سقوط الامة وانحطاطها ونشوب العدو
 عليها ، وافتراسها ، واستعباده اياها كما هو حاصل الان ، فيصبح الشعب

وَرَجُلٌ تَخْطِي الْحَقَّ وَالْمَجَالِسَ حَتَّى جَلَسَ إِلَى وَرَجُلٍ ذَكَرَ فِي اللَّيْلِ حَاجَتَهُ زَادَ فَرَأَى أَهْلًا لَهَا فَذَلِكَ لَا يُكَافئه عَنِ الْآرَبِ الْعَالَمِينَ»

(٦٨) اِكْرَامُ الضَّيْفِ حَدِيثُ أَبِي شَرِيحٍ الْعَدَوِيِّ فِي الصَّحِيحَيْنِ

قَالَ سَمِعْتُ أَذْنَاهُ وَابْصُرْتُ عَيْنَاهُ حِينَ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَقَالَ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» (١) قَالُوا

متعلما متيقظا لنفسه متمسكا بحقوقه : محترما لجاره ورحمه ، مقتديا بسلفه عاملا بشريعته ودينه ، ناظرا الى منفعة أخيه ووطنه ، مكبأ على رضاه وربه متباعدا عما يضر بقومه وأبناء جنسه ، متحاشيا الرذائل ، متحليا بالفضائل وغير ذلك من الصفات التي تقدمت

(١) قوله « فليكرم ضيفه جائزته » الخ وذلك لان اكرام الضيف من أعظم آداب الاسلام واشرف مكارم الاخلاق وما برحت مددوحة في كل الأمم والعصور ومدحتها جميع الشرائع والديانات وقيل بوجوبها واقل ما قيل فيها انها سنة مؤكدة

وهذه المرتبة هي التي امتاز بها الجار لان قربه يسهل عليه استحقاق الاكرام بخلاف الضيف فان بعده جعل الشارع يامر باكرامه لانه وان كان غير مجاور فهو احد من الجسد الاسلامي الذي اذا اشتكى عضوه منه تداعى اليه سائر الجسد بالحنى والسهر وذلك لان الشارع امر اولاي يقول الحق ولين القول والصدق فيه وفي العمل بمم اكرام الجار ليكون باذلا ماله — غير الزكاة الواجبة — للجار ثم ينتقل الى اكرام الضيف . وحدد له الشارع مدة اعظمها ثلاث ليال لانه ان بقي اكثر من ذلك بلا داع ولا موجب

وَمَا جَائِزُهُ ؟ قَالَ يَوْمَهُ وَلَيْلَتُهُ وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ
فَهُوَ صَدَقَ عَلَيْهِ وَقَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا
أَوْ لِيَصْمُتْ وَزَادَ فِي رَوَايَةٍ فِي أَوَّلِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيَسْكُرْ جَارَهُ ۝

(٦٩) السَّيْرُ عَلَى أَصْحَابِ الْقُرُوفِ أَيُّ الذُّنُوبِ لَقَوْلِهِ تَعَالَى:
(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (١)

فانه طفيلي غايته الاضرار بالناس فلاحق له في البقاء لمعارضته التعاليم
الالهية فبعد مضي المدة ينظر ان كان من الفقراء فان الضيافة تكون بعدئذ
صدقة عليه .

(١) قوله «السيّر على اصحاب القروف» الخ وهم الذين يحصل منهم
ذنوب بدون مجاهرة ولا اعلان غير مصرين على عملهم فهذا كانه تائب
والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فلا يستحق كشف عيوبه بل من الايمان
السيّر عليه لان الاذاعة في ذلك اشاعة للفاحشة في الذين امنوا ومن
كان كذلك فعليه ما قاله الله تعالى في بقية الاية لهم عذاب اليم في الدنيا والآخره
اما اذا كان مظلوما وذكرا ظالمه فهذا غير داخل في البحث بل لو فرضناه
داخل في العموم فقد خصصته اية لا يجب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم .
فعندئذ يجب زجره وتاديبه ليرتدع هو وينزجر غيره لأن هذا وظيفته
الحدود والتعذير

وَلَحَدِيثِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ
عَنْ أَبِيهِ «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ
كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللَّهُ
عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١)

(١) قوله «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه الخ» أى إلى غيره كى
يظلمه فإنه لا فرق بين الظالم ومن يقدر على الأخذ بيده ولكن لا يحول دون
وقوع الشر ولا يتحرك لأجل قبحه وذلك لأن الجميع عبارة عن جسد واحد
ومهما بلغ جنون امرئ فإنه لا يرضى بتقطيع أوصاله وتحمل
أسقامها وأمراضها ٥

وقوله «ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» مكافأة لعمله
الصالح لأن الخير الذى يصيب المؤمنين يكافئهم سيدهم عليه ما دام يعمل
لوجه الله تعالى فمن يقضى حوائج الناس فلا بد أن تكون حاجاته مقضية
بإذن الله تعالى ٥

وقوله «ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة» الخ
وهذا طبعاً ما عدا تفريج الكرب الدينية لأن الدنيا ليست دار جزاء نهى
لا تساوى شيئاً والا فإنه ينال قسماً وأفرأ من التفريج غير أن الله لم يذكرو
لأن الدنيا بأسرها حقيرة لا تستحق الذكر والاحلال إلا باعتبارها مقدمة
للاخرة ومزرعة لها لأنها دار الأعمال والابتلاء *

وقوله «ومن ستر مسلماً ستره الله» الخ لأنه عرف مقدار الشهوة
الإنسانية التى صيرت الإنسان غير معصوم من الوقوع فى مثل ذلك فلا شك

(٧٠) الصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ وَعَمَّا تَنْزِعُ النَّفْسُ إِلَيْهِ مِنْ لَذَّةٍ وَشَهْوَةٍ
 لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
 الْخَاشِعِينَ) (١) * عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ أَرَادَ بِالصَّبْرِ الصَّوْمَ هـ
 وَقَوْلُهُ (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
 إِلَيْهِ)

أن الله يستر على من ستر المؤمن أى مادام الذنب غير ماس بالدين فإن ستره
 حينئذ حرام لانه رضا أو مؤامرة على الدين فمثل هذا لا يجوز ستره بل
 لا بد من فصيحته ليحذر الناس وان عجزوا عن إقامة الحد عليه فانهم على
 الأقل ينفرون منه ويقاطعون هـ

وكذلك الستر مخصوص بما لا يتعلق بحقوق الناس والافمن رأى شخصاً
 يسرق مال غيره فلا ينبغي ان يستر عليه ويتركه ياخذ اموال الناس ظلماً
 وعدواناً بل يجب على الأقل إعادة المال او الحيلولة دون وقوع هذه
 الجريمة التي جعل الشارع حدها قطع اليد وكذلك سائر الاعمال الشخصية
 والحقوق العامة *

(١) « حقيقة الصبر » حبس النفس وكفها عن الجزع والسخط ،
 واللسان عن الشكوى ، والثبات على احكام الكتاب والسنة ، والصبر عند
 الصدمة الاولى وما بعدها يسهل عليك كل شيء ، ولما كان الصبر في المرتبة
 الاولى اخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم انه مع الصابرين بقوله :
 (ان الله مع الصابرين) وما اللطف قول الفاروق رضى الله عنه في هذه الآية
 التي ذكرها المصنف قال :

نعت الله تعالى الصابرين في هذه الآية بثلاث خلال كل واحدة منها
 خير من الدنيا وما فيها اولها انهم عليهم صلوات من ربهم وثانيتهما ان

الْبَهْرَاجُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) وَقَوْلُهُ (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ

عليهم منه رحمة وثالثها أنهم هم المهتدون وإى فوز بنعيم بعده هذا؟
قال على بن ابي طالب رضى الله عنه ، الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ، فمن لا صبر له لا ايمان له ، كما ان لا جسد لمن لا راس له ، وهو من اعظم الامور وانفعها ، لذلك ذكره المولى تعالى فى القرآن فى نحو تسعين موضعا ، وحكمه الوجوب باجماع الامة ، وحننا الله تعالى على الصبر ليتعلم الشخص الرجولية ويتصف بها حقيقة فيحبس النفس ولا يجزع فلا تظهر عليه ضعف عزيمة ولا خور فلا يبالى بالكوارث ولا يهتم بالمصائب وهذا هو شان الانسان السكامل والمرتبة التى يستحق صاحبها السيادة على غيره والظفر بخصمه وغلبة عدوه ولان للحدة اثر اقد يكون اسوء حالا بحسب النتيجة مما يوجد قبله وكذا الوهن والجن فقد يبعث الشخص الى الخضوع وقد عزة النفس حتى يصبح يجد كمال اللذة اذا بقى رقيقا او قنا بiece واستبقاؤه بيد عدوه فيحصر جل عمله على ارضاء سيده .

ولما كانت الشريعة الاسلامية شانها ان تعود المتمسكين بها ان يكونوا فى ارفع مراتب الشرف واعلى مناصب العزة فى تامرهم بالصبر عل المصائب ليستطيعوا المقاومة ويتمودوا المبارزة فلا يكثر ثوا بما يصيبهم علما منهم بانهم لا بد وانهم ناجحون فى الدنيا اذا اخلصوا لله ورسوله فى أعمالهم لان الظفر مقرون بالصبر قال تعالى : (واصبروا ان الله مع الصابرين) ولان القاعدة ان خصمك يكره ما تحب فاذا احببت دوام الخصام فهو بانضروية يكرهه ولم يقل له مجال الا التسليم لك ويحكمك فى نفسه ولهذا كانت قوة الكفر لا تستطيع ان تقف امام الصحابة والتابعين فكانوا بالقوة

وَلَحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِينَ قَالَ «جَاءَ
 أَنَسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ قَالَ فَجَعَلَ لَا يَسْأَلُهُ
 أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَعْطَاهُ حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ
 مَا يَكُونُ عِنْدَنَا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ نَذْخِرَهُ عَنْكُمْ فَانْهَ مِنْ يَسْتَعْفِفُ يَعْفِهِ اللَّهُ
 وَمَنْ يَسْتَغْنِ يَغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يَصْصِرْهُ اللَّهُ وَلَنْ يُعْطُوا عَطَاءَ خَيْرٍ
 وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»

وَحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا يُضَاقَلُ «دَخَلَ
 عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَعَكَا شَدِيدًا فَقُلْتُ إِنَّكَ لَتُوعَكُ

القليلة العدد يضربون أي قوة فيمزقون شملها ويفرقون أفرادها في مدة
 يسيرة هذا في الدنيا وأما في الآخرة فقد قال تعالى . (يجزون الغرفة بما
 صبروا) وقال تعالى : (وجزاءهم بما صبروا جنة وحريرا) وقال تعالى :
 «لِنَمَّا يُوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» . ولما كان الصبر عليه مدار معظم
 الأعمال كان أكثرها ذكرًا في القرآن العظيم وقد حدث الله تعالى وشرق
 عليه كثير حتى لم يجعل جزاءه مقدارا معينا ، و كمية معلومة بل هو مفوض
 إلى إرادته ومتعين بما عليه الصابر نظرا لتفاوته بحسب الكارثة أو التجلد
 والمقاومة والدفاع والاستحقاق (وقال الذين أوتوا العلم وبإيمانكم ثواب الله
 خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون) *

(١) الوعك - بسكون العين وفتحها - الحصى وقيل ألمها وقيل هو إرعاد
 الحصى وتحريكه إياها وقال صاحب المحكم الوعك الألم يجده الإنسان من شدة

وَعَكَ الرَّجُلَيْنِ فَقَالَ أَجَلَ أَوْعَكَ كَمَا يُوعَكَ رَجُلَانِ مِنْكُمْ قَالَ فَقُلْتُ
ذَلِكَ بَانَ لَكَ أَجْرَيْنِ قَالَ أَجَلَ وَمَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا
سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا *

(٧١) الزهد وقصر الأمل لقوله تعالى : (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) (١) *

التعب وقوله « أجل - بفتحات - بمعنى نعم »
والمعنى أجل أى نعم تصيبني الحُمى والالَم كما تصيب رجلاين منكم وذلك ليعلموا
أن هذه الدنيا دار كرب فلا يجزع الإنسان من النوائب فإن الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام الذين دأبهم إصلاح المجموع الإنساني فهم عدا ما يتحملونه
من أذى الناس يصيبهم من الآلام والأمراض أكثر وذلك ليعلموا الناس
بأنهم يجب تحمل البلاء وأن يظهر وأمن الصبر والحزم ما يكون به قدوة لأن
ما يأمرهم بالقول وبؤيده بالفعل يكون أعظم تأثيرا وأبلغ وقعا في النفس
وأیضا فإن لهم في الآخرة الدرجات العلى ولأن الأجر الذى يحصل على
البلاء هو أعظم من أجر العمل لأن ذلك تساعد عليه النفس وأما
تحمل هذا فإنه لا يكون إلا مع جهاد طويل وهممة عالية لا تعرف
كللا ولا ضعفا *

(١) قوله « الزهد وقصر الأمل » أى أنه لا يجعل في قلبه شاغلا يشغله عن
ربه فلا تميل نفسه إلى ملك الغير ولا يستبيح الحرام . وأما ما يوجد عنده من
المال فيعده كإمانة أيسر له التصرف فيها على أن يختبر هل هو قادر على
تأدية الوظيفة أم لا ؟ واعلم أن الناس قد أكثروا من الكلام على الزهد
ونذكر لك أهمه *

وَلَحْدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ « بُعِثْتُ أَنَا
وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِأَصْبَعَيْهِ السَّابِقَةِ وَالْوَسْطَى » *

قال الامام أحمد ، الزهد في الدنيا هو عدم فرحه باقبالها ، وحزنه على
إدبارها ، وقال الجنيد ، الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد ، وقال ابن خفيف
الزهد سلو القلب عن الاسباب ونفض الايدي من الاملاك ، والذي اجمع
عليه العارفون ، إن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا ، واخذه في منازل
الآخرة ، وقد قسم الزهد الامام أحمد إلى ثلاثة أوجه ، الا ، لترك الحرام
وهو زهد العوام ، والثاني ترك الفضول من الحلال ، وهو زهد الخواص
والثالث ترك ما يشغل عن الله ، وهو زهد العارفين ، وقد أشار المولى إلى
مدحه في القرآن في غير موضع وإلى ذم الدنيا والاعراض عنها . قال الله
تعالى (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل)
وقال (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) وقال
(اعلوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال
والاولاد) إلى قوله (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) والاحاديث في
ذلك كثيرة ، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر رضى الله عنه « أن رسول
الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفه (أى جنبيه)
فهر بجدى أسك ميت فتناوله فاخذ باذنه ثم قال أيكم يحب أن هذا له بدرهم
فقالوا ما نحب أنه لنا بشئ وما نضنع به قال أتحيون أنه لكم قالوا والله لو كان
حيأ كان عيباً فيه لانه أسك فكيف وهو ميت فقال فوالله للدنيا أهون على
الله من هذا عليكم » *

ومعنى أسك مقطوع الاذنين ، فالزهد في الشئ الاعراض عنه لاستقلاله
واحتقاره وارتفاع الهمة عنه ، يقال شئ زهيد أى قليل حقير وليس المراد

بالزهد رفض الدنيا واخراجها عن الملك، يدل له ما رواه الترمذي وابن ماجه
عن أبي ذر عن النبي ﷺ ، قال الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال
ولا إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تسكون بما في يديك أوثق
بما في يد الله وأن تسكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها رغبت فيها ولو أنها
حقبت لك *

وهذا اجمع كلام في الزهد وأحسنه ، وقد رواه موقفا الإمام أحمد
وابن أبي الدنيا ويشهد له ما ثبت عن نبي الله سليمان وداود عليهما الصلاة والسلام
أنهما كانا أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما ليس لغيرهما
وكان نبينا ﷺ أزهد البشر على الإطلاق وله تسعة نسوة ، وكان
على بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف . والزيير . وعثمان من
الزهاد مع ما لهم من الاموال والتجارة ، وكان الحسن بن علي من الزهاد
مع انه أكثر الامة محبة للنساء ونكاحا لهن وأغناها ، وهكذا كان أغلب
السلف من التابعين وتابع التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، والله الموفق *
(أما قصر الامل) فيعلم أن الموت حق وأن الطريق لا بد من سلوكه
فمهم ما طال عمره لا بد من شرب هذا الكأس وأن الحياة التي يذهب شطرها
في الطفولة ونصفها في الليل ومدة الجميع لا تزيد على مائة سنة الا نادرا
شيء يسير كيف يكون حالها *

فاذا استطاع ملاحظة هذه الجملة وأنه هالك لا محالة وقادم على رب يحاسبه
على أعماله فهو يستعد لذلك اليوم بفعل الخيرات واجتناب المحرمات والتباعد
عن المنكرات *

ليس الزهد هو أن يترك الانسان كل عمل أو يذر أمواله في كل ما يشتهيه وأن يكسل
ويقعد عاطلا فماذا الله أن يكون هذا من الايمان لأن هذا مناقض للاسلام
ومعارض للقرآن القائل (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) والقائل
(وان ليس للانسان الا ماسعى) . إنما العمل هو جهاد في الحياة يؤجر المرء

وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ «نَعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ

عَلَيْهِ بِمَا يُؤْجَرُ عَلَى الْعِبَادَاتِ :

ليس المرء الذي يبقى خاملا في داره أو ثاويا في إحدى الزوايا أو بعض المساجد المهجورة أو المطروقة هو الزاهد لأن الزهد لا يتعلق بالصورة الظاهرة وإنما هو لو كان زاهدا فإن ما يرعاه من أداء عبادته وورده لا يمنعه عن العمل بل في قدرته أن يسعى ويشتغل ويعمل حتى إذا جمع شيئا من حطام الدنيا لم يجد له محلا شاغرا في قلبه فهو ينفقه في سبيل الله في الطرق النافعة فهذا هو الزاهد حقا لأنه زهد في جسده فاتبعه حتى إذا حصل ثمن اتعابه زهد فيه أيضا فصرفه في الطرق النافعة والأعمال المقبولة التي تأتي بالذكر الحسن له في الدنيا والآجر الجزيل في العقب .

وكان كثير من الأنبياء عليهم السلام يملكون الأموال الطائلة والاماء العديدة والنساء الكثيرات وكذلك أزهد الناس وسيد الأنبياء كان عنده من النساء يوم توفي تسعة وقال جعل رزقي تحت ظل رحى والصحابة الكرام كان عندهم من هذا الشيء الوافر ولم يمنعهم عن أن يسموا زاهدا بل انهم هم الزهاد الحقيقيون حقا لأنك لو فحصت قلوبهم وقششتها جيدا لم تجد فيها ما يشغلها . فليس الزاهد من يترك الحلال لحسب قال تعالى . (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وليست بترك العمل وإنما الزاهد هو أن لا يرغب في ما لا يجوز له ويمتنع عن كل ما يحرم عليه ويجود بما يملك حسب قدرته ويساعد اخوانه بما يرضيهم من قول معروف أو صدقة نافعة أو مساعفة بما يحسن تاديبه فهذا الذي يستحق الحمد والثناء لسوكه ما كان عليه الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله واتباع طريق الاصحاب والسلف الصالح الاخياره

(١) قوله « نعتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ »

النَّاسُ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ « (١) •

وَبِهَ أَنبَانَا الْبَيْهَقِيُّ قَالَ أَشَدُّنِي أَبُو عَصَمَةَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ السَّجِسْتَانِي
بِالْبَصَرَةِ لِنَفْسِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى

أَنبَانَا خَيْرُ بَنِي آدَمَ وَمَا عَلَى أَحْمَدَ إِلَّا الْبَلَاغُ
النَّاسُ مَغْبُونُونَ فِي نِعْمَتِي صِحَّةُ أَبْدَانِهِمْ وَالْفَرَاغُ

أَخْرَجَ الْحَدِيثَ أَيْضًا النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
وَالْمَغْبُونُ الْخَاسِرُ وَالْمَعْنَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَعْمَلْهُمَا عَلَى وَجْهِهِمَا الْمَطْلُوبُ شَرْعًا
وَعَقْلًا فَقَدْ غَبِنَ فِيهِمَا أَيْ بَاعَهُمَا بِشَيْءٍ لَّا زَوْجُودَهُمَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَفِيدَ
مِنْهُ الْإِنْسَانُ فَقَدْ يَكُونُ صَحِيحًا وَيَمْنَعُهُ الْكَسْبُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ فَهَذَا
ظَلْفُهُ الشَّارِعَ بِالسَّعْيِ وَآخِرُ فَاغٍ لَا عَمَلَ لَهُ ، وَلَكِنْ وَجُودُهُ عَلِيلٌ فَهَذَا
يَكُونُ حَكْمُهُ كَسَابِقِ حَالِهِ قَبْلَ الْمَرَضِ ، وَلَكِنْ الَّذِي هُوَ قَوَى الْبَنِيَّةِ
رِزْقُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى عَنَاءٍ وَمَشَقَّةٍ ، فَهَذَا إِذَا أَضَاعَ أَوْقَاتَهُ سَدَى وَلَمْ يَعْبُدِ
اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُ لِلْعِبَادَةِ فَلَا شَكَّ أَنَّ عَمْرَهُ ذَهَبٌ بَارِخَصِ الْأَسْعَارِ وَابْتِخَسَ
الْإِثْمَانُ وَكَانَ مَغْبُونًا وَسِيرَى دَرَجَةِ غَبْنِهِ يَوْمَ يَجْرَى الْحِسَابُ وَيَرَى نَفْسَهُ
مَقْصُورًا وَغَيْرَهُ يَسِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ بِخَطَوَاتٍ وَاسِعَةٍ أَوْ يَمُرُّ كَهَيُوبِ الرِّيحِ يَوْمَئِذٍ
لَّا يَنْفَعُ النَّدَمَ إِذَا كَانَ أَضَاعَ عَمْرَهُ فِي الْمَعَاصِي وَلَمْ يَعْرِفْ حَقَّ هَذَا السُّوقِ
وَالْمَزْرَعَةِ الَّتِي هِيَ الدُّنْيَا الَّتِي سَيَجْنِي مِنْهَا رِبْحًا عَظِيمًا أَوْ حَاصِلَاتٍ جَيِّدَةٍ
فَإِذَا فَرَطَ فَهُوَ الْمَغْبُونُ الْخَاسِرُ فَقَدْ أَضَاعَ آخِرَتَهُ وَسَعَى فِي حَتْفِ نَفْسِهِ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)
يَرَهُ (اللَّهُمَّ ، اقْنَا لِعِبَادَتِكَ •

وَحَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ
خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَأَتَوْا الدُّنْيَا وَأَتَقُوا
النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ •

(١) قوله « إن الدنيا حلوة خضرة » الخ أى أنها كالقائمة الطرية
الحلوة تشاق لها النفوس وتطابها طلبا حيثما فإياكم أن تغرلها فإياكم تشبه
الثمار في سرعة الزوال فاحذروها ولا تعتبروها الا وسيلة لليوم الآخر، وقوله
« وان الله مستخلفكم » أى كما استخلف الامم الماضية ليظهر عملكم هل
هو الطاعة والامثال ؟ أم هو الشهوة والعصيان ؟ وقوله « واتقوا النساء »
فقد صدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فانه لما ظهرت فتنة
للا للنساء فيها مدخل او أصبع فكل حادثة أعرض أمرها أو عسر
الوقوف على كنهها ففتش عن المرأة فانك تجدها المحرك لهذا الامر
والدولاب الذى يدبر عمله فاحذروا منهم ممن لم تسكن بحجة بالاعتصام
ومعروفة بالزهد والورع بل أياكم والقرب منهم بغير وجه مشروع لأن
قرب النار من البارود لابد من اشتعاله مهما كان غير جيد ، تلك سنة الله
فى خلقه فعليكم بالحذر ، وأخذ الاحتياط فان فيمن مضى قبلكم من بنى
اسرائيل عبرة حسنة فلا تسلكوا ذلك الطريق المهلك بل عليكم بالصراط
الاقوم والمنهج المشروع الاسلام •

وحاصل قصة بنى اسرائيل التى ذكرت فى الأحاديث هى أن نبى الله
موسى عليه الصلاة والسلام لما نزل فى أرض بنى كنعان ، وصل خبره
إلى قوم بلعام وكان بلعام رئيسهم يحفظ الاسم الأعظم ومجيب الدعوة وفيه نزل
قوله تعالى (واتل عليهم نبا الذى آتينا آياتنا فانسلخ منها) الآية ،
فذهب قوم بلعام إلى بلعام ، وقالوا له أن هذا موسى بن عمران فى بنى

اسرائيل قد جاء بخرجننا من بلادنا ، وبقتلنا وانا قومك ، ليس لنا منزل
وانت مجاب الدعوة ، فاخرج وادع الله عليهم ، فقال ويلكم نبي الله معه
الملائكة والمؤمنون كيف اذهب ادعو عليهم وانا أعلم من الله ما أعلم ،
فلم يزالوا به حتى فتنوه . فافتن ، فركب حمارة له واراد أن يتوجه إلى
الجبيل ليدعو على موسى ومن معه ، فوقفت ولم تسر به ، فضرها فانطلقت
المولى تعالى الذي انطق كل شيء . فقالت ويحك يا بلعام أين تذهب أما ترى الملائكة
تردني فلم يرجع عن غيه ، حتى أشرف على رأس الجبل ، فجعل يدعو على موسى
وقومه ، ولا يدعو عليهم بشر الا صرف به لسانه ولا يدعو لقومه بخير
إلا صرف لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه أتدري يا بلعام ما تصنع ؟
انما تدعو لهم وتدعو علينا ، قال فهذا ما لا أملك ، هذا شيء قد غلب
الله عليه ، واندلع لسانه فوقع على صدره ، فقال لهم قد ذهبت الآن
منى الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المسكر والحيلة ، فسامر لكم واحتال ،
جملوا النساء واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى قوم موسى يبعثنها فيهم ،
ومروهن بان لا تمتنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فان زنى منهم واحد
كفيتهم ، ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة برجل عظيم من
بني اسرائيل فقام إليها فاخذ يدها حين أعجبه جمالها ، ثم أقبل بها حتى
وقف على موسى عليه السلام فقال اني أظنك ستقول هذه حرام عليك
فقال أجل هي حرام عليك لا تقرها ، قال فوالله لا اطيعك في هذا . فدخل
بها قبله فوقع عليها ، فارسل الله الطاعون في بني اسرائيل ، وكان صاحب
أمر موسى عليه السلام غائبا حينئذ ، وكان ذا بسطة في الخاق ، وقوة في
الباطش ، فجاء والطاعون يحرس ويحصد في بني اسرائيل ، فاخبر الخبر
فاخذ حربته ، ثم دخل القبة وهما متضاجعان . فانتظما بحربته ، ثم
خرج بهما رافعهما إلى السماء ، وجعل يقول اللهم هكذا فعل بمن عصيك
فرفع الطاعون لحسب من هلك من بني اسرائيل فوجد قد هلك منهم

(٧٢) الْغَيْرَةُ وَتَرَكَ الْمَذَاءَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (١) ۝

وَلَحْدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
يَغَارُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ» ۝

وَحَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

سَبَعُونَ الْفَأَ فِي سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ ، فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ ؛ وَاعْتَبِرْ . احْصَلْ
لِبُلْعَامِ الَّذِي أَوْقَى الْأَسْمَ الْأَعْظَمَ ، وَاجَابَةَ الدَّعْوَةِ . وَمَا نَفَعَهُ ذَلِكَ ، لَكُونَهُ
لَمْ يَعْمَلْ بِعَمَلِهِ النَّافِعِ ، وَلَمْ يَسْلُكْ سَبِيلَ الرِّشَادِ ، وَاتَّخَذَ عَلَيْهِ وَسِيلَةَ الْخُذْلَانِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَذَرِيعَةَ التَّنْكِيلِ بِهِمْ ، وَهَكَذَا كُلُّ عَالَمٍ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعَمَلِهِ ، وَاتَّخَذَهُ
آلَةً لِإِضْلَالِ النَّاسِ وَاسْتِثْبَاتِ الْأَمْوَالِ أَوِ الرِّيَاسَةِ وَالْجَاهِ كَانَ وَبِالْوَاحِدَةِ عَلَيْهِ
وَسُودَ وَجْهِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَقَادَهُ إِلَى عَذَابٍ شَدِيدٍ فِي الْآخِرَةِ ؛ نَسَالَ اللَّهُ حَسَنَ الْعَاقِبَةِ ۝
(١) الْغَيْرَةُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ قَالَ فِي النِّهَايَةِ هِيَ الْحِمْيَةُ وَالْأَنْفَةُ وَقَالَ
الْقَاضِي فِي الْمَشَارِقِ هِيَ تَغْيِيرُ الْقَلْبِ وَهَيْجَانُ الْغَضَبِ ، أَيْ عِنْدَ رُؤْيَا أَوْ سَمَاعِ
مَا لَا يَنْبَغِي ، يُقَالُ رَجُلٌ غَيُورٌ وَامْرَأَةٌ غَيُورٌ وَالْمَذَامُ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَالْمَدَى يُقَالُ
أَمَدَى الرَّجُلِ وَمَا ذِي إِذَا قَادَ عَلَى أَهْلِهِ وَيُرْوَى الْمَذَالُ مِنَ النِّفَاقِ بِاللَّامِ وَهُوَ أَنْ يَنْقَلِقَ
الرَّجُلُ وَيَنْزَعِجَ عَنْ فِرَاشِهِ الَّذِي يَضَاجِعُ عَلَيْهِ حَلِيلَتَهُ وَيَتَحَوَّلَ عَنْهُ لِيَفْتَرِشَ غَيْرَهُ ۝

ﷺ كَانَ عِنْدَهَا وَفِي الْبَيْتِ مَخْنَثٌ فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ أَخِي
 أُمِّ سَلَمَةَ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ الطَّائِفَ غَدًا فَاتَى أَدْلَكَ عَلَى ابْنَةِ
 غِيلَانَ فَانْهَ تَقْبِلُ بَارِعٌ وَتَدْبِرُ بَثْنَانٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَدْخُلَنَّ
 هَؤُلَاءَ عَلَيْكُمْ « (١) »

(١) المخنث هو الذي يشبه النساء في أقواله وأفعاله ، تارة يكون هذا
 خلقيا وتارة تكلفيا ، والثاني هو المذموم الملعون صاحبه ، وأم المخنث في
 هذا الزمان هو الذي يؤتى ليلاط به ، وقول المخنث ثقيل باربع وتدبر
 بثنان هو وصف للمرأة ، وحاصله أنها اسمينة ولبطنها طيات من السمن من كل
 ناحية ثنتان ؛ ولكل واحدة طرفان ، فاذا أدبرت صارت الاطراف ثمانية
 قال ابن السكبي ، قال المخنث بعد قوله وتدبر بثنان ، مع ثغر كالاقحوان ان
 قعدت ثنت ، وان تكلمت ثقت ، بين رجلها مثل الاناء المسكوف ،
 ورسول الله ﷺ يسمع : فقال لقد غلغل النظر اليها يا عدو الله ثم أجلاه عن
 المدينة ، واسم ابنة غيلان بادية وقيل بادية فلما فتح الطائف أسلبت وتزوجها
 عبد الرحمن بن عوف وولدت له ، ولا يخفى عليك ما حصل من النبي ﷺ حين
 سماعه كلام المخنث من الغيرة وهيجان الغضب واجلاه عن المدينة لئلا ينتشر هذا
 الداء العضال في الامة ، ويسرى سرعان السكب بصاحبه ، فهلا يتنبه علماءنا
 وأمرؤنا إلى ذلك ، ويجلون هذه الطائفة الخبيثة ، ويبعدونها عن البلاد ،
 ويضربون على أيديهم بسوط من حديد ، فقد انتشر فسادهم وعم ضررهم ،
 وفسدت اخلاق الامة وكثر المتشبهون بالنساء بسبب ذلك ولم نر أحدا من
 العلماء ، أو الامراء تكلم بذلك ونشر مقالة أو الف رسالة في بيان فساد
 بقاء هذه الشرذمة القبيحة والطائفة المشؤومة على الامة بين ظهرانيها وقد تقدم بيان

وَرَوَى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « الْغَيْرَةُ مِنَ الْإِيمَانِ وَإِنَّ الْمَذَاءَ مِنَ النِّفَاقِ قَالَ الْحَلِيمِيُّ : هُوَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ ثُمَّ يَخْلِيهِمْ بِمَا ذِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَآخِذَ مِنَ الْمَذَى ، وَقِيلَ : هُوَ أَرْسَالُ الرَّجَالِ مَعَ النِّسَاءِ مِنْ قَوْلِهِ مَذَبْتُ الْفَرَسَ إِذَا أَرْسَلْتَهَا تَرْعَى »

حكم اللواط في بابه فارجع اليه .

الغيرة من الايمان لانها تعرب عن ان القائم بها يمثل لامر ربه سامع لكلامه حيث يفعل من سماع ما لاترضاه الديانة الاسلامية فلا يود سماع هذا النبا وذلك بان يتخذ الحيلة لعدم وقوعه بابعاد الخنثين عن داره وبابعد ارباب الشبه الذين اتهموا بفساد الاخلاق وقبح الاعمال لاسيما اهل عصرنا الحاضر الذي ملئ هيكله فسادا وشرا مستطيرا فياك انها العامل ان تدخل في بيتك احدا من الشباب الناشئ ولو كان من ذوى رحمك واصدقائك فانك اذا ادخلت احدا دارك لندمت وتلوث عرضك وبما امكنتك استدراك ما فات ووقع ، وانظر ما ينشر في الجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية من وقوع جرائم كبيرة متعددة بسبب ذلك فان الله ولنا اليه راجعون وقوله ان المذاء من النفاق حيث أنه أراد ان لا يحفظ زوجته بالسماح لغيره بان يختلي بها الذي أقل درجاته المذاء مقدمة غيره من المفاسد فهو عدا عن نفاقه لاشرف عنده إذا عرب بعمله هذا عن انحطاطه وسوء خلقه وقلة حيائه وقد الغيرة فهو كما انه لا يريد له نسل لاجل الاوصار اخط من البهائم التي تغار على أنثاهما فالكلب خير منه لان عنده من الغيرة ما يخاصم غيره اذا أراد اشراكه نعم ان له شبيها في الخنزير الذي لا غيرة عنده ولا يتاثر بذلك ولو امنعت النظر وفحصت المسالة لوجدت ان غالب الذين ياكلون لحم

(٧٣) (الاعراض عن اللغو لقوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ
الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللِّغْوِ مُعْرِضُونَ) (١)
وقوله : (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللِّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)
وقوله : (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) *

وَاللِّغْوُ الْبَاطِلُ الَّذِي لَا يَعْنِيهِ وَلَا يَتَّصِلُ بِقَصْدٍ صَحِيحٍ وَلَا يَكُونُ لِقَائِهِ
فِيهِ فَائِدَةٌ وَرَبَّمَا كَانَ وَبَالًا عَلَيْهِ .

وفي حديث أبي سلمة عن أبي هريرة وعلي بن الحسين عن أبيه عن
علي رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ قال من حسن إسلام المرأة (٢)

هذا الحيوان النجس لاغيرة عندهم فهم اصل جرثومة الفساد وعلة
نشرها وتعميمها .

(١) (قوله الاعراض عن اللغو) اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذي
يورد لا عن روية وفكر فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من
الطيور ، وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا قاله الراغب ، والنهي عنه لانه لاخير
يرجى منه ولا يمكن ان يكون سببا في دفع ضرر والانسان يسعى لعمل اما فيه
منفعة او دفع مضرة اما اذا خلا عن الامرين فلا بد من اجتنابه ولانه محقق ان
لاخير فيه فاذا بقي باب الشر مفتوحا ولا يبعد ان يلج به او يدخل عليه غيره
إلى أن يقع فيما لا تحمد عقباه لهذا منع الشارع الخوض في مثل ذلك لما
أنه لا فائدة فيه ولأنه يؤدي الى الضرر :

(٢) « قوله من حسن إسلام المرأة ترك ما لا يعنيه » هذا الحديث أصل عظيم

من أصول الآداب الشرعية والاجتماعية ولذلك قيل: جماع آداب الخير وازمته في أربعة أحاديث هذا أحدها ورواه الترمذي وابن ماجه وهو حسن كما قال النووي في الاربعين ووافقه على ذلك الحافظ ابن رجب وحكمة النهي المضمون انه لا فائدة له في ما لا يعنيه والمؤمن لا ينبغي أن لا تكون أعماله عبثا ولا أوقاته تذهب هدرًا وان لكل فرد عملاً يجب ان يتقنه ويقوم به لأن الانسان يستحيل عليه أن يقوم بكل الأعمال فالبشر مضطرون إلى الاجتماع وتوزيع الأعمال من زراعة وصناعة وتجارة وحفظ أمن وصون كيان الامة واقامة العدل وغير ذلك فاذا اشرك الانسان غيره في عمله فانه لا يتمكن من ايفاء عمل نفسه ورفيقه المعترض عليه أيضا يفعل مثله فيختل النظام وتصبح الأمور فوضى .

ولا يرد على خاطرك أن هذا فيه إباحة لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمعاذ الله ان يكون ذلك وكيف وهذا امر يتعلق بالعموم والخصوص والافراد والمجموع لأن انتشار فساد الأرض اشد اضراراً من انتشار الأمراض السارية والعلل الفاتكة في الاجساد ولا سيما في عصرنا هذا فقد أصبحت طرق الوقاية من الأوبئة متقنة وكثرت معالجاتها وأصبح الشفاء منها ليس بالأمر البعيد بخلاف الأمراض النفسية فإن بلاءها في ازدياد وقتها في جسم الامة أصبح شاملاً للطبقات كافة بحيث يشق التخلص منه لانه ليس امر محسوسا ليهيئ الانسان له الاستعدادات ويتخذ الحيلة لاجله فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو علاج هذه الأمراض ولا يقوم غيره . مقامه فاذن لا شتمال لهذا الحديث عليهما أصلاً . وإنما المراد ما يتعلق بالشخصيات والأعمال الفردية التي تعد المداخلة فيها هتكاً للحرية وتعدياً على الغير وتجاوزاً على حقوقه هـ

وَبِهْ أَنْبَاْنَا الْبِيهَقِيْ أَنْبَاْنَا أَبُوْ عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِظُ ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ
إِسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عُمَيَّانَ الْخَنَاطَ قَالَ سَمِعْتُ ذَا النُّونَ يَقُولُ مَنْ أَحَبَّ
اللَّهُ عَاشَ ، وَمَنْ مَالَ إِلَى غَيْرِهِ طَاشَ ، وَالْأَحْمَقُ يَغْدُو وَيَرُوحُ فِي لَاشَ ،
وَالْعَاقِلُ عَنْ خَوَاطِرِ نَفْسِهِ فَتَاشَ . *

(٧٤) الْجُودُ وَالسَّخَاءُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ

(١) قوله « من أحب الله عاش » لأنه أدرك معنى الحياة وفهم ما يطلب منه وما يقصد من خلقه ووجوده فهو العاشق وسواه ميت أو حجر لا فائدة فيه ، وقوله « ومن مال إلى غيره طاش » حيث خرج عن حده ولم يدر إلا الضلال فهو محكوم عليه بالتيه واضاعة المحجة المستقيمة ، والأحمق يغدو ويروح في لاش لأنه لا ثمرة تحصل من أعماله فهو عقيم النتيجة فاقد المنفعة فلا تثمر له أعماله خيراً أصلاً .

وقوله « والعاقل عن خواطر نفسه فتاش » يتحرى منها النافع فيعمله والضرار فيتجنبه فلا يترك الخيال يذهب بدون تدقيق وحساب وهذا هو العقل لأنه استطاع أن يعقل حتى خياله وتصوره *
(١) الجود والسخاء والكرم بمعنى ، وهو اتفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي ، ويقابله البخل وقد أمر بالجود المولى ومدحه في كتابه المبين ، وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ وكان نبينا ﷺ لا يوازي في الكرم والجود ولا يبارى ، وبه وصفه كل من عرفه ، وما سئل قط فقال لا ، لما رواه البخاري في صحيحه والترمذي وغيرهما عن جابر . - الله عنه قال : ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال

مَنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ وَلَقَوْلِهِ فِي
عَكْسِهِ : (وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ (وَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ

لا وأنشد حسان :

ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد لم تسمع له لالا
وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ، كان النبي ﷺ
أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان ، وكان أجود بالخير
من الريح المرسلة ، وهكذا كانت حاله ﷺ قبل أن يبعث ه
وفي صحيح مسلم عن انس رضي الله عنه ، ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين
جبلين . فرجع الى قومه ، وقال اسلموا فان محمداً يعطي عطاء من
لا يخشى فاقة . واعطى غير واحد مائة من الابل . واعطى صفوان بن امية
مائة ثم مائة ثم مائة وكان مشركا . فقال اشهد بالله ما طابت بهذا الانفس
نبي واسلم *

ورد على هو ازن سباياها وكانوا ستة الاف نفس مع اموالهم وكانت
بخمسمائة الف الف ، وحمل اليه ﷺ تسعون الف درهم فوضعت على حصير
ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها ، وجاءه رجل فسأله ،
فقال ما عندى شيء ، ولكن ابتهج على ، فاذا جاءنا شيء قضينا به ، فقال
له عمر رضي الله عنه ، ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك ﷺ فقال رجل
من الانصار يا رسول الله ، انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم عليه
الصلاة والسلام وعرف البشر في وجهه ، وقال بهذا امرت ، والخبر بكرمه

وجوده لا يحصى فعن البحر حدث ولا حرج *

ولاشك أن النفس مجبولة على حب من احسن اليها فالسخاء هو أعظم وسائل التعارف واهم وسائل التجارب فلذلك كان من شعب الايمان بل من ذوات الالهية فيها ذلك لانه من الدواعي الى اجتماع الكلمة وتوحيد القلوب وحب الناس بعضهم بعضا فالجود من المزايا التي يجب ان يتحقق بها المؤمن ويعلم ان الموت خلفه بالمرصاد وانه ليس له من ماله الا ما قدمت يداه بما ينفقه في طرق الخير في هذه الحياة فانه محفوظ له .

(١) أمر الله تعالى عباده بالمسارعة والمبادرة إلى مغفرته تعالى ليفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للذين اتقوا الله ووصفهم المولى بقوله (الذين ينفقون في السراء والضراء) أى لاستواء الطرفين لديهم فهم ينفقون في اليسر والعسر فلا يخلون ولو وصل بهم الحال إلى ما وصفهم الله تعالى بقوله : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) والمراد من نفقة الاعسار أنه يساعد البائس فيما يقدر عليه وإن كان زهيدا كما في مسند أحمدو البخارى ومسلم عن عدى قال قال رسول الله ﷺ : «اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة» فالصدقة وإن كانت شق تمرة لا ينبغي أن يستقلها بل يجوز أن يكون لها عند الله وقع لا توازيه ألوف الدنياير .

ولاسيما عند ملاحظة المنتدق واحتياج الآخذ ، وبعضهم يحمل الآية على أن السراء السرور والضراء الحزن والغم فهو في كلتا الحالتين لا يتقاعسر عن الانفاق .

ويحتمل أيضا أن يكون السراء ما ينفقه في حياته وفي الضراء ما يوصى به بعد موته ، والخلاصة أن الصدقات بانواعها جميعا هي سبب لرضا الله تعالى وأما الذين يخلون بان لم يعطوا حقوق الله الموجدرة عندهم أمانة كي يؤدوها الى الفقراء او يمنعون الغير بانفساد الرأى عن أداء مثل ذلك فاولئك لهم

نَفْسِهِ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)
وغيرها من الآيات *

وَلَحْدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ «مَنْ يَوْمَ يُصْبِحُ الْعِبَادَ فِيهِ
إِلَّا مَلَكَانُ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ
اللَّهُمَّ اعْطِ مُمَسَّكَ تَلْفًا» (١) هـ

عذاب الأيم وما لهم من ماصرين ذلك لأنهم خانوا الأمانة التي أودعت
عندهم وظنوا أنهم إلى ربهم لا يرجعون *
وقوله (ومن يوق شح نفسه) أي يؤم نفسه بأن يتخلص من البخل
والحرص وعرف أن هذا المال الذي يستموت لأجله لا ينفعه بعد موته إلا
ما كان خالصا لوجه الله الكريم فحينئذ استطاع أن يتخذ وقاية من
شح النفس فلا تتسلط عليه ولا تنقلب عليه فالذين يفعلون ذلك فأولئك
هم المفلحون في الدنيا بالحب والجاه . وفي الآخرة بالدرجات الرفيعة
والنواب الجزيل هـ

(١) الخلف العوض يقال خلف الله لك خلفا - بفتح اللام - واخلف
عليك خيرا أي ابدلك بما ذهب منك وعوضك عنه ؛ وقيل إذا ذهب للرجل
ما يخلفه مثل المال والولد قيل اخلف الله لك وعليك وإذا ذهب له ما لا يخلفه
غالبا كالآب والام قيل خلف الله عليك ، وقد يقال خلف الله عليك إذا مات
لك ميت أي كان الله خليفة عليك واخلف الله عليك أي ابدلك ، والتلف
الهلاك يقال تلف الشيء تلفا هلك فهو تالف ، والتلفته ورجل متلف لماله
ومتلاف للمبالغة *

والمعنى اللهم اعط منفقاً خلفا بأن يبارك له في رزقه حتى يستعمله فيما

(٧٥) رَحْمُ الصَّغِيرِ وَتَوْقِيرُ الْكَبِيرِ (١) لِحَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ

يرضاه الله تعالى ويتباعده عن كل ما يكرهه ، واعط مسكاً تلقا اى ان امواله
تذهب بلا فائدة تعود عليه ومصيرها الى التلف والزوال وان بقيت حياته
فان ابنائه من بعده سيوزعونها وتذهب شذراً مذكراً اما الصالح فان ماله يحفظ
لاعقابه من بعده وبذلك صرحت آية (وكان ابوهما صالحاً) بل ان
احترام كثير من الناس اليوم بسبب صلاح اسلافهم لا بسبب
امر آخر *

وان الامساك المراد منه ان لا يؤدى الى الفقراء حقوقهم من الزكاة اما
اذ ادى عليه فهذا لا يقال عنه مسك بل يسمى منفقاً لانه اطاع فليس
مكلفاً بعد ذلك الا لشخص غلب عليه الجوع حتى كاد يموت قال هذه
حالة استثنائية فان هذا البائس لومات ياتهم كل من علم بحاله ويعتبر قاتلاً
وان كان لا قود عليه ولا دية ولكن يتحمل عذاب قاتل أنيم . وانك
لو أمعنت النظر في حال البخلاء لوجدتهم اعمس حالاً من البوساء في تعب البدن
وتهموش الفكر واضطراب القلب عند كل ما يظهر انه سيكلف بدفع شيء
ولاشك ان هذا عظيم مؤلم حمانا الله من شر ذلك *

(١) قوله « رَحْمُ الصَّغِيرِ » بأن يعطف عليه ويرق قلبه له حتى تظهر
نتيجته وهو التفضل والاحسان وهذه لا تنزع إلا من شقى لم يرد الله به خيراً
فان من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى وان فقدوها بسبب النفرة والشقاق
فكان من لارحة عنده يريد قطع السلسلة التي تربط الماضي بالمستقبل لان
من المعلوم ان صفار اليوم هم كبار العصر الآتى *

وقوله « وَتَوْقِيرُ الْكَبِيرِ » وذلك تجاه الخدمات التي أداها في ادواره
الاول السابق على زمانك ليكن أقل شيء تؤديه تجاه دينه عليك هو التوقير

الله في صحيح مسلم «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى» (١) *
 وحديث أبي هريرة في الصحيحين «جعل الله الرحمة مائة جزء
 فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن
 ذلك الجزء يتراحم الخلاق حتى ترفع الفرس حافرهما عن ولدها
 خشية أن تُصيبه» *

وحديث عبد الله بن عمرو في سنن أبي داود ومسلم «من لم (٢)

لأن الكبير هو الذي نقل لك ما في الماضي اذ لم يكن قد أوجد لك أمورا قد
 اخترعها عقله وأذاب دماغه فقد اصاعز منا غير قليل في سبيل منفعتك فيجب عليك
 توقيره وان تعلم بأن ما تعلمه ما هو إلا بسببه وكل أمة لا تحترم كبارها فهي
 محكوم عليها بالسقوط إما بأنها لا ماضي لها أو لأنها لا تحفظ الجليل
 ولا تجزى الحسنة بمثلها وإنما يريد أن تجزى الحسنة بالسبئية وهذا هو
 الانحطاط أو وسائله القوية *

(١) قوله «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى» لأنه إذا لم يشفق
 على عباد الله تعالى إما لأنه يراهم دون ما وضعهم الله فيه من التبريم بقوله
 «ولقد كرمتنا بني آدم» فإنه يتحقق عندئذ غضب الله لعدم امتثاله ما جاء في
 القرآن الكريم وإما لأنه خال من الرحمة فالجزاء يكون من جنس ما كان
 عليه أو وفق عمله وحيث أن أعماله ليس فيها شيء من الرحمة بعباد الله تعالى
 فإنه لا يصيبه شيء من رحمة الله تعالى كما أنه لم يصب غيره مما يقدر عليه من
 العطف والرحمة *

(٢) قوله «من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا فليس منا» لأن

يَرْحَمُ صَغِيرَنَا وَلَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا» .

وَرَوَيْنَا فِي الصَّحَاحِ فِي حَدِيثِ الْقَسَّامَةِ « كَبَرُ الْكُبَرِ أَوْ الْكُبَرِ الْكُبَرُ أَيْ يَتَكَلَّمُ أَكْبَرُكُمْ » وَفِي حَدِيثِ الْأَمَامَةِ وَلِيُّكُمْ أَكْبَرُكُمْ .

(٧٦) (إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ (١)) اقُولُهُ تَعَالَى (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ

ظَاهِرِ حَالِهِ يَشْهَدُ بِذَلِكَ حَيْثُ قُطِعَ سُلْسَلَةُ الْمَاضِي بِعَدَمِ مَعْرِفَةِ حَقِّ الْكَبِيرِ وَقُطِعَ سُلْسَلَةُ الْآتِي بِعَدَمِ رَحْمَةِ الصَّغِيرِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مُعَاصِرُوهُ وَهَؤُلَاءِ إِنْ يَكُنْ يَتَفَاهَمُ مَعَهُمْ فَانْهَ مَضْطَرُ لَذَلِكَ أَوْ يَرِيدُ أَنْ يَخْدَعَهُمْ وَلَا شَكَّ بَأَنْ مِثْلَ هَذَا يَجِبُ أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهُ مَا دَامَ لَا يَعْرِفُ عَلَى الْمَاضِي وَلَا عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ فَهُوَ بِهَيْمَةٍ نَازِلٌ عَنِ الْمَرْتَبَةِ الْإِنْسَانِيَةِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ فِي عِدَادِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهَا : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) .

(١) قَوْلُهُ كَبَرُ الْكَبَرِ أَيْ قَدَمُ الْكَبَرِ لِأَنَّ الْكَبَرِ بَضْمٌ الْكَافِ وَسُكُونُ الْمِيمِ جَمْعُ الْأَكْبَرِ وَهَذَا فِيمَا إِذَا تَسَاوَوْا فِي الْفَضْلِ فَإِنَّ لِّلْسَنَ زِيَادَةً فِي الْإِخْتِبَارِ وَالْحِكْمَةِ وَحَقُّ إِصْصَالِ الْمَاضِي وَرَبْطُهُ بِالْحَالِ وَلِهَذَا قَالَ الشَّارِعُ قَدَمُ الْأَكْبَرِ وَلَمْ يَقُلْ الْأَسْنُ لِأَنَّ فِيهِ مِيزَةً فَكَانَ أَكْبَرُ مِنْهُ فَإِنَّ الْأَسْنَ غَيْرُ الْأَكْبَرِ فَقَدْ سَأَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ هُوَ أَكْبَرُ وَأَنَا أَسْنُ مِنْهُ ، وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ الْأَمَامَةِ « فَلْيُؤْمَرْكُمْ أَكْبَرُكُمْ » فَإِنَّ مَعْنَاهُ مَا قُلْنَاهُ أَيْ بَعْدَ تَسَاوِيهِمَا فِي الْقِرَاءَةِ وَالْفَقْهِ وَالْآنَ فَإِنَّ مَجْرَدَ الْكَبَرِ لَيْسَ سَبِيلًا فِي التَّقْدِيمِ لِلْإِمَامَةِ بَلْ أَنَّهُ مَرْجِعٌ عِنْدَ الْمُسَاوَاةِ فِي الْأُمُورِ الْآخِرَةِ الَّتِي تَقْدَمُ عَلَى السَّنِّ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ وَمَدُونٌ فِي كُتُبِ الْفَقْهِ .

(١) الْإِصْلَاحُ التَّوْفِيقُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَالصَّلَاحُ اسْمٌ بِمَعْنَى الْمَصَالِحَةِ

مَنْ نَجَّوْهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِسَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا
وَقَوْلُهُ : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) أَيْ بَيْنَ
كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْكُمْ » *

وأصله من الإصلاح ضد الفساد ، والصالح اقسام . صلح بين المتغاضبين
ويدخل فيه الزوجان ، و صلح بين الفئة الباغية والعادلة . والصالح في
الجراح ، و صلح المسلم مع الكافر و صلح لقطع الخصومات إذا وقعت
المزاحمة في الأملاك أو المشتركات كالشوارع ، والمراد به هنا ما يعم الجميع *
والنجم - سوى مصدر أو اسم مصدر ، معناه المسارة بالحديث ، أى
الكلام الذى يتفرد به الجماعة أو الاثنان سرا ، وهى مظنة الاثم والشر
يدل له قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْآثِمِ
وَالْعَدُوِّ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبَرِّ وَالتَّقْوَى) الآية ، لأن العادة
استحباب اظهار الخير والتحدث به جهرأ وإخفاء الشر وكنهانه ، وقيد
جاء فى الحديث ، « الاثم ماحاك فى النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس »
وعلى كل فالسعى للإصلاح بين الناس أمر مطلوب من الناس ومحمود وعليه
سواء كان بين الزوجين أو بين الخارجين على الأمة وبين الأمة أو بين
سائر المخاصمات ، فان هذا من شعب الايمان لأنه يبعث على تجدد المحبة
والموالاتة ولا سيما إذا حصل الصلح عقب شادة ومنازعة فانه يكون آدم
وانفذ وقد جرت العادة أن المودة تستحكم عراها وليست على المسلمين
نعمة أعظم من توحيد ظلتهم واجتماعهم بعد التفرقة قال تعالى خطابا لرسوله
(هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ وَمِنْهُمْ قَوْمٌ لَاقِنَ) أى الذين اختلفوا فى الارض

وَلَحْدِيثٍ أَمْ كَلْتُمُوهُ بَنْتُ عَقِبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي
 الصَّحِيحَيْنِ « لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصَاحُّ بَيْنَ النَّاسِ فَيَقُولُ خَيْرًا
 وَيُسَمِّي خَيْرًا قَالَتْ وَلَمْ يَسْمَعْهُ يَرْخِصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبًا
 إِلَّا فِي ثَلَاثِ الْحَرْبِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثِ الرَّجُلِ أَمْرَاتِهِ
 وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا » (١) *

جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم) وقال
 تعالى خطابا للمسلمين : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف
 بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم
 منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) وهما يكن الزاع فان مصيره
 الى التفرقة وتسيطر العدو والمخاصم بخلاف الصلح فانه يوجد كتلة قوية
 دائمة نشيطة قال تعالى : (والصلح خير واحضرت الأنفس الشح) وقال
 تعالى (فان فاءت فاصالحوا بينهم بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين
 انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) هـ
 (١) قوله « ويسمى خيرا » هكذا رواية مسلم بدون أو ، ورواية البخاري
 هكذا ، ويسمى خيرا أو يقول خيرا ، وهو شك من الراوى ، قال ابن الأثير
 نقلا عن أبي عبيد . وابن قتبية وغيرهما ، يقال سميت الحديث أتمية اذا بلغته
 على وجه الاصلاح وطلب الخير ، فاذا بلغته على وجه الافساد والبيمة قلت
 نميته بالتشديد اه وعزه ابن حجر في الفتح الى الجمهور ، قال الحافظ قال
 العلماء المراد به هنا أنه يخبر بما عليه من الخير ويسكت عما عليه من الشر ولا
 يكون ذلك كذبا لأن الكذب الاخبار بالشئ على ما هو به وهذا ساكت

﴿٧٧﴾ أَنَّ يُحِبَّ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُ
مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ وَيَدْخُلُ فِيهِ إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ الْمُشَارِّ إِلَيْهِ فِي
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِينَ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ
وَسِتُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ
الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» ٥

ولا ينسب لساكت قول ، ولا حجة فيه لمن قال يشترط في الكذب الفصد إليه
لان هذا ساكت اه وقولها ولم أسمعه يرخس الخ هذه زيادة مدرجة في الحديث
من كلام الزهري بينها مسلم في روايته من طريق يونس عن الزهري فذكر
الحديث قال : قال الزهري الخ ٥

واختلف العلماء في معنى ذلك على أقوال والذي تميل إليه النفس ويقبله
العقل السليم وتشهد له الأدلة هو ان هذا ليس من قبيل الكذب المحض بل
هو من قبيل التورية واستعمال المعارض بأن يأتي بكلمات محتملة
يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه فاذا سعى في الإصلاح نقل من هؤلاء إلى
هؤلاء كذلك ووري ، وكذلك في الحرب يأتي بالفاظ تحتمل وجهين
فيورى بها عن أحد المعنيين ليغتر السامع بأحدهما من الآخر ، ومن هذا
الباب ما رواه الترمذي في شمائله عن النبي ﷺ انه مازح عجوزا فقال لها
«لا تدخل الجنة عجوز» فاهمها في ظاهر الأمر ان المعجزة لا يدخلن الجنة
أصلا ، وانما أراد انهن لا يدخلن الجنة الاشبايا ، وما جاء عن ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وغيره محمول على ذلك ، فنفظن ٥

(١) قوله «ان يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه» الخ هذا الحديث

وَحَدِيثُ أَنَسٍ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ
لَاخِيَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» *

وَحَدِيثُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِإِيعَازِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنَّصِيحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ (١) هـ

هو الذي يصح ان يقال هو روح الاصلاح وهو عنوان الامة في صعودها وهبوطها أو في عزها وسقوطها لان من أحب لغيره ما أحب لنفسه فقد تحرر من العوائق النفسية والمطامع الذاتية مندمجين أو ذائبين في بودقة الامة لا يعرفون الشرف ولا المنافع التي تدر عليهم وحدهم بل يلاحظ كل واحد مصلحة أخيه فيزول الشر ولا يبقى حاكم ولا محكوم لان الكل اخوان لا يريدون الا بيان الحقيقة اذا أبهم عليهم الحكم وأشكل الامر فلا حاجة للحراسة ولا لكثير من الامور التي اضطر الناس اليها بسائق تمدى ارباب الاخلاق السافلة والطباع الخبيثة، وفي الحقيقة ان ما ينشأ عن هذا الحديث من الاحكام لا تسكفي له هذه العجالة وانما يمكن جمع فائدته في أنه رافع للشر والفساد وكافل لاصلاح الامة ونهوضها ورفقها وتقدمها والله أعلم (١) قوله « جرير بن عبد الله » هو ابو عبد الله جرير بن عبد الله البجلي منسوب الى بجيله وهي قبيلة معروفة وقدم على رسول الله ﷺ سنة عشر في رمضان واسلم وبايعه على ما في الحديث وتوفي في قرقيسيا سنة احدى وخمسين ، وقوله في الحديث « والنصح لكل مسلم » اي النصيحة لكل مسلم لافرق بين الملك وامير وعالم وعلو كرفقير وقد فصل ذلك في حديث مسلم عن تميم الداري رضى الله عنه « ان النبي ﷺ قال الدين النصيحة قلنا لمن قال الله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم »

والنصح والنصيحة عليهما مدار الدين واصلاح المجتمع الانساني لذلك كان معظم الصحابة رضى الله عنهم دائبا على النصح والارشاد والنظر الى ما يصلح عامة الناس وعوامهم ، والنصيحة مأخوذة من النصح ضد الغش من نصحت العسل اذا صفيته وهى كلمة جامعة تفسيرها ارادة الخير للنصوح له وليس يمكن ان يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة يجمع معناها غيرها كقاة الوافى الفلاح ليس كله اجمع لخيرى الدنيا والاخرة منه، والنصيحة لله هى الايمان بوجوب وجوده واثار كرمه وجوده وبصفاته الكمالية وبافعاله المحمودة المرضية وانه منزه عن صاحبه والولد والشريك ، ولكتابته بان يعتقد انه كلامه القديم ويعتبر بمواعظه ويتدبر فى عجائبه وغرائبه ويعمل بمحكمة النصيحة ويسلم فى متشابهه ويكل علمه الى عالمه ويذب عنه تأويل المحرفين وطعن الطاعنين الى غير ذلك مما يتعلق به ، والنصيحة لرسوله الايمان به وبجميع ما جاء به والانقياد لاوامره والامثال لرواجره ومعاداته من عاداه وموالاة من والاه ونصر ملته واحياء سنته ونشر دعوته ومحبة ال بيته وصحابته ، والنصيحة لائمة المسلمين بان يحبهم وينقاد لطاعتهم ولا يخرج عليهم قال الخطابي ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم واداء الصدقات اليهم هذا فيما إذا كانوا عدولا فى احكامهم ، وفى معنائهم العلماء الاعلام بقبول ما رووه من الاحكام الشرعية واحسان الظن بهم ، والنصيحة لعامة المسلمين بان يرشدوا الى ما هو الاصلح لهم والافضل ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويدفع الضر عنهم ويستعوراته ويسد خلاتهم ويوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم الى غير ذلك والله الهادى الى ما هنالك .

تم التمايق والله الحمد والمئة فى ٣ ذى القعدة سنة ست وخمسين وثلاثمائة
والف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل صلاة وأكل تبة .

فهرست

(مختصر شعب الايمان للإمام البيهقي)

صحيفة

صحيفة

القدر خيره وشره من
الله تعالى

تحقيق الحق في المتشابه الوارد
في الكتاب والسنة ١٣

السادسة الايمان باليوم الآخر
السابعة الايمان بالبعث بعد
الموت وتفسيره ١٤

الثامنة الايمان بحشر الناس
بعد ما يبعثون من قبورهم
وتفسيره ١٥

التاسعة الايمان بان دار
المؤمنين الجنة ودار
الكافرين النار ١٦

العاشرة الايمان بوجوب محبة
الله عز وجل ١٧

الحادية عشرة ، الايمان
بوجوب الخوف من الله
عز وجل ١٨

الثانية الايمان
بوجوب النية ودار
المؤمنين الجنة ودار
الكافرين النار ١٩

الثالثة الايمان
بوجوب النية ودار
المؤمنين الجنة ودار
الكافرين النار ٢٠

خطبة صاحب التعاليق
للرة الثانية ٢

خطبة الكتاب المؤلف
حديث الا ان يضع وستون
شعبة وبيان طرقه وإيضاح
معانيه ٣

تفسير البضع والشعبة
بيان سند المؤلف في كتابه
واختلاف طرقه ٤

الشعبة الأولى ، الايمان بالله
عز وجل ٥

الشعبة الثانية الايمان
برسل الله ٦

الشعبة الثالثة الايمان
بالملائكة ٧

الشعبة الرابعة الايمان
بالقرآن وجميع الكتب ٨

الشعبة الخامسة الايمان بان
عز وجل ٩

الشعبة السادسة الايمان
بالجنة والنار ١٠

✓

(ب)

صحيفة	صحيفة
٢٢ الثانية عشرة الايمان بوجوب	٤٤ بيان أن الفقيه هو العالم العامل
الرجاء من الله عز وجل	و مثال العالم غير العامل
٢٤ بيان أن الذكر ليس قاصراً	٤٦ التاسعة عشر تعظيم القرآن
على اللسان	المجيد بتعلمه وتعليمه وحفظ
٢٥ الثالث عشر الايمان بوجوب	حدوده وأحكامه وعلم حلاله
التوكل على الله عز وجل	وحرامه وتبجيل أهله
٢٦ الكلام على السكى	وحفاظه
٢٧ حقيقة التوكل والكلام على	٥٠ العشرون الطهارات
الرقية والطيرة	٥٣ الحادية والعشرون الصلوات
٢٩ الرابعة عشر الايمان بوجوب	الخمسة
محبة النبي ﷺ	٥٤ بيان أن تارك الصلاة خارج
٢٩ علامة المحبة	عن الدين بالنص واللوم ظه
٣٢ الخامسة عشر الايمان بوجوب	على العلماء
تعظيم النبي ﷺ	٥٥ الثانية والعشرون الزكاة
٣٣ السادسة عشر شمع المرم بدينه	٥٦ بيان الآيات والأحاديث
حتى يكون القذف في النار	الواردة في تقييع وتوبيخ
أحب اليه من الكفر	مانعي الزكاة
٣٤ السابعة عشر طلب العلم	٥٩ الثالثة والعشرون الصيام
الصحيح و هو معرفة البارى	٥٩ حكمة الصوم
٣٥ الآيات والأحاديث الواردة	٦٣ الرابعة والعشرون الاعتكاف
في فضل العلم والعلماء	٦٧ الخامسة والعشرون الحج
٤٢ الثامنة عشر نشر العلم النافع	٦٨ معنى الحج لغة وشرعا

(ج)

صحيفة	صحيفة
١٠٨ الرابعة والثلاثون حفظ	٧٠ بيان حج أهل زماننا
اللسان عما لا يحتاج إليه	٧٤ السادسة والعشرون الجهاد
١٢٠ الخامسة والثلاثون	٧٤ حقيقة الجهاد وأقسامه
الآمانات وما يجب فيها من	٧٧ دين الاسلام دين هداية
أدائها إلى أصحابها	لادين حرب
١٢٤ السادسة والثلاثون تحريم قتل	٨٠ السابعة والعشرون المراقبة
النفس والجنايات عليها	في سبيل الله تعالى
١٢٤ معنى قوله عليه السلام سباب المسلم	٨٣ الثامنة والعشرون الثبات للعدو
فسوق وقتاله كفر	وترك الفرار من الزحف
١٢٥ السابعة والثلاثون تحريم	٨٥ تفسير قوله تعالى (فاذا لقيتم
الفروج وما يجب فيها من	الذين كفروا زحفا) الآية
التعفف	٨٧ التاسعة والعشرون أداء الخمس
١٢٦ حكم اللواط وما ورد فيه	من المغنم إلى الامام أو عامله
١٢٨ الثامنة والثلاثون قبض اليد	٩٠ الثلاثون العتق بوجه التقرب
عن الأموال ويدخل فيها	إلى الله
تحريم السرقة	٩٢ الحادية والثلاثون الكفارات
١٣٣ التاسعة والثلاثون وجوب	الواجبات
التورع في المطاعم والمشارب	٩٣ الثانية والثلاثون الايفاء
والاجتناب عما لا يحل منها	بالعقود
١٣٤ قبح الخمر وشاربيه	١٠٠ الثالثة والثلاثون تعدد نعم
١٣٦ بيان الطيبات المأمور بها	الله عز وجل وما يجب عن
وورع السلف الصالح	شكرها.
والكلام على المتشابهات	١٠٣ كلام العلماء في النعم

صحيفة

صحيفة

١٤١ حقيقة الورع وما قيل فيه

١٤٩ الأربعون تحريم الملابس
والزى المخالف والأواني
وما يذكره منها

١٤٩ بيان الأحاديث الواردة في

لبس الحرير والنهي عنه مطلقا

١٥٣ الحادية والأربعون في تحريم

الملاعب والملاهي المخالفة

للشريعة

١٥٣ الثاني والأربعون الاقتصاد

في النفقة وتحريم أكل

المال بالباطل

١٥٦ الثالثة والأربعون ترك الغل

والحسد ونحوهما

١٥٦ حقيقة الحسد وتقسيمه إلى

حرام ومباح وهو المسمى

غبطة

١٦٠ الرابعة والأربعون تحريم

الوقوف في أعراض الناس

وما يجب من ترك الوقعة فيها

١٦٠ الكلام على آية (لن الذين

يحبون أن تشيع الفاحشة في

الذين آمنوا)

١٦٢ الخامسة والأربعون اخلاص

العمل لله عز وجل

وترك الرياء

١٦٣ معنى قوله تعالى (من كان يريد

حرث الدنيا) الخ

١٦٣ حقيقة الرياء

١٦٨ كلام السلف في الرياء

١٦٩ السادسة والأربعون السرور

بالحسنة والاعتناء بالسيئة

١٦٩ السابعة والأربعون معالجة

كل ذنب بالتوبة

١٦٩ حقيقة السرور والتوبة ✓

١٧٠ حقيقة الغين

١٧١ الثامنة والأربعون، القرايين

١٧١ حقيقة القرايين

١٧٢ التاسعة والأربعون طاعة أولى

الأمر ومن هم

١٧٢ الكلام على الأضحية والعقيقة

١٧٥ الخمسون التمسك بما عليه الجماعة

١٧٥ حكم من خرج من الطاعة

وفارق الجماعة

١٧٦ استباحه دم من فرق امرأة

محمد ﷺ وهي جمع

صحيفة

- ١٧٦ الحادية والخمسون الحكيم بين
الناس بالعدل
١٧٧ الثانية والخمسون الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر
١٧٨ للصحابة في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر كلام نفيس
١٨٠ صفه من يامر وينهى
١٨٤ شرح حديث ومن رأى متك
منكرا فليغيره، الخ
١٨٨ الثالثة والخمسون التعاون على
البر والتقوى
١٩٠ الرابعة والخمسون الحياه
وحقيقته
١٩٢ الخامسة والخمسون بر الوالدين
١٩٤ السادسة والخمسون صلة الرحم
حقيقته
١٩٥ بيان الجمع بين الآيه
والاحاديث في زيادة العمر
١٩٦ السابعة والخمسون حسن
الخلق ويدخل فيه كظم الغيظ
واين الجانب
١٩٦ حقيقته ومكارم أخلاق النبي
ﷺ

صحيفة

- ٢٠٠ صفات المؤمن حقيقه
٢٠٢ تقسيم الخلق إلى طبعي
ومكتسب والدليل على ذلك
٢٠٣ الثامنة والخمسون الاحسان
إلى الممالك
٢٠٤ التاسعة والخمسون حق السادة
على الممالك وهو لزوم العبد
سيده
٢٠٥ الستون حقوق الأولاد
والأهل
٢٠٦ الحادية والستون مقاربة أهل
الدين ومودتهم وافشاء
السلام بينهم
٢٠٧ فوائد السلام وافشائه
٢٠٩ الثانية والستون رد السلام
٢١٠ بيان حكمه والنهي عن الجلوس
بالطرق وحكمة التنبؤ
٢١١ الثالثة والستون عيادة المريض
٢١٢ الكلام على حديث أمرنا
بسبع ونهايا عن سبع
٢١٤ الرابعة والستون الصلاة على
من مات من أهل القبلة
٢١٥ بيان حكمه وكيفية الحمد،

والتشميت وجواب العاطس
٢١٦ السادسة والستون في مباحدة
الكفار والمفسدين والغافل
عليهم .

٢١٧ بيان الآيات الواردة في عدم
مؤالاة الكفار وحكمة النبي

وجواز الاستعانة بهم من
تحالف واتفاق على عدونا
٢٢٠ السابعة والستون إكرام الجار
الاحسان إلى الجار ومواساته

أمر محبوب وفيه فوائد جمّة
٢٢١ بيان حقوق الجار وأنّها

تختلف باختلافه وبيان ما عليه
أهل زماننا الآن من

الاساءة للجار

٢٢٣ الثامنة والستون إكرام الضيف

٢٢٤ التاسعة والستون الستر على
أصحاب الذنوب

٢٢٤ بيان من يجب الستر عليه
ومن لا يجب

٢٢٦ السبعون الصبر على المصائب
وعما تنزع النفس إليه من
لذة وشهوة

٢٢٦ حقيقة الصبر وبيان حكمه
٢٢٩ الحايه والسبعون الزهد
وقصر الأمل

٢٣٠ حقيقة الزهد وأقوال العلماء فيه

٢٣٢ تفسير حديث «نعمتان مغبون
فيهما كثير من الناس» الخ

٢٣٤ بيان سبب فتنة بني اسرائيل
٢٣٥ ضلال من يعلم ولم يعمل

٢٣٦ الثانية والسبعون الغير فترك
المذا .

٢٣٩ الثالثة والسبعون الاعراض
عن اللغو

٢٣٩ الكلام على حديث من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه

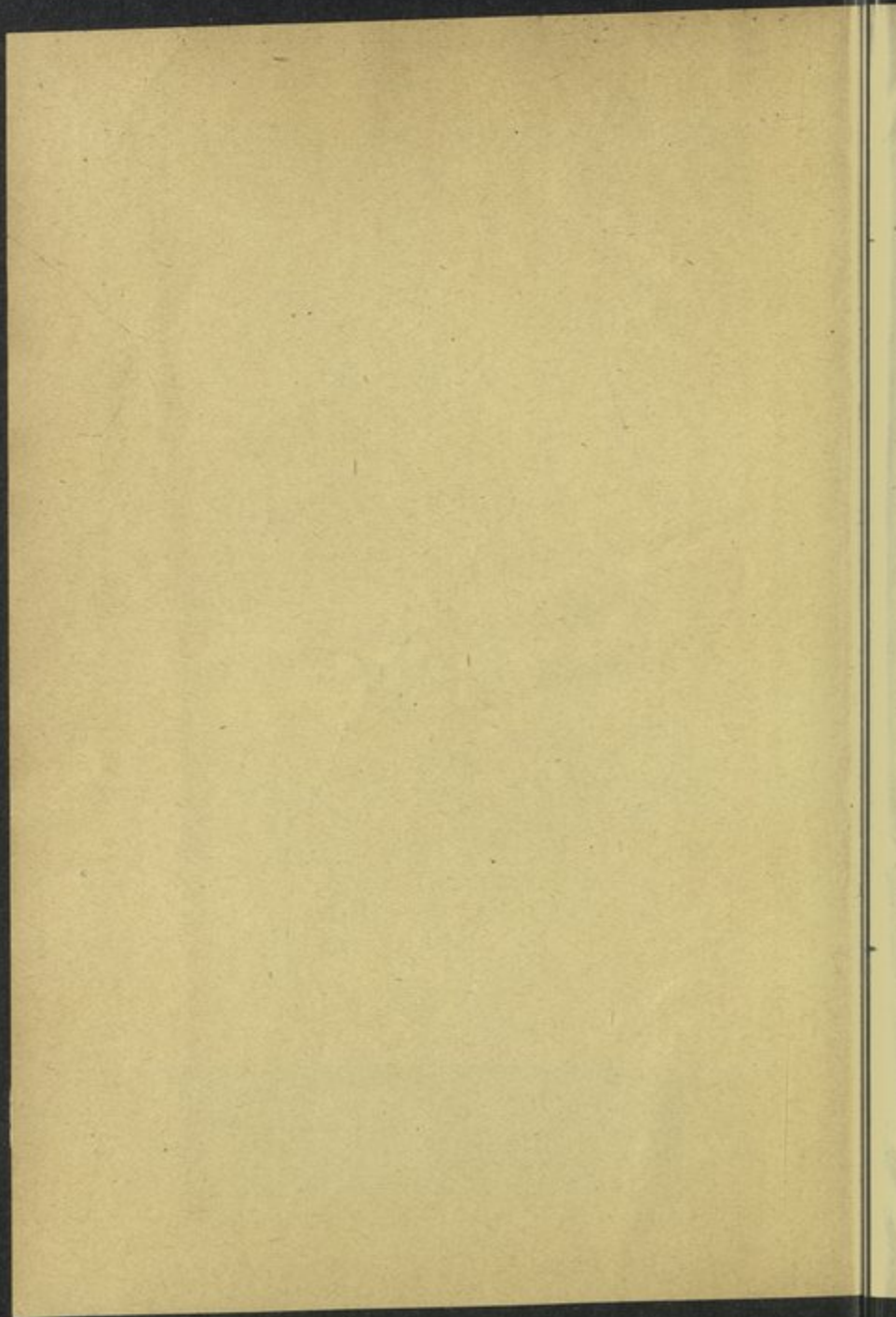
٢٤١ الرابعة والسبعون الجود
والسخاء .

٢٤٢ من خاف الله عز وجل وكرمه
٢٤٥ الخامسة والسبعون رحم

الصغير وتوقير الكبير
٢٤٧ السادسة والسبعون إصلاح

ذات البين
٢٥٠ السابعة والسبعون أن يحب

الرجل لاخيه ما يسب نفسه



DATE DUE

DATE
JAFET
* 33 JUN 2004 *
Circulation Dept. 5

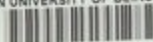
[illegible]

297.342:B35mA:c.1

البهيقي، أبو بكر أحمد بن الحسين

مختصر شعب الايمان

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01008143

American University of Beirut



297.342
B35mA

General Library

